موقع ادب السجون

ليالي كرداسة

للمهندس / محمد أنور رياض

منشورات موقع ادب السجون

رابط الموقع

https://adabesjoone.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ليست مقدمة

هل هذه رواية ؟

نعم .

هل هي تاريخ ؟

نعم ... مع بعض الخيال .

والتاريخ لا تكتبه رواية واحدة ... وإنما عشرات ... وربما مئات .

هذه الرواية تروي بعضا من محنة الإخوان سنة 1965 .

هذه ليست مقدمة ... لأن تاريخ الإخوان المسلمين ملحمة ... روايات متتابعة ... مل أن تنتهي رواية حتى تبدأ الأخرى .

لذا ...

فإن المقدمة تقرأ في آخرها .

ولنبدأ الرواية ...

يحكي أن طاغية ... مثله ... مثل أي طاغية ... عاش زماننا ... مثل ... أي زمن مضي ... كان عنده أخدود مثل أي أخدود مضي ... ولكنه أخدود عظيم ... سماه السجن الحربي ... أوقد فيه نارًا هائلة ... وكان يلقي فيه آلاف المؤمنين ... (من إخوان) الأخدود

الراوي

(1)

1957 زينب الغزالي

رئيسة جماعة السيدات المسلمات ... تقف علي رصيف السويس ... تشرف علي بعثة حج السيدات . تقدم منها شقيقها بصحبته شاب علي وجهه علامات الطيبة والصلاح ... وجه مريح منبسط ... إذا نظر إليه الإنسان لا يملك إلا أن يألفه ... قدمه إليها .

- الأخ عبد الفتاح إسماعيل ... من أحب الشباب إلي الإمام الشهيد حسن البنا ... كان فضيلة المرشد يحبه ، ويؤثره ... وله فيه ثقة مطلقة . أطرقت ... وقد فهمت الرسالة . قال عبد الفتاح .

- سنكون معًا ... إن شاء الله علي ظهر الباخرة .

في فترة الراحة بعد الغذاء ... سمعت طرقاً خفيفًا علي باب حجرتها ... تكرر ثلاث مرات ... وعندما أذنت ... وجدته يتقدم في حياء .

- لو لم تفتحي ... لانصرفت ... إنها السُّنة ...واعتذر لأنه وقت راحتك ... لم أجد أكثر منه مناسبة حيث تخف فيه الرجل والحركة

قالت تشجعه :

- لا بأس .

دخل في الموضوع مباشرة .

- اعلم أن بينك وبين الإمام بيعة قبل استشهاده بعد طول خلاف بينكما علي أسلوب العمل الإسلامي .

قالت في دهشة :

- وكيف عرفت ذلك .

رد في ثقة ... وطيبة :

- من الإمام نفسه ، طيب الله ثراه .

سكتت برهة .

- وماذا تريد مني ؟

قال بسرعة لينهي المقابلة .

- نلتقي إن شاء الله في مكان أفضل ... لقاء لا نبتغي به إلا وجه الله .

في الحرم المكي ... ترصّدها ... تقدم خلفها بعد الطواف ... همس

- لا تلتفتي خلفك ... هناك بالقرب من مكان الإذاعة ... يقف أحد ضباط المباحث المصريين ... نلتقي عند مقام إبراهيم .

قامت تصلي ... وهو أيضًا ... قالت بعد أن جلست إلي جواره .

- كيف عرفته ؟

- شاهدته في السجن الحربي ... واحد من أشدهم إجرامًا

- سبحان الله ... وجاء ليحج

- أنت أعلم مني بالأعمال المطلوبة لكل من يريد الحج ... من توبة ورد المظالم ... هؤلاء مبعوثون للمراقبة والرصد ... ولا يتوبون حتى ولو تاب حمار الخطاب ... دعينا منهم

سكت لحظة يستجمع فيها فكره ... سأل

- ما رأيك في حل الجماعة ؟

- القرار باطل شرعًا لأن عبد الناصر ليس له أي ولاء ... ولا تجب له طاعة علي المسلمين ... فهو يحارب الإسلام ... ولا يحكم بكتاب الله

قال في اطمئنان

- كان هذا رأيي فيك ... أخت كريمة ... ولا يظهر المعدن الأصيل إلا عند الشدائد

استطرد في حماس

- يجب إعادة تنظيم الجماعة ... ولكن قبل ذلك لابد من استئذان المرشد الإمام الهضيبي ... أنا أعلم أنك تترددين علي منزله ... وله صداقة مع الأسرة

أطرقت بالموافقة ... قال قبل أن ينصرفا

- هذا بيت الله ... نحن نجلس في مكان جلي فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم وصحابته والتابعون ... والصالحون من أمته ... وتطأ فيه أقدامنا مواطئ أقدامهم ... وتلامس أجسادنا مكان جلوسهم ... هيا بنا نرتبط مع الله علي أن نجاهد في سبيله ، ونمضي في تجميع الإخوان لا يردنا عن ذلك إلا الاستشهاد في سبيله ...

منذ اعتقاله عام 1954 ... وهو في نار السجن الحربي ... كان السؤال يأز في رأسه ... هل انتهت جماعة الإخوان المسلمين بالضربة القاضية ... نهاية لا عودة بعدها ؟؟ رأي قادة الجماعة

يتساقطون في قبضة الاعتقال ... كأنهم أوراق شجرة توت في فصل الخريف ... امتلأت بهم زنازين السجون الحربية في أيام معدودات ... كان يشاهدهم في طوابير التعذيب ... المرشد ... أعضاء مكتب الإرشاد ... رؤساء المكاتب الإدارية والشعب ... الهيكل التنظيمي – الذي كان حديديًا – تداعي كله ... تقوض وكأنه قفص من جريد ... جمعهم زبانية عبد الناصر ... وكأن آلة حصاد مجنونة اكتسحت حقلاً من نبات القمح ... فاقتلعت أعواده ... وفصلت عنها سنابلها فانفرطت حياتها ... انفرطت الجماعة ... صارت أفرادًا ... يسحبونهم الواحد تلو الآخر تحت لدغ السياط ... وكافة أنواع العذاب التي تجرف طاقة البشر وتهرس إرادتهم تحت وطأتها . نجحوا في ذلك ... هكذا بدا كل شيء ... من مظاهر الإذلال ... ودهس الكبرياء تحت أقدام مجموعة من الجنود تم اختيارهم علي أساس الأشد جهلاً وانغلاقًا ... والأغبى نشأة وتحجرًا ... والأقرب حيوانية إلي الثيران ... والجاموس ... دربوهم تدريب الكلاب علي الشراسة للفتك بالضحية بمجرد الإشارة .

عزلوهم عن العالم ... في جدب وسط الصحراء ... لا حول ... ولا ... حياتهم معلقة في طرف كرباج ... والموت ينتظر رفسة من الحذاء الميرى ... والفضاء حولهم يتسع مقابرًا للجميع ... الأنفس العزيزة ... المنيعة ... هتكوا سترها ... حرموها من أبسط حقوق البشر ... الطعام ... الماء ... الكساء ... حتى قضاء الحاجة صارت تتم في جو من الفزع ... هذا إذا سمح لها حضرة العسكري ... الحاكم بأمره ... أن تتم ... الشواهد كلها تقول أن المحنة هذه المرة ... ماحقة ... مدمرة ... والشواهد أيضًا – كما يراها – وسط هذه العتمة ... تقول أن الروح المعنوية للغالبية – رغم كل شيء – لا زالت بخير .

الأخ الذي يسحبونه حافي القدمين جريًا سيل لاهب من الكرابيج إلي حيث يجري التحقيق أو الاستنطاق ... يظل أخوانه في الزنزانة في حالة سهر وترقب ... حتى يعود ... يضمونه في حنان ومواساة ... يحاولون تضميد جراحه ... يؤثرونه بنصيبهم القليل من الطعام طلبًا لسرعة شفائه ... ودعمًا ومساندة . الأخ الذي ساعدته الظروف لتجهيز حقيبة ملابس عند اعتقاله يقوم بتوزيعها علي من تمزقت ثيابه من الكرابيج أو بليت ... ولمن خُطف من سريره وهو بملابس النوم . في أحيان كثيرة كان العسكري – الشيطان بأمره – يلمح أحدهم وهو ينظر من خلال نظارة الباب ... أو عند تلصصه للتنصت عليهم فيسمع كلامًا ... وهي في حكمه جرائم تستوجب عشرين كرباجًا علي الأقل ... عندئذ يتقدم من يجد في نفسه القدرة علي التحمل مفتديًا إخوانه من العقاب الجماعي إذا لم يعرف الفاعل . عند أي تجمع ... أو لقاء ... في طوابير العذاب ... أو التوجه إلي دورات المياه ... يتبادل الإخوان الإشارات باليد والعيون ... تدعو إلي الثبات ... والصبر . المصحف كان من

الممنوعات ... ولكن الصدور كانت عامرة بآيات القرآن ... فكان الإخوان يحفظونها بعضهم البعض .

كل هذه يا عبد الفتاح ... مظاهر صمود ؟؟ .. أم أنها من باب المصائب التي تجمعن المصابينا ... هو ... وعن نفسه ... والله لو وضعوا المنشار في مفرق رأسه ... ما تخلي عن الجماعة أبدًا ... فكم (واحد) من هذه الآلاف ... مثله ؟ .. وكم (مائة) من هذا الجمع ... سقط ... وتداعي ... وجرت عليه سنة الله في المحن ... والشدائد .

المهم

بعد عامين ... وبعد ترحيل – كل من نال نصيبه في سيرك المحاكمة ... وصدر ضده حكم – إلي السجون المدنية ... بدأ الإفراج عمن تبقي في السجن الحربي قالوا له

- عليك بمراجعة فرع المباحث بالمنصورة ... في اليوم التالي

في الصباح كان هناك ... علي الباب قابله جثة يلبس جلبابًا .. أشار المخبر إلي حجرة بجوار الباب

- انتظر

الحجرة بلا نوافذ ... وكأنها زنزانة في المبني ... مضت ساعة ... من فتحة الباب يري المخبر – كلما رن التليفون – يهمس فيه ... ثم يضعه ... ساعة أخري ... وساعة ثالثة ... ثم رابعة ... منظر المخبر لا يسلي ... ولا يسر ... هم أن يستعجله ... عندما التفت إليه وقال

- حسن بك في مأمورية ... احضر غدًا في نفس الموعد

لا مأمورية ... ولا يحزنون ... القصد واضح ... استعراض القوة ... تكبر ... إذلال ... وشد أذن ... لا ... ليس شدًا ... وإنما خلع وتمليص للأذن . عاد في اليوم التالي ... ثم إلي زنزانة الاحتجاز ... في هذه المرة ... كانوا أكثر لطفاً ... وخفة دم ... بعد ساعتين فقط ... نال حظوة المقابلة !!

قال له حسن بك

- أهلاً ... حمد الله بالسلامة

الوجه لا يوحي بالترحيب

- شكرًا

تفرس في وجهه ... ثم صدمه بالسؤال

- هل كنت من الإخوان فعلاً

في محاولة لتلطيف الحوار قال

- هكذا ... قالوا

لم تعجبه الإجابة ... نظر إليه في حدة

- أنا أسأل ... و ... أنت تجيب ... و ... بالتفضيل ... مفهوم ؟؟

- السؤال لم يكن واضحًا

- ذلك لأني لم أجد لك ملفًا عندنًا ... ولا نشاط ملحوظ

قال متماشيًا معه

- نشاطي كان محدود ... مجرد الذهاب إلي الشعبة وحضور صلاة الجماعة

ازدادت قسماته حدة قال في تهديد واضح

- ما علينا ... لا تظن أنك خرجت من المعتقل وانتهي الأمر ... يمكن أن نعيدك إلي ما هو أسوأ ... الجماعة انتهت ... ونحن نراقبك ... لا نريد منك السفر إلي أي مكان ... إلا بعد الإذن

- ولكنني رجل أتاجر في الحبوب ... بيع وشراء ... وهذا يتطلب مني التنقل الدائم انفرج قناع وجهه قليلاً

- يبقي الاتصال من المكان الموجود فيه

- سيادتك أدري بمشاكل التليفونات

قال منهيًا الحديث

- حاول ... وعلي أي حال ... أراك مرة كل أسبوع علي الأقل ...

وضعوك يا عبد الفتاح في زنزانة ... صرت فيها المعتقل ... وأنت أيضًا ... عليها ... السجان ... علي كل حال زنازين الشوارع أفضل من زنازين السجن الحربي ... علي الأقل يمكنك قضاء الحاجة ... كلما أردت ... وعلي راحتك ... وهذه نعمة – لو تعلمون – عظيمة ... أصبح السؤال يأز في رأسه ... أكثر شدة ... كيف ستعود الجماعة في ظل هذه الملاحقات ... وكيف يمكن النفاذ من ظلمات بعضها فوق بعض ... تواري فيها الأمل ... واندثر خلالها الرجاء .

أما أنا

فوالله لو وضعوا الشمس في يميني ... والقمر في يساري ... ما تركت هذه الأمر ... حتى يظهره الله ... أو أهلك دونه ... و ... صدقت يا سيدي ... يا رسول الله .

في الأسبوع التالي ... وحسب الموعد ... ذهب إلي مقر المباحث ... بعد ساعتين من الاحتجاز ... قالوا له نفس العبارة ز

- حسن بك في مأمورية ... احضر الأسبوع القادم .

اللعبة أصبحت بايخة ... هه يا عبد الفتاح ... لا ... لن أخضع لها ... ولنري ماذا في جراب الحاوي .

(2)

قرية البيضاء ... مركز السنبلاوين

ذهب لمقابلة ... الشيخ محمد عبد المقصود ... مأذون القرية وعالمها ... رجل دخل مرحلة الكهولة ... هكذا يشير بياض لحيته وشعر رأسه الذي يظهر من تحت عمامته ... ولكنه خفيف الظل ... حلو الحديث والقفشات ... وجه باسم ينم عن روح الشباب قال له عبد الفتاح

- أفلت من الاعتقال يا شيخ محمد

رد ضاحكًا

- هل كنت تود أن أكون أنيسًا لك ؟

قال عبد الفتاح

- معاذ الله ... يا شيخ ...

- علي كل حال ... أنت تري داخل هذه الجبة جسدًا نحيلاً ... يكاد يتلاشي ... فهل أصلح لضيافة السجن الحربي

لم يبادله المزاح ... قال في جدية

- عفاك الله ... يا شيخ ... ولكن ما رأيك في أوضاعنا

قال الشيخ محمد

- ليس لها من دون الله كاشفة ... الصبر ... وانتظار الفرج ... يا عبد الفتاح لا تقلق فللبيت رب يحميه

دخل عليهما شاب ... واضح أنه أزهري ... قدمه الشيخ محمد

- الشيخ عبد الفتاح فايد ... خطيب ابنتي

- مبروك ... ومتى إن شاء الله نحضر الفرح ... أن النية مبيتة لعدم دعوتي

- يا عبد الفتاح ... أنت صاحب الفرح ... المهم هو الشقة ... شد حيلك يا عريس

قال الشيخ فايد

- ربنا يسهل ... القاهرة مدينة يتكدس فيها البشر ... وأزمة المساكن أوشكت أن تلجئ الناس إلي النوم علي الأرصفة

وجه كلامه للشيخ محمد

- وهل الشيخ فايد ...

قاطعه ضاحكًا

- نعم يا سيدي ... من شباب الإخوان ... هذا عريس لقطة ... أنا لا أقع إلا واقفًا

- بارك الله فيهما ... وربنا يتمم بالخير ... الحديث أخذنا بعيدًا ... أنا أعمل في تجارة الحبوب ... وأريد منك مساعدتي في تجميع المحاصيل من أهل بلدكم ... لمالك عندهم من مودة

- غالي ... والطلب رخيص ... و ... هل لي عمولة ...

رد ضاحكًا

- الدعوة الصالحة ... أفضل عمولة أقدمها لك

هكذا كان يتحرك عبد الفتاح إسماعيل ... في حذر ... لاستكشاف الأرض التي حرثوها مطبات وحفر ... وتحت غطاء التجارة كان يدور الحديث ... يتخلله سؤال قد يفتح الطريق ... أو ... يغلقه بالضبة والمفتاح ... أحيانًا كان يري بابًا تهب منه نسمة رحيمة ... وأحيانًا أكثر كان يري أبوابًا مِسَنكرة ... موصدة بوجود متجهمة ... غير مرحبة ... زادها الخوف اكفهرارًا وعبوسًا ... ورسمها بظلال من الرعب بعد أن أفلتت من قبضة السجن الحربي وما سمعوه عن أهواله ... وصدقوا أن الجماعة دفنوها هناك . السكك امتلأت ألغامًا ... والطرق الآمنة أصبحت ممرات التفافية ... ولا حول ... ولا قوة إلا بالله .

غاب عن بلده شهرًا ... وعندما عاد لم يجده أخاه علي

- أخذته المباحث ... وقالوا عندما يعود عبد الفتاح ... يشرفنا

قابله حسن بك بقناعه الحديدي

- لقد حذرتك ... يا عبد الفتاح

- وما ذنب أخي ؟

- سنفرج عنه ... أين كنت ؟؟

- يا بك ... ظروف البيع والشراء ... أنا رجل أرزقي ... أسعي من أجل لقمة العيش

- طلبت منك الاتصال

- القرى ... لا يوجد بها تليفونات ... حتى المواصلات صعبة ... أنا أتحرك ماشيًا ... علي الأقدام ... أغلب الأحيان

- يعني تمشي علي حل شعرك ؟ ..

- لا ... ولكن أسأل من أتعامل معهم ... الخواجة موريس ... والمقدس فلتس من كفر النصارى ... والحاج عبد المنعم عمدة كفر عبد المنعم و ...

- خلاص ... هذا تحذير

ويبدو أنهم يئسوا منه ... أو سألوا عنه فاطمأنوا ... تركوه يسيح في الأرض وكانت ... البداية الحقيقية ... عندما سعي إلي مقابلة الحاجة زينب .

(3)

سيدة ارستقراطية ... غنية ... الفيلا ... والعربية ... والدخل ... الزوج رجل أعمال ... لديها كل ما يجعلها تنتمي إلي المجتمع الهاي ... هذه هي الحاجة ... زينب الغزالي ...

كان الشعب المصري عند نشأتها يعيش إما تحت خط الفقر ... وهم الغالبية العظمى ... أو علي خط الفقر نفسه ... وهي شريحة رقيقة وصفوها ظلمًا بالطبقة المتوسطة ... ويفصلهما عن الطبقة الثرية مسافة قد تكون أبعد مما بين السماء والأرض . وعندما يكون الإنسان لديه كل شيء من متع الدنيا ... فإن مشكلته الأساسية تكون هي ... طرد الملل ... كيفية قضاء الوقت ... أو قتله ... فالسيدة الثرية لديها الشغالات والخدم والحشم والطباخ ... تقوم من النوم في كسل وكل همها هو كيف ستقضي ما بقي من نهارها ... وأين تمضي ليلها ... الاختيارات أمامها محدودة ... مكررة ... بين الرغي في التليفون ... وماتش نميمة ... وبين زيارات لفلانة ... وعلانة ... واغتياب خلق الله ... وتقطيع في سيرة الأصدقاء ، و(الأعدقاء) علي السواء ... ثم النادي ... وهي أيضًا جلسات لت وعجن ... وأحيانًا تقيم الحفلات والولائم ... وهي مناسبات للتباهي وإثارة الحسد ... ومباريات للتنافس باستعراض الملابس الفاخرة ... والعطور النادرة ... والتعالي بما تملكه من مجوهرات بكافة أنواعها ... ذهب ... أحجار كريمة أو ... (لئيمة) ... مع المطرب ... أو مطربة ... مغني أو (مجعر) ... قد لا يسمعه أحد وهو يرقع بموال عن الليل وغدر الحبيب ... والتخت الموسيقي يساهم في زيادة تلويث الجو بالضوضاء التي تحدثها رءوس قد لعبت بها الخمر ... وضحكات تفرقع مثل الطلقات الفشنك ...

زينب الغزالي ... رفضت هذه الحياة ... بفطرتها ... رغم صلتها برجال الوفد وباشاواته ... علية القوم ... الوزراء ... الأسماء اللامعة في عالم السياسة ... والنفوذ ... سراج الدين ... النحاس ... الزعيم الجليل ... اختارت ... وآثرت أن تستجيب لدواعي الإيمان ... فأسست جماعة السيدات المسلمات ... والتف حولها ... وتجمع معها كل من هو نافر من حياة الفراغ والضياع ... وكل من هرب يجلده من مستنقع الشياطين ... جماعة لفعل الخير ... مساعدة الفقراء والمحتاجين ... ورعاية

اليتامى ... يدعم هذا الاتجاه ... ويسنده ... توعية ... ودراسات ... ومحاضرات تدعو إلي دين حنيف لا تتم الصالحات إلا به ...

كان ذلك عام 1936

اتصل بها الشيخ حسن البنا ... يدعوها إلي الانضمام بجماعتها إلي الإخوان المسلمين ... الحاجة زينب لها شخصيتها المستقلة ... لم ترفض ... لأنها سمعت عن البنا ودعوته ... وهو رجل صادق ... متجرد ... أمين ... توجهاته تنفق مع أهدافها ... إلا أنها أيضًا لم توافق ... كان رأي البنا أن توحيد الجهد يعطي ثمرات أسرع ... والوحدة أساسًا هدف إسلامي ... وكان رأيها أن في التنويع مجال أوسع لخدمة الإسلام والمسلمين ... وعرضت بدلاً من الاندماج ... التعاون والتنسيق ... ولأن البنا كان شعاره الذي يرفعه دائمًا ... نتعاون فيما نتفق عليه ... ويعذر بعضنا بعضًا فيما نختلف فيه ... فقد وافق . وهكذا عرف الإخوان الحاجة زينب الغزالي محاضرة في دار الإخوان ... وفي اجتماعات الإخوات المسلمات .

أيقظتها محنة الإخوان الأولي ... عندما أصدر النقراشي قراره بحل الجماعة عام 1948 ... استفزها الظلم ... والكيد الحقود لضرب الدعوة الإسلامية ... القوة الصاعدة التي تتصدي للمستعمرين الانجليز ... والصهاينة الذين يغتصبون أرض فلسطين ... الأيدي التي تضرب ... مصرية ... قاصرة ... وغبية ... والمحرض ... عدو خبيث ... والمتلقي للإيذاء ... هو المدافع الحقيقي ... والمدرك لأهدافهم ونواياهم ... والضحية في النهاية ... هو الشعب المسالم ... الموجود دائمًا في حالة تحذير ... وفقدان الوعي . أحست بأن الضربة أصابتها ... فهي جزء من الدعوة الإسلامية ... وأحد روافدها ... لم تنتظر من أحد أن يشعرها بما يجب عليها ... فبدأت حملة لجمع التبرعات وإعالة أسر المعتقلين ... في الوقت الذي بدت فيه حكمة الهروب من السفينة الغارقة ... وأنجو سعد ... فقد هلك سعيد ... إلي هنا ... ومن واحدة ست ... فإن الشكر يكون واجبًا مستحقًا لها ... إلا أن طبعها المتحدي دفعها إلي الاتجاه المعاكس للريح ... والتيار ... أرسلت إلي البنا ... ورقة كتبت فيها :

سيدي الإمام حسن البنا ...

زينب الغزالي الجبيلي ... تتقدم إليك اليوم ... وهي أَمَة عارية من كل شيء ... إلا ... من عبوديتها إلي لله ... وتعبيد نفسها لخدمة دعوة الله ... وأنت اليوم الإنسان الوحيد الذي يبيع هذه الأَمَة بالثمن الذي يرضيه لدعوة الله تعالي

في انتظار أوامرك ... وتعليمات سيدي الإمام

وكانت بيعة ... أكدتها بصراحة أكثر ... عندما قابلته قبل استشهاده علي سلم دار الشبان المسلمين ...

اللهم أني أبايعك علي العمل لقيام دولة الإسلام

وأرخص ما أقدم في سبيلها دمي والسيدات المسلمات بشهرتها

وهي البيعة التي ذكرها لها عبد الفتاح إسماعيل عندما قابلها فيما بعد أثناء موسم الحج ... وتكررت نفس المعادلة مع التعديلات إلي الأسوأ ... الأيدي التي تضرب ... أيضًا ... مصرية ... ولكنها هذه المرة أيدي نجسة ... غبية حاقدة ... نعم ... ولكنها علي دراية ومشتركة ... ومتورطة ... والمحرض استعمار جديد وصهاينة لئام علي الحدود ... عقدوا الصفقة ... علي الطرف الأول الوفاء ببغية وطغيانه أملاً في الثمن ... وعليهم كطرف ثاني هو الخداع ... والمراوغة ... والثمن الذي سيدفعونه ... هو الغدر لطرف لا يستحق منهم إلا الاحتقار ... حيث لا يوجد في أدبياتهم حاكم يستحق احترامهم يقوم بإهدار إنسانية شعبه وأبناء جلدته ... أما بقية المعادلة ... فهي ... هي ... لم تتغير ... الضحية شعب مسالم يعيش في غيبوبة وغفلة .

كانت محنة 1954 عبارة عن نفق ضخم مظلم ... معتم ... مقبرة هائلة ... أرادوا ... دفن الإخوان المسلمين فيها ... دعوة ... وفكرًا ... وشخوصًا أحياء ... إذا لزم الأمر ... كانت موجات الحقد طاغية ... تقذف حممًا بركانية تجرف أمامها بنيان الدعوة في طوفان لتقبره في هذا النفق .

لم تتخل عن دعوتها ... ولكن التحدي كان عاجزًا عن الوفاء بطلبات الآلاف من الأسر ... التي انكشفت عريًا ... وجوعًا ... ورضع ... وطلاب في المدارس والجامعات ... نساء عفيفات ... وشابات حوامل ... وشابات حوامل ... وأمهات وآباء ... في سن الشيخوخة والعجز ... لقمة العيش ... والدواء ... وإيجار الشقق ... في هذا لم يكن الدافع هو الحكمة للقفز من المركب الغارقة ... وإنما هو الفزع ... والرعب ... الذي شل أيدي الخير ... وقطع دابر الهمة ... وطمس علي مشاعر الأخوة والنجدة .

وقفت ... وحيدة ... سيدة ... بلا عون .

ذهبت إلي الشيخ محمد الأودن ... جلست إليه مطرقة ثم قالت

– أنت تعلم – يا مولانا – أني علي بيعة الإمام البنا ... وعلي العهد ... ولكن اليد عاجزة عن الوفاء ... موجة الظلم عاتية ... أني أعيش مأساة الأسر الكريمة التي اجتمع عليها كارثة الزوج الذي يكتوي بناء الفجار ... وفاجعة الدخل الذي انقطع عن الزوجة والأولاد . بكي الشيخ التقي ... وقام فقبل رأسها ... وقال مثبتًا :

- استمري يا ابنتي ... فالله لن يخذلك ... وسيجعل لك مخرجًا

- أنا علي ثقة فيمن معي من السيدات المسلمات ... هن معي ... ولا يدخرن طاقة إلا وبذلوها في سبيل الله

- استعيني علي قضاء حاجتك بالكتمان ... والحذر ... وعضي علي أصل الشجرة ... فإن مع العسر يسرًا .

قالت ::

- أنا علي صلة بالسيدة المجاهدة زوجة الإمام الهضيبي وبناتها ... والمجاهدة بنت العشماوي باشا زوجة المستشار منير الدلة ... وأخوات الأستاذ سيد قطب ... وهن يتلقين بعض العون ... والاتصالات بيننا سرية ... وقد جئت لك لأتزود منك بالنصح ... والتثبيت ... بعد أن عز الناصح ... وندر الصديق .

- سيري علي بركة الله يا بنيتي ... واعلمي أن أمل الإسلام في هذه العصابة من الإخوان المسلمين ... والله لا يخذل – أبدًا – من يجاهد في سبيله ... هو ابتلاء ... ليميز الله المؤمنين ... الصادقين .

كان ذلك ... قبل لقائها الشاب ... عبد الفتاح إسماعيل ... أو الشيخ عبد الفتاح كما صارت تدعوه ... وكان اللقاء ... بداية لجولة جديدة في الصراع بين الحق ... والباطل هكذا ... دائمًا ... تجري سنة الله .

(4)

قالت لها مديرة منزلها :

- الشيخ عبد الفتاح .

ردت الحاجة زينب :

- ادخليه إلي الصالون .

- لقد فعلت .

كانت قد قامت من النوم لتوها ... بمجرد أن جهزت نفسها ... دخلت عليه ... حبست عبارات الترحيب ... واستدارت خارجة ... لتعود وهي تحمل بطانية وتلقيها عليه ... فقد استغرق في النوم بمجرد أن لمس جسده الكرسي اللين ...

وقالت للمديرة :

- اتركيه ... إلي أن يستيقظ ... وجهزي له فطورًا

لم يلبث إلا ساعة ... قام بعدها فزعًا .

قالت :

- يبدو علي وجهك الإرهاق

- لم أنم منذ الأمس ... لن ألبث إلا قليلاً ... لدي موعد بعد ساعة في مسجد الملك في حدائق القبة ... مع بعض الأخوة .

قالت :

- لازال الوقت مبكرًا ... تناول إفطارك

- سأكتفي بالشاي ... أخبريني ... ماذا قال لك الإمام المرشد .

- لقد أذن لنا أنا وأنت بالعمل ... وأوصانا بالحذر ... ولا ينضم إلينا إلا من يرغب ... ونري فيه الصلاحية ... كما طلب منا موافاته بالتفاصيل .

- هذا خبر طيب ... الحمد لله

أخرج من جيبه مظروفًا

- هذه ثلاثمائة جنيه

لازالت مشفقة عليه ... تناولت النقود من يده الممدودة

- بعض الراحة ستعطيك طاقة للحركة ... ويمكنك إدراك الموعد لو ركبت تاكسي ... وهذا جنيه تبرعًا مني لك

أمسك بالجنيه ... ثم رده إليها

- ضعيه إلي الثلاثمائة جنيه ... هناك من هو أكثر حاجة إليه مني ... نحن لا نركب التاكسي ... الذين يركبون السيارات استرخوا ... ولم يعودوا صالحين للعمل

قالت تراجعه :

- قد لا تدرك موعدك

قال في ثقة :

- الذين ينتظرونني هم من جند الله ... ولن ينصرفوا حتى أصل إليهم

قال باسمة وهي نودعه :

- أنا أركب السيارة ... ولم أسترخ ... ولم يتوقف نشاطي ... بل – كما تري – يزداد إصراري ... واستمراري في العمل من أجل الدعوة

قال في مودة و ... صدق :

- هذا ابتلاء نجحت أنت فيه ... وربما لا أنجح أنا فيه

استطرد وهو يناولها مظروفاً متضخمًا بالأوراق :

- لقد نسيت ... وما أنسانيه إلا الشيطان ... هذه الأوراق فيها حصيلة جولتي ... اقرأيها ... ثم أعرضيها علي فضيلة المرشد ... وبالطبع يتم حرقها ... بعد ذلك .

(5)

قرأ الشيخ المريض ... الإمام المرشد ... الأوراق في عناية شديدة ... ثم سألها فجأة

- هل تثقين في عبد الفتاح إسماعيل ؟

قالت في ثقة :

- لو رأيته فضيلتك ... لوثقت به قبل أن تبادله التحية ... شاب عليه مهابة الشيوخ .

- هذا واضح في كتابته ... اسمعي يا حاجة زينب ... طريق المجاهدين لا يفرش بالورد ... هذه المحنة لن يجتازها من يأخذ بالرخصة ... وإنما هي في حاجة إلي أولي العزم ... استمروا في سيركم ... ولا تلتفتوا إلي الوراء .

- ولكن هناك من الإخوان القدامى الذين ينصحون بالكمون ... وعدم الحركة حتى تهدأ العاصفة .

بادرها بسرعة :

- وهل لديهم موعد محدد لهدوء العاصفة ؟؟ .. لا تغتروا بعناوين الرجال وشهرتهم ... أنتم تبنون بناء جديدًا

- وبماذا تنصح فضيلتك عن البرنامج

- برنامج الإخوان ومنهجهم في التربية معروف ... القرآن ... والحديث والسيرة ... ورسائل الإمام الشهيد حسن البنا ... ووصاياه ... تحدد الحركة في خطوط عريضة ... والكتب كثيرة ... ولكن ضموا إلي مراجعكم المحلي لابن حزم .

قال لها زوجها :

- زينب ... أريد أن نتحدث قليلاً .

- سكتت ... أدركت ما يدور في رأسه ... استطرد قائلاً :

- يتردد علينا ... في الفترة الأخيرة ... عدد من الشباب ... هل هو نشاط للإخوان المسلمين .

قالت دون تردد :

- نعم .
- أي نوع من النشاط ؟

أجابت في حسم :

- إعادة تنظيم الجماعة .

قال في قلق واضح :

- ولكن يا زينب ... لعلك تدركين مدي خطورة هذا الأمر .

قالت في سعة من الصدر :

- هل تذكر يا زوجي العزيز ... عندما تم اتفاقنا علي الزواج ... ماذا قلت لك
- اشترطت شروطًا ولكني مشفق عليك من الطريق ... أنت تتعرضين لجبابرة لا يرقبون في أحد إلاً ... ولا ذمة .

قالت في ود :

- سأكرر لك ما قلته يومئذ ... للتذكرة ... قلت لك يومها هناك شيئًا في حياتي يجب أن تعلمه أنت لأنك ستصبح زوجي ... وما دمت قد وافقت علي الزواج فيجب أن أطلعك عليه ... علي ألا تسألني عنه بعد ذلك ... وشروطي بهذا الأمر لا أتنازل عنها ... أنا رئيسة المركز العام لجماعة السيدات المسلمات ... وهذا حق ... ولكن الناس في أغلبهم يظنون أني أدين بمبادئ الوفد السياسية ... وهذا غير صحيح ...

سكتت لحظة ... ثم استأنفت ... وقد ازداد حماسها :

- الأمر الذي أؤمن به ... واعتقده ... هو رسالة الإخوان المسلمين ... ما يربطني بمصطفي النحاس هو الصداقة الشخصية ... لكني علي بيعة مع حسن البنا علي الموت في سبيل الله ... غير أني لم أخط خطوة واحدة توقفني داخل دائرة هذا الشرف الرباني حتى الآن ... ولكني أعتقد أنني سأخطو هذه الخطوة يومًا ما ... وأحلم بها ... وأرجوها ... و ... لكن إذا تعارضت مصلحتك الشخصية ... وعملك الاقتصادي مع عملي الإسلامي ... ووجدت أن حياتي الزوجية ستكون عقبة في طريق الدعوة ... وقيام الدولة الإسلامية فسوف تكون علي مفترق طريق ...
- قاطعها قائلاً : أنا لازلت أذكر ردي علي شروطك ... أنا سألتك حينها ... ماذا يرضيك من المطالب المادية التي تطلبها كل عروسة ... من مهر أو مطالب الزواج ... قلت أنه ليس لديك سوى ألا أمنعك عن طريق الله ... فقد كنت لا أعلم أن لك صلة بالأستاذ البنا ... وإنما كنت علي علم فقط بالخلاف بينكما بشأن انضمام جماعة السيدات المسلمات إلي الإخوان المسلمين .

- قالت : وأنا أذكر موقفك الكريم ... عندما أطرقت والدموع محبوسة في عينيك سكت متأثرًا ... وهي تضيف : اتفقنا يومها ... رغم أنه كان يراودني خاطر إلغاء الزواج ... والتفرغ كلية للدعوة أثناء محنة 1948 .

انتظرت لتلتقط أنفاسها من التأثر ، وأردفت : أنا – اليوم – لا أستطيع أن أطلب منك أن تشاركني في الجهاد ... ولكن من حقي أن أطلب منك ألا تمنعني منه ... المسئولية وضعتني في صفوف المجاهدين ... أرجو ألا تسألني ماذا أفعل ... ولتكن الثقة بيننا تامة ... كما كانت دائمًا بيننا ... فأنا لا أستطيع أن أنسي أنني وهبت حياتي – منذ كنت صبية في الثامنة عشر من عمري – للدعوة في سبيل الله ... وقيام دولة الإسلام ... وعندما يتعارض هذا الهدف مع الزواج ... فسينتهي الزواج ... وتبقي الدعوة .

قال في تأثر : لقد اخترت يا زينب ...

قالت وقد خنقتها العبرات : أنا أعلم أن من حقك الأمر ... وعلي واجب الطاعة ... ولكن الله أكبر في نفوسنا ... من أنفسنا ... ودعوته أغلي من ذواتنا ... وأدعو الله أن يجعل أجر جهادي قسمة بيننا

بلغ تأثره مداه

- سامحيني يا زينب ... اعملي علي بركة الله ... يا ليتني أعيش وأري غاية الإخوان وقد تحققت ... وقامت دولة الإسلام ... ليتني في شبابي وأعمل معكم .

(6)

قال لها الشيخ عبد الفتاح :

- هناك تحركات فردية من الشباب ... ومحاولات للتجمع تجري في عدة مناطق ردت الحاجة زينب :

- كيف عرفت ذلك ؟

- عن طرق الإخوة ... الذي حدث اتصال معهم

- وماذا يريدون ؟

- نفس ما نريد ... إعادة تنظيم الجماعة ... وبعضهم ذهب به الحماس إلي التفكير في اغتيال عبد الناصر .

أطرقت :

- وهل لديهم خطط ... هل أخبروا أحدًا عن إمكانياتهم ؟

- لا أظن أن لديهم شيء محدد ... يبدو أنه مجرد حماس ... يتحدثون عن استعدادهم للشهادة ... حتى ولو بلغ العدد عشرون أو ثلاثون

- هذا ما أخشاه ... أن تكون البداية عند البعض هي التفكير في الانتقام

- وأنا أيضًا ... لا أوافق علي هذا الاتجاه ... عبد الناصر طاغية ... وقاتل ... وسبب أذي وضررًا كبيرًا للإسلام ودعاته ... ولكن ... لنترك أمره إلي الله فهو مرحلة ستنتهي ... عاجلاً أم آجلاً ... ولنتفرغ إلي العمل الذي يدوم ... وهو التربية ... وإعداد أنفسنا لمهمتنا الكبرى ... وهذا ما قلته لهم .

قالت مؤيدة :

- قتل عبد الناصر ... لا يحل أي مشكلة ... بل يزيدها تعقيدًا ... الدولة الإسلامية لا تقوم علي اغتيال فرد ... أو حتى انقلاب مسلح ... لأن عماد دوامها هو الاقتناع والإيمان ... لا يمكن أن تدعهم يتحركون بمفردهم .

- لا تقلقي ... نحن علي اتصال دائم بهم ... وأظن أننا استطعنا أن نخلع هذه الفكرة من عقولهم ... ولكنهم يبحثون عن قائد للتنظيم ... قائد من الإخوان القدامى ... لأن كلهم شباب من صغار السن .

- وهل استقروا علي شيء ؟

- لا ... لقد سلكوا نفس السبيل الذي سلكته أنا من قبل ... وسمعوا نفس الكلام عن الحكمة في التريث ... والانتظار .

- ألم تذكر لهم ... أننا علي اتصال بالإمام المرشد ؟

- لا ... حتى الآن ... فنحن لازلنا في مرحلة تبادل الآراء ... وفي نيتي الاجتماع بهم قريبًا ... لتتضح كل الاتجاهات .

- وهل نعرفهم كأفراد ... ومن يتصل بهم ... أو يتصلون به .

- نعم ... أعرف بعضهم ... وأكثرهم حركة هو الأخ علي عشماوي ... لا أعرف عنه إلا القليل ... وهو شديد الحماس ... ويبدو أنه علي صلة بعدد من إخوان الخارج ... السعودية بالذات .

- أرجو أن تكون أكثر حذرًا ... الأبالسة يلجأون دائمًا إلي أساليب الاختراق ... وقد فعلوا ذلك مع تنظيم مارس 1955 عندما دسوا ضابط مخابرات علي عباس عبد السميع إلي أن وثق به ... وظن أنه قادر علي تدبير انقلاب .

- يا حاجة ... نحن نتحرك بقدر الله ... إلي قدر الله ... الأخطار موجودة ... ولا يمكن حصرها ... ولا نستطيع أن نشق علي قلوب الناس ... اليقظة مؤكدة ... والحذر موجود ... وفي النهاية ... لا يغني حذر ... عن قدر ... نحن متوكلون ... ولن نكون متواكلين ... دعاؤنا ... الله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين .

التليفون يضرب برنينه المتقطع في فيلا الحاجة زينب ... رفعت أم عبده السماعة ... ثم نادت ...

- يا حاجة ... واحدة علي السماعة ... تريدك لأمر هام .

الحاجة زينب لا ترد سائلاً أبدًا ... توجهت إليها ... سمعت المتحدثة :

- هنا الأمانة العامة لسيدات الاتحاد الاشتراكي .
- نعم ... مع من أتكلم .
- أنا ... هدي ... سكرتيرة مدام جليلة الأمين العام للسيدات .
- خير .
- لقد أرسلنا لك بالبريد المستعجل بطاقة باسمك ... أرجو أن تكون قد وصلت .

قالت في فتور :

- نعم ... وصلت .

مثل جهاز تسجيل ... قالت :

- أرجو من سيادتك أن ترسلي لنا كشفًا بأسماء السيدات المسلمات حتى نجهز بطاقات عضوية لكل منهم .

عملية استعباط ... قالت في حِدَّة :

- بدون أخذ رأينا ؟

ارتبكت السكرتيرة ... لم يلقنها أحد إجابة لمثل هذا السؤال .

قالت في عناد :

- يا فندم هذه هي التعليمات .
- تعليمات من ؟
- مدام جليلة يا فندم .
- أليس من اللائق أن تكلمني هي بنفسها ؟

استمرت في إصرار ... وأيضًا كالآلة .

- يا فندم هي مشغولة الآن ... وأنا مكلفة بهذه المهمة .

تدخل صوت ... يبدو أنه كان يتابع في تنصت من تليفون آخر :

- اقفلي يا هدي ... أنا مدام جليلة يا حاجة .

الآن أصبحت في المواجهة ... ولتبدأ المبارزة ... قالت الحاجة :

- لم يأخذ أحد رأينا في الانضمام إلي الاتحاد الاشتراكي .

ردت في ثقة :

- الاتحاد الاشتراكي لا يأخذ رأي أحد ... لأنه تنظيم يضم فئات الشعب كله .

- حتى ولو كان ضد رغبته ؟

نبرة تهديد :

- لا أظن أن هناك من لا يرغب في عضوية الاتحاد الاشتراكي ... الذي يرأسه سيادة الرئيس .

- ولكن نحن جماعة السيدات المسلمات ... جماعة رسمية ... ولنا توجهاتنا ... واهتمامات مختلفة .

استمرت في لهجة التعالي :

- يا حاجة ... هذا عهد جديد ... ثورة ... تلغي كل ما كان قبلها ... ولا يوجد إلا توجه واحد ... واهتمام واحد ... وهو خدمة جماهير شعبنا العامل ... وأي نشاط آخر ... هو ثورة مضادة .

أنت الآن تخسرين النقاش يا حاجة زينب ... هه ... ثورة مضادة ... أو الدخول في طاعة الست جليلة ؟؟

سكتت منتظرة ... الست جليلة متمرسة في إصدار التعليمات ... الله أعلم أين تم تدريبها علي ذلك ... في المخابرات ... أم في الشقق المفروشة .

- نحن ننظم استقبالاً لسيادة الرئيس في المطار عند عودته الخميس القادم ... وأظن أنه يسعد الجميع ويشرفهم أن يكونوا في استقباله ... سننتظركم ... جميعًا ... و ... هدي ستقوم بإجراءات التنظيم ... مكان الوقوف ... من سيحمل اللافتات ... عبارات الترحيب ... إلخ ... أنت تعرفين النظام في هذه الاستقبالات .

لافتات ... وهتاف ... وجميعًا ... من هم جميعًا التي ضغطت عليها وهي تنطقها ... الغنم ؟؟ .. أهلاً يا حاجة و ... مرحبًا بك ... في سيرك المطار ... ومن بعده تتأهلين عضوًا مقيمًا في سوق النخاسة ... عرفت النحاس باشا ... وسراج الدين ... الوفد ... كبار ساسة البلد ... وآخر من زار بيتك كان اللواء محمد نجيب قبل الثورة ... وكان يصحبه الأمراء السعوديون ... طول عمرك مضيفة

كريمة ... تستقبلين زوارًا ذوى شأن ... بلا هتاف ... ولا لافتة ترحيب ... ولا جميعًا ... لا تردين عن بيتك من يسعي إليك ... والآن هذه الـ (.....) ... وبالأمر ... مطلوب تقديم الإمتنان ... والشكر علي أن اختارتك لتقفي في طابور ... تلوحين بعلم من ورق ... وتهتفين بالحياني ... والزغلول ... لمن ؟ ... للجلاد ؟ ... القاتل ؟ ... آه ... يا ... زمن ... و ... آه ... يا بلد ...

- هه ... يا حاجة .

توكلت علي الله ... وحسمت أمرها :

- لا أظن أنني أستطيع الحضور ... ولا أتحمل الوقوف طويلاً ... وسأعرض الأمر علي مجلس إدارة الجماعة .

جاء الرد بأسرع مما توقعت .

أفاقت لتجد نفسها راقدة علي سرير في المستشفي ... رجلها في جبيرة ... معلقة ومرفوعة .

قال لها زوجها :

- الحمد لله ... حمد الله علي السلامة .

قالت في صوات واهن :

- الحركة ممنوعة ... عدم الكلام بأمر الأطباء ...

أكمل بسرعة يجيب عما يدور في رأسها ليقطع الطريق عليها في الكلام :

- حادثة موت ... ربنا ستر ... انقلبت السيارة بك عقب اصطدامها بسيارة نقل ثقيلة .

سألت :

- عم شعبان .

- السائق ... بخير ... ارتجاج بسيط في المخ .

استمرت في السؤال :

- السيارة النقل ...

وضع يده علي فمها وهو يجيب :

- السيارة التي صدمتك ... هربت ... الشرطة قيدت الحادث ضد مجهول ... لقد أجرينا لك عملية جراحية لتثبيت عظمة الفخذ بالمسامير ... ممنوع الكلام ... لأنه لازالت هناك رضوض في القفص الصدري ... مطلوب الراحة التامة .

دخلت عليها سكرتيرتها ... لم يكن لديها سوى زوجها :

- حمد الله علي السلامة ... أخيرًا سمحوا لك بالزيارة . التليفون لم يتوقف عن الرنين ... الجميع يسأل عن صحتك ... حرم الأستاذ الهضيبي في الخارج ...

كانت السكرتيرة تحمل في يدها ملفًا ... أوشكت أن تقدمه لها ... علي وجهها علامات قلق ... تحاول السيطرة عليه ... سحبها الحاج محمد زوجها وهو يقول :

- ليس هذا وقته يا علية ...

دخلت زوجة المرشد وهي تقول :

- حمد الله علي سلامتك ... يا حاجة ... فعلوها المجرمون .

خرجت منها تنهيدة ألم :

- هذا هو أسلوبهم ... لا يملكون غيره ... وكيف حال فضيلته ؟

- يسأل عنك ... ويدعو لك ... هو يقرأ حاليًا ملازم كتاب أرسله له الأستاذ سيد قطب .

أكملت :

- إعجابه به غير محدود ... قال هذا الكتاب حضر أملي في سيد ... ربنا يحفظه ... لقد قرأته ... ثم أعدت قراءته ... سيد قطب هو الأمل المرتجي للدعوة الآن ... لقد أحضرت لك الملازم ... اقرأيها ... ثم بلغي حميدة رأيك فيه .

قالت في حسرة :

- عطلوني عن العمل ... منهم لله .

ردت مطمئنة :

- لا تحملي همًا ... الأمور كلها منتظمة ... حصلنا علي مبلغ كبير من الإخوان في غزة وفلسطين ... أم أحمد قامت بتوزيعه ... هذه السيدة لا تكف عن الحركة رغم كبر سنها ... ومعها مجموعة مخلصة ... يجمعون كل ما يستطيعون من مواد غذائية ... ويقومون أيضًا باستغلال أوقات الفراغ في أشغال التريكو ... والمفروشات ... بل والمخللات ... وصنع الصابون البيتي ... يبيعون ... ويوزعون ... خلايا من العمل الجهادي ...

سألت في إشفاق :

- المستشار مأمون هو الذي أحضر المبلغ من غزة ... أليس كذلك ؟ .. أنا خائفة عليه ... منصبه كقاضي هناك في غاية الحساسية

- الحافظ هو الله ... نحن آل الهضيبي لابد أن نكون قدوة ... وفي الطليعة ... نتعرض للمخاطر كما يفعل الجميع .

- بارك الله فيكم ... لم يقل أحد أن إمامنا المرشد ... خاف ... أو تردد ... لقد تحملتم من الأذى ما تنوء به الجبال .

دخلت حميدة قطب ... سلمت ... ثم قالت :

- أري ملازم الكتاب معك ... وأحمل لك أخبارًا طيبة ... معي قائمة بمراجع أوصي الأستاذ سيد بقراءتها ... وأذكر منها الأم للشافعي ... وكتب التوحيد لابن عبد الوهاب ... والظلال ... كما أوصي – بصفة خاصة – دراسة مقدمة سورة الأنعام ... أما الكتاب فهو ينتظر رأي الإمام المرشد فيه ... ورأيك قبل إدراجه ضمن برامج الدرس ... أمامك شهر قبل موعد زيارتي له إن شاء الله .

علقت الحاجة :

- ربنا يبارك فيه ... وينفعنا به إن شاء الله ... ويفك أسره .

غيرت مجري الحديث ... أخبرتهم بتفاصيل الحوار الذي جري مع أمينة السيدات في الاتحاد الاشتراكي ... ثم أشارت إلي باقة موضوعة بجوارها :

- انظري ... من الذي أرسل هذه ؟

رفعت حميدة البطاقة وقرأتها :

- من مدام جليلة الأمين العام لسيدات الاتحاد الاشتراكي ... أطيب التمنيات بالشفاء ...

بدون دهشة ... علقت حرم المرشد :

- يقتلون القتيل ... ثم ... يسيرون في جنازته .

(7)

مكتب اللواء زهدي المسئول عن النشاط الديني جلس أمامه مساعده الغمراوي ... الرجل الثاني :

- قرأت تقاريرك ... هناك العديد من النقاط مطلوب إيضاحها .

- أمرك ... يا فندم .

- ذكرت أن حركة الصراع بين الإخوان في سجن القناطر قد اشتدت بين المؤيدين لفكر سيد قطب ... والمعارضين له .

- نعم ... المكفراتية يكفرون الجميع ... استنادًا إلي تفسير جديد لشهادة لا إله إلا الله ... يقول أن المسلم الحقيقي ... هو الذي لا يفصل في الاعتقاد بين شعائر الدين من عبادات ... وبين انفراد الله وحدة بالتشريع .

- بمعني ... ؟

قال ضاحكًا :

- بمعني أنا وسيادتك من الكفار .

لم يبتسم :

- هذا لديهم ... أنا أسأل عن مدي تأثير ذلك في الواقع ... وما هي النتائج المترتبة عليه ؟

- ولا حاجة ... مجرد هلاوس ... محصور داخل السجن ... بين ناس لديهم فراغ ...

- لا يا غمراوى ... هذا فكر خطير ... ما فهمته هو أن نظام الحكم عندنا كافر ... ورئيس النظام كافر .

- يا فندم ... وما الذي بيدهم ليفعلوه ؟

- يا غمراوى ... الخطر دائمًا يبدأ بالفكر ... ثم يتطور إلي الحركة والفعل .

- نحن لا نلعب يا فندم ... نحن نراقب ونتابع .

- طبعًا ... طبعًا .

- يا فندم هذا الفكر سبب انشقاقًا بين الإخوان ... وهذا عامل إيجابي .

- بدأت تشتغل شرطة ... مهمتنا زيادة هذا الانشقاق واستثماره .

- تعليمات سيادتك .

- طيب ... النظام المتبع في علاج المرضي من الإخوان المسجونين هو نقلهم من سجونهم إلي مستشفي سجن طره وعلاجهم يتم هناك ... مما ييسر لهم لقاء سيد قطب المقيم في هذا المستشفي ... وبالتالي يتلقون عنه فكره .

- مضبوط يا فندم ...

- هل إذا أعطينا التعليمات بزيادة عدد الذاهبين لمقابلة سيد قطب ... ألا يساعد ذلك في نشر الصراع ... وزيادة الفرقة ... والصراع .

فكر قليلاً ... ثم قال :

- يا فندم ... أخشي أن تأتي هذه الخطوة بآثار عكسية .

- كيف ؟؟

- يبدو أن هناك عوامل شخصية تتداخل في هذا الصراع الفكري ... بعض من قابل سيد قطب ينفي بفكره بتكفير المجتمع ... ويقولون أنه يصلي خلف إمام من المسجونين الجنائيين ... وينقلون عنه قوله ... نحن دعاه ... ولسنا قضاة .

- لا ... لا ... مادام الصراع بدأ ... فلن يتوقف ... أنا أخالفك في الرأي .
- علي كل حال يا فندم ... أنا أتابع ما يجري ...
- ضعني معك في الصورة ... أولاً بأول ... لأنني مهتم بمدي تأثير هذا الفكر الجديد عندما يتم الإفراج عن من أتم مدة حكم العشر سنوات ... والفترة الباقية عن ذلك هي شهور قليلة ... هم تحت سيطرتنا الآن ... ولكن من يضمن سلوكهم عندما ينالون حريتهم ...
- يا فندم اطمئن ... داخل السجن ... أو خارجه ... لا تفرق معنا .

انتقل إلي موضوع آخر .

- ما هي أخبار الدفعات التي تم الإفراج عنها من المؤيدين ؟
- نتابعهم يا فندم بالإجراءات المعتادة .
- ألم ترصدوا أي نشاط ؟
- التقارير كلها سلبية ... الجميع يواجهون مشاكل الحياة ... العودة إلي الوظائف ... استكمال الدراسة للطلاب بعد أن تخلفوا سنين طويلة ... بعضهم يواجه مشكلة حصول الزوجة علي الطلاق أثناء فترة السجن ، وعنده منها أولاد ... هناك مشاكل اجتماعية ومادية كثيرة تراكمت عليهم ...
- أنت تعرف أن التأييد الذي حدث في السجون ... حدث نتيجة الضغط ... ولا يمكن أن يكون صادقًا ... ونحن يجب ألا نطمئن إليه فليس هناك من يحب سجانه ... هي صفقة ... حصلوا علي ثمنها ... ونحن يجب أن نحصل علي استمرار بعدهم عن أي نشاط .
- يا فندم ... البعض منهم تبرأ تمامًا من فكر الجماعة ... واقتنع بأن طريق السلامة ... هو الأفضل .
- ولو ... البلد في حالة قلق ... من حرب اليمن ... والتربص الخارجي بها ... لابد أن نضمن سلامة الجبهة الداخلية ... وأنا لا أحب أن أراهن علي وضع يمكن أن يتغير ... والإنسان يصعب عليه أن يدفن ماضيه ... وخاصة الناس العقائديين .

قبل أن يجلس علي مكتبه ... علي الطرف الآخر من التليفون ... كان زهدي يستدعيه الحضور فورًا إلي مكتبه .

- خير يا فندم ؟
- تلقيت حالاً ... إشارة من رئاسة الجمهورية بالإفراج عن سيد قطب وزميله محمد هواش .

عقب في دهشة :

- هل هذا معقول ... بدون أخذ رأينا ... سيد قطب خطير ... وهواش أيضًا .
- الاثنين ... لديهم أمراض مزمنة ... ولا أظن أن باستطاعتهم ممارسة أي نشاط .
- سيادتك قلت ... القرار من الرياسة ... يا تري ما هو السبب ! ؟
- الوزير أخبرني ... بأنه نتيجة وساطة من رئيس العراق عبد السلام عارف .
- حاضر ... يا فندم .
- الإفراج عن سيد قطب اليوم ... أما هواش فيمكن الانتظار عليه بضعة أيام .

(8)

الضربة الثانية ... لم تتأخر كثيرًا .

لم تخبرها بها سكرتيرتها ... إلا بعد عودتها إلي المنزل ... الملف الذي منعها ... الحاج محمد من تقديمه لها عقب الحادث مباشرة ... كان يحتوي علي قرار حل جماعة السيدات المسلمات ... ومصادرة ممتلكاتها ... وإغلاق المجلة ...

المعني :

إغلاق ملجأ اليتامى ... وتشريدهم ... منع الخير والإعانات الشهرية لمئات من الأسر التي يعولونها ... وهو نشاط آخر بعيد عن

أسر المعتقلين من الإخوان .

قالت في مرارة :

- هل هذا معقول ؟ .. قلوب هذه أم حجارة ... آدميون هؤلاء ؟ .. بشر ؟؟

قال لها زوجها :

- وما العمل ؟
- سنرفع قضية ... لن استسلم ... قرار الحل باطل ... ليس من حقهم منع الخير عن الناس .
- وهل تظنين أنهم يبالون ... نحن في دولة لا تحترم القانون .

قالت في أسي :

- وهل لدى طريق آخر ؟

قطعت أم عبده الحوار ... لتخبرها بوجود زوار ... انصرف عنها زوجها كانوا

ثلاثة ... من لباسهم ... يبدو أنهم من العرب .

قال أحدهم ... في لهجة غريبة ... لم تهتم بها كثيرا :

- الأخوة في السعودية يهدونك السلام ... ويتمنون لك الشفاء .

ردت :

– شكرا ... من هم ؟

قال :

– الأخ سعيد رمضان ... وإخوانه مصطفي العالم ... وكامل الشريف ... ومحمد العشماوي .

أطرقت برهة ... ثم واصلت الأسئلة :

– ولكنكم لستم سعوديون .

– لا ... نحن من إخوان سوريا .

أخرج أحدهم مظروفا ... وضعه أمامه علي المنضدة :

– المبلغ ليس كبيرا ... مساهمة من الإخوان لأسر المعتقلين ... أعلم أنكم في حاجة إلي المال .

نظرت إلي المظروف ... ولم تتكلم .

استطرد الثالث :

– نحن علي علم بالمحنة التي يمر بها إخواننا في مصر ... والظلم الواقع عليهم من طاغية العرب الذي حاول اغتيالك ...

هه ... هيا ... أخرج ما في نفسك ... قالت تستدرجه :

– من تقصد ؟!

قال في حماس :

– وهل هناك غيره ... عبد الناصر الملعون ... اللهم خلصنا منه .

ازداد حماسا :

– تمنيت لو أن أحد من الإخوان طخه ... وخلصنا منه .

سكت ... ثم قال :

– نحن علي استعداد للمساعدة ... بالتمويل ... وبالسلاح .

نظرت تملا عينيها منهم ... ثم قالت :

– لم أتشرف بأسمائكم .

كأنما فاجأهم السؤال ... قال أحدهم متلعثما :

– عبد الله ... عبد الرحمن ... عبد المنعم .

قالت في هدوء ...

– خذوا فلوسكم ... الإخوان جماعة صدر قرار بحلها ... ونشاطها ممنوع ...

- أنصحكم بالرجوع إلي بلادكم قبل أن تقعوا في قبضة مباحث عبد الناصر .

تراجعوا مهزومين ... قالت وهي تودعهم :

- سلامي إلي إخوانكم في السعودية ... وفي ... مصر .

قال لها زوجها :

- كيف عرفت أنهم دسيسة ؟

- الأمر واضح من أول الأمر ... الحيلة بدائية ... وغير محبوكة ... أحدهم يحمل في يده كتابًا ... لم يكن سوي كاميرا ... حتى عدستها مثبتة بإهمال ومكشوفة .

قال لها :

- أظن ... أنهم أرادوا توصيل رسالة لك ... ليس غرضها الإيقاع وتوريطك في مؤامرة لاغتيال عبد الناصر ... وإنما هي رسالة ... مغزاها ... المضايفة ... والضغط علي أعصابك ... والإرهاب ... عملية ترويض ... وكسر إرادة .

- صدقت ... يا حاج محمد ...

وقفت السيارة السوداء ... أمريكية ... فاخرة ... نزل منها يمشي في ثقة ... وخيلاء ... أجلسته أم عبده في صالون الزوار .

- أهلاً وسهلاً .

قام ... مقدمًا نفسه :

- أحمد راسخ ... مباحث .

قالت باسمة :

- الاسم معروف ... فقد جاءني اثنين من قبلك ... كلهم يدعي أنه أحمد راسخ

بدت الدهشة علي وجهه ... التمثيل غير متقن .

قال :

- لا يوجد سوي أحمد راسخ واحد ... أنا .

قالت :

- ما علينا ... أتفضل يا أحمد بك .

اعتدل في جلسته ... ثم قال :

- سأكلمك بصراحة ... فأنا أعلم أنك تفضلينها .

- عظيم ... هات من الآخر .

- أنت تشكلين مشكلة لنا بنشاطك الإسلامي .

سكت لينظر أثر كلامه ... وجدها ثابتة ... قال :

- اتجاه الدولة ... هو الاشتراكية العلمية ... والقومية العربية ... والنشاط الإسلامي في رأيها ... معوق ... ورجعية ... والبعض يسميه ثورة مضادة .

سألته باسمة :

- وهل تؤمن بهذا الكلام ... الغليظ ؟

- يا حاجة ... نحن ضباط محترفون ... ننفذ التعليمات ... ونسير مع توجيهات الدولة .

قالت :

- هه ... والمطلوب ؟

- المطلوب واضح ... ببساطة ... التماشي مع الجو العام ... لا نريد منك انقلابًا فجائيًا ... ضد خطك الحالي ... وإنما لو كتبت عدة مقالات ... واختاري أكثر الصحف انتشارًا ... ستفتح لك بابها ... اختاري المواضيع بنفسك ... ولن تعدمي بما نعرفه عنك من براعة الأديب ... في تضمينها إشارة وتأييد لمواقف السيد الرئيس ... كتاباتك سيكون لها أثر طيب عند الرأي العام المتدين ... وسينفي عن الثورة – بطريق غير مباشر – الدعايات التي يروجونها في الخارج والداخل عن عدائها للإسلام ...

سكت قليلاً ... ثم مد لسانه ... بالجزرة ... الهدية :

- وسيترتب علي ذلك خير كثير .

العصا ... والجزرة ... أو ... السيف ... والذهب ... دائمًا .

آثرت أن يفرغ كل ما عنده :

- وما هو هذا الخير الكثير ؟

السمكة اقتربت من الطعم .

- سنعيد لك المجلة ... ونجمد قرار الحل ... ونقدم لك معونة سخية و ...

قالت تستحثه :

- و ...

- شوفي ... أنت سيدة مثقفة ... ومن أصل طيب ... سيدة مجتمع ليس مكانها وسط مجموعة من العجائز في جماعة السيدات المسلمات ... أنت أكبر من هذا بكثير ... لا يصلح لك إلا كرسي وزارة الشئون الاجتماعية ... مجال واسع ... ورحب ... لتقديم خدماتك ... ويظهر مواهبك

وإمكانياتك ... ولكن أنت تعرفين ... صاحب القرار ... لابد من أن يرضي ... والمقدمة هي إزالة الصورة السيئة التي روجها عنك أولاد الحرام .

أولاد الحرام ... هه ... ما أكثرهم يا أحمد بك ... يا ابن ... ال ... حلال ... هل هذا آخركم ... أحمد بك ... اللعبة انتهت ... أيها الحاوي الصغير ... جرابك فراغ ... ماذا لديك ؟؟ ... الوزارة ... مقعد في جهنم ... المحنة السخية ... حفنة من جمرها ... آه لو تعلي ... هي بيعة ... بيعة صدق مع البنا ... و ... مع الله ... يد الله ... فوق أيديهم .

حسمت أمرها ... قالت :

- وإذا رفضت عرضك ؟

قام واقفًا ... يبدو أنه لم يفاجأ ... استدار بظهره ... وقال :

- هه ... لقد أعذر ... من أنذر .

دخلت الصالون ... تستند إلي عصاها .

قالت له باسمة تداعبه :

- أراك مستيقظًا ؟؟ .. هل أنت مريض ؟

قال لها الشيخ عبد الفتاح :

- حمد الله علي سلامتك ؟؟ .. كيف حالك الآن ؟

- الحمد لله ... نزعنا المسامير من عظمة الفخذ ... وبدأت العلاج الطبيعي ... شفاء العظام يأخذ بعض الوقت ... أنا الآن في حالة تسمح لي باستئناف حلقات الدراسات التي انقطعت ... واقترح عليك الإقامة هنا في الفيلا .

رد في حيرة :

- كيف ؟

قالت : ...

- لقد فكرت في كل الترتيبات ... الاجتماعات تتم كلها قبل الفجر ... والشباب يحضرون كالعادة فرادي ... أما أنت فقد جهزت لك غرفة في الجنينة ستقيم فيها ... علي اعتبار أنك الجنايني ... وأم عبده ستقوم بالخدمة .

سكت مفكرًا :

- الله يكرمك ... وجزاك الله عن الدعوة خيرًا .

قالت :

- عندي لك خبر سيفرحك ... أفرجوا عن الأستاذ سيد قطب أمس .

تهلل وجهه ...

- هذا من فضل الله ... وكرمه .

- إن شاء الله ... سأسعى إلي لقائه ... وأرتب لقاءه معكم ... وبالتأكيد سيتم لقاء بينه وبين فضيلة المرشد علي اعتبار أنه ينوب عنه في قيادة التنظيم .

- نأمل إن شاء الله ... أن يعطينا الكثير من وقته ... فنحن في حاجة شديدة إلي نصائحه ... نرجع إليه في حركتنا ... خاصة وأن الشباب كلهم في سن متقاربة ... بما يسمح ببعض الخلاف .

سألته :

- أراك لازلت مهمومًا ... هل حدث شيء ؟

- جدت أمور ... أري أن أخبرك بها .

- خير ؟

- خير إن شاء الله ... الأخ علي عشماوي ارتكب خطأ كبيرًا .

تمهل ... ثم أكمل :

- أنت تعلمين أنه سافر للعمرة منذ أيام ... وعندما عاد أخبرنا بأنه طلب من الإخوان هناك أن يدبروا بعض الأسلحة أعطاهم قائمة بأنواعها ... والأكثر من ذلك ... اتفق معهم علي طريقة إدخالها من أفريقيا ... عبر السودان ... ثم إلي أسوان ... كل ذلك بدون اتفاق معنا أو أذن من أحد ...

أطرقت مليًا ... ثم قالت :

- سبق أن سألتك عن علي عشماوي ... ولم يكن لديك إلا القليل عنه .. أصارحك القول ... بأني لا أستريح له ... تصرفاته فيها اندفاع ... يتدخل فيما لا يعنيه ... ويسأل كثيرًا .

- هذه هي شخصيته ... والأخوة يفسرون ذلك بزيادة في الحماس للدعوة .

لم يبارح الهم وجهه قال :

- هذا الموقف الفردي ... أشاع القلق في نفسي من إجراءات الحيطة التي نتبعها ... وأظن أنها غير كافية .

قالت في محاولة لتهدأته :

- أنت تعرف جميع أعضاء التنظيم ... بالاسم .

- غالبيتهم .

- وهم أيضًا يعرفونك .

- ظروف التجميع هي التي فرضت هذه الطريقة .

قالت مؤيدة :

- طبعًا ... كما أنكم أقمتم عدة معسكرات جماعية في رأس البر ... وبلطيم ... وحصلت اجتماعات ولقاءات عندي هنا ... بمجموعات كبيرة .

استمرت :

- يعني أن مجموعات كثيرة تعرف بعضها ... وصغر عدد التنظيم ساعد علي ذلك ... فليس هناك سر بين الإخوة ... الجميع في مركب واحد ... وهدف واحد ... وليس هناك إلا الدراسة والتربية .

لازال مهمومًا :

- ليس هذا ما قصدت ... هناك معلومات لا يجب أن يعرفها إلا أصحاب العلاقة

- ماذا لديك ؟

- تذكرين أن بعض الإخوة – في بداية تعارفنا – كانوا يفكرون في اغتيال عبد الناصر ... وأثناء النقاش ... وعندما قالوا أنهم علي استعداد لتقديم عشرين أو ثلاثين شهيدًا في سبيل ذلك ... وجدت نفسي أقول لهم أن الأمر يمكن أن يتم – لو أردنا – بأيسر من ذلك ... ولكني أؤكد لهم ... وأثنيهم عن الفكرة ... خوفًا من أي عمل فردي ... أخبرتهم بأن لدينا واحد من الإخوان في حرسه الخاص ... ويمكنه القيام بذلك ... ولكننا لن نفعل المهم أن علي عشماوي ظل يلح ... حتى عرف اسمه .

- وطبعا أنت الآن أشد قلقا من أن يتصل به ... بعد أن طلب السلاح من إخوان السعودية بدون علمكم ... أو الرجوع إليكم .

- طبعًا هذا عمل خطير ... وقد وجهنا له اللوم جميعًا ... وهذه أول مرة يخرج فيها أحدنا بتصرف منفرد .

- وما التفسير الذي برر به فعلته ؟

- قال أنها كانت فرصة ... لكي يتحدث مع إخوانه هناك بحرية وجهًا لوجه ... وظروف الحديث معهم هي التي اتجهت إلي هذا الطلب ... فأراد أن ينتهز الفرصة التي قد لا تتكرر ... وعندما يعود سيخبرنا ... وعندئذ يمكن وقف التنفيذ ... في حالة الرفض ... وهو ما سيفعله مادمنا غير موافقين .

- ولكن ...

- نحن جميعًا مشدودون بحبل واحد ... ولا يجب أن يتحرك أحدنا منفردًا مهما كانت الظروف والأحوال ... خاصة وأننا نرفض جميعًا العمل العسكري وليس من أهدافنا .

قالت تطيب خاطره :

- استعذ بالله من الشيطان الرجيم ... وكل قضاء الله خير ... نحن نسير طريقًا كله مخاطر ... ومن يتوكل علي الله فهو حسبه ... أليس هذا كلامك الذي قلته لي ... من قبل

قال ... وقد هدأت نفسه :

- حسبنا الله ونعم الوكيل ؟

(9)

كانوا يتسللون فرادي ... في جوف الليل ... إلي فيلا الحاجة زينب ... في خطاهم ... وحذرهم ... صورة قديمة عمرها أربعة عشر قرنًا ... يوم كان الصحابة في صدر الإسلام – وقبل الجهر بالدعوة – يتسللون إلي دار الأرقم بن أبي الأرقم ... تجمعوا في الحديقة ... في غرفة الجنايني ... الشيخ عبد الفتاح إسماعيل .

عندما سمع الطرق الخفيف علي الباب ... قام زوجها الحاج محمد سالم من نومه ... فتح الباب ... أخذهم إلي غرفة المكتب ... أيقظ أم عبده ... طلب منها إعداد بعض الطعام ... والشاي .

أيقظ الحاجة زينب في إشفاق وهو يقول لها :

- بعض أولادك في المكتب ... وعليهم علامات الإجهاد والسفر

توجه إلي فراشه .

- عند الفجر ... أيقظيني لأصلي معكم .

كانوا عشرة ... يجمعهم هدف واحد ... لا يشغلهم – حاليًا – عنه أي شيء آخر ... هو ... استمرار التربية والتكوين ... والإعداد ... وغرس عقيدة التوحيد ... إلي متى عشر سنين ؟ .. عشرين ؟ .. أكثر ... أقل ... لا يهم ... هم علي الطريق ... طليعة فجر إسلامي يعيد إلي الأمة مفهوم الحاكمية لله وحده في جميع مجالات حياة البشر .. ويؤكد علي عقيدة الإسلام التي لا تتحقق بالعبادة وحدها ... وإنما بالتشريع الذي لا ينفصل عن الإيمان ... والحكم بالشريعة التي لا تنفصل عن ذكر الله .

قال عمر :

- هل سمعت يا حاجة ما يقوله بعض إخواننا الذين خرجوا بعد قضائهم عند سنوات في السجن ؟

ابتسمت الحاجة وأشارت :

- تكلم يا عبد العظيم ... فقد كنت معهم .

- هناك حقيقتان ... أبدأ بهما ... الأولي ... أن الحياة داخل السجن ... لها ظروفها ... السجين مقيد ... ومحروم من كل حقوقه الإنسانية البسيطة ... يتعرض إلي ضغوط نفسية ... تجعله في حالة استفزاز ... واستنفار عصبي ... الحقيقة الثانية هي تأثير الصفات الشخصية والقدرات العقلية علي الفهم والسلوك ... هذان العاملان ... كان لهما الأثر الكبير في تحويل ما تلقوه من فكر الأستاذ سيد عن مراده ...

الأستاذ سيد بعد استعراضه لحال الإسلام وما يتعرض له من حرب واضطهاد ... وهو ما لا يخفي علينا جميعًا ... أراد من الإخوان أن يصرفوا اهتمامهم إلي تعميق العقيدة في نفوسهم ... بالتربية ... والدراسة ... كأولوية أولي ... لا يصرفهم عنها غرض آخر ... إلا أن بعض الإخوان انطلقوا من هذه النقطة ... وبدأوا في تصنيف الناس ... ونصبوا من أنفسهم قضاة يوزعون تهمة الكفر حسبما يرون .

- نحن نعيش جميعًا وسط الناس ... ونعرف أن الغالبية العظمى تحت دينها ... وتري فيه خلاصها مما هي فيه من ضنك ... وبؤس ... الشواذ قلة ... صوتهم عالي ... وضجيجهم يهز مسامع الناس فيبدون وكأنهم رأي عام ... إلا أن ما نراه من سلوك الناس بين فشلهم ... الشاب العاصي ... المذنب ... ينصحه الرجل العادي فيقول له تب إلي الله ... يتوب عليك ويصلح حالك ... المتنازعون لا يفض نزاعهم إلا رجل صالح يثقون في حكمه الذي لا يكون إلا طبقًا لما قال الله ... وقال الرسول ... الناس بفطرتهم تواقون إلي التحاكم لشرع الله ... استمرارًا لتاريخ طويل ... وموروثات عن أجدادهم الذين لم يعرفوا إلا كتاب الله وسنة رسوله ... ورأي الفقهاء .

قال إبراهيم :

- سأنقل نص كلام الأستاذ .

أننا لا نكفر الناس ... هذا نقل مشوه ... إنما نحن نقول أنهم صاروا من ناحية لجهل بحقيقة العقيدة ، وعدم تصور مدلولها الصحيح ... والبعد عن الحياة الإسلامية إلي حال تشبه حال المجتمعات الجاهلية ، وأنه من أجل هذا لا تكون نقطة البدء في الحركة هي قضية إقامة النظام الإسلامي ...

ولكن تكون زرع العقيدة والتربية الأخلاقية الإسلامية ... فالمسألة تتعلق بمنهج الحركة الإسلامية ... أكثر ما يتعلق بالحكم علي الناس .

كان علي الشيخ عبد الفتاح أن يتدخل :

- فعلاً ... المسألة تتعلق بالحركة ... وهي متغيرة بتغير الظروف ... أنا صحبت الإمام الشهيد حسن البنا ... كنا في حرية ... ودعوتنا علنية ... نقيم الاحتفالات ... نخطب في المساجد ... وفي أي مكان ... نفتح الشعب ... ونقيم المعسكرات ... والرحلات ... ونستعرض طوابير الجوالة في الشوارع ... كان من أهدافنا الانتشار ... وكنا نقبل من الناس ما يستطيعونه ... كل من يتقدم لنا نأخذه بالحسنى وسعة الصدر ... لنتعهده بعد ذلك بالتقويم والتربية ... وفهم الدين ... وتعميق العقيدة . أما الآن فالظروف المحيطة بنا ... والاضطهاد الذي يلاحقنا ... يفيد حركتنا ... ويفرض علينا التخفي والسرية ... والتخندق بالحذر ... وبناء أسوار الحماية ... والوقاية ... نحن الآن أشبه ما يكون في حالة حرب دفاعية ... للمحافظة علي جذوة الدعوة ... وإبقائها مشتعلة ... إلي أن يأذن الله بنشر نورها ... ليعم الأرض كلها .

نحن كنا إخوانًا مسلمين مع حسن البنا ... والآن نحن إخوانًا مسلمين مع خليفته حسن الهضيبي الذي اختار سيد قطب قائدًا وأستاذًا لنا ... لا نغير ... ولا نبدل ... هدفنا في النهاية ... كما كان في البداية ... هو ... هو ... إقامة دولة الإسلام شريعة ... ومنهجًا ... مصحفًا ... وسيفًا ... عبادة ... وأخلاقًا ... وسلوكًا ... وسياسة ... واقتصادًا ... واجتماعًا ... ومن المنطقي أن نبدأ بأنفسنا ... لنكون قدوة للناس .

والآن جاء دورها لتتكلم ... قالت الحاجة زينب :

- أكثر الناس فهمًا لا إله إلا الله ... محمد رسول الله ... كانوا هم ... كفار مكة ... كانوا يدركون أن النطق بها هي لحظة فاصلة ... ينتقلون لحظتها من حياة إلي حياة أخري ... انقلاب كامل ... طبقًا لفهم الآية (إِنِ اَلْحُكْمُ إِلاَّ لله أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ إِيَّاهُ) والناس – كما يقول حسام – يغيب عنهم هذا الفهم ... لأنهم يعيشون تحت وطأة غسيل المخ الدائم ... أو محاولة تلويث المخ الدائم ... بحرب مستمرة علي عقولهم ... يقودها أبالسة أعلام هذا الطاغوت ...

- وأنا أذكر أنني تحدثت مع الأستاذ سيد ... هنا في هذا المكتب عندما زارني ... فقلت له ...

- إن منزلتي عند السيدات المسلمات تجعلهن تحترمني احترامًا عظيمًا ... ولكنهن علي استعداد لأن ينسفن هذا الاحترام ... إذا علموا أنني أرميهن بالكفر ... أو أحد من أقاربهن استغرب هذا التهم وقال أنه ينوي أن يوضح ذلك في الجزء الثاني من المعالم ... كما كان يقول دائمًا ... عندما

تعرضون الإسلام علي الناس ... أعرضوه بوضوحه ... ونصاعته ... وإياكم أن تعرضوا عليه النتائج ... اتركوا المستمع لكي يستنتج موقعه في أي مرحلة هو من هذا الدين .

(10)

في بهو الشقة الفاخرة ... تقدم شاب ... فارع الطول ... أسمر الوجه... لين القسمات ... رفع يده بالتحية ... ومع دقة الكعب ... غاص حذاؤه أكثر في نسيج السجادة العجمي .

- تمام يا أفندم ... الراقصة وصلت .

نظر مبتسمًا في ود وقال :

- بمفردها ؟

- لا يا فندم ... معاها السندريللا .

استمر في ابتسامته ... غمز بعينه :

- فقط ؟

- الثالثة ... بعد إذن سيادتك – حاجة خاصة بي ... ملاكي ... من أجل الورد يسقون العُلَّيق .

ارتفعت ضحكته وهو يشير إلي الباب :

- خذ الملاكي إلي الشقة المجاورة ...

قبل أن ينصرف ... استوقفه مناديًا :

- فريد ... لا تنس المرور علي الحراسة تحت ... اطلب لهم عشاء من الكبابجي ... مع الحلو والفاكهة ... ابسطهم ... أما أنت فهديتك عندي ... زجاجة ويسكي واردة من باريس اليوم .

التحية – هذه المرة ... هزت – في حماس مدفوع الثمن – أرضية الشقة ... قال وهو ينسحب بظهره :

- شكرًا يا فندم ... نحن غرقي خيرك .

كان يجلس علي شلتة ... موضوعة علي الأرض ... يستند بظهره إلي أخري علي الحائط ... كان يلبس جلبابًا فضفاضًا عندما اقتربت منه الراقصة وهي تدق الأرض بكعبها ... وترفع يدها بالتحية مقلدة تحية فريد :

- تمام ... يا حلو .

رسم ابتسامة علي وجهه ... لم تعجبها

- الحلو ... ما له ... مهموم ؟؟ .. ولا يهمك ... حالاً يبدأ الدلع والشخلعة ... عندي الدوا ... والشفا ... هيا يا سندريللا جهزي القعدة .

بدأت السندريللا تصب كئوس الويسكي ... ثم تمد يدها إلي (الجوزة) وتمسك قطع الفحم المشتعل بالملقاط ... ترصها فوق الدخان المعسل ... تدس بينها قطعة الحشيش ... حتى إذا استقرت مكانها ... بدأت تجذب الأنفاس فيزداد وهج الفحم ... ويخرج الدخان الأزرق من فمها وأنفها ...

عندما اطمأنت إلي انتظام عملية احتراق الحشيش ... ناولت الجوزة إلي الراقصة ... التي جذبت عدة أنفاس . تقدمت ... في حركة لولبية ... وهي تضع مدخل الجوزة في فمها :

- اتفضل يا باشا ... بالشفا ... هئ ... هئ ... هئ .

الشغل بدأ تجردت من ملابسها ... ثم أدارت أسطوانة اللحن الراقص ... سحبته من يده فقام واقفًا ... لفت قميصها حول وسطه وهي تغنج :

- ارقص ... هز ... يا باشا .

دق جرس الباب ... لم ينزعج ... نظر بحدة ليري فريد أمامه وهو يقول :

- لا مؤاخذة يا فندم ... العميد سعد يقول أن الأمر هام . لم يكمل كلامه ... فقد أزاحه القادم ... ليظهر جدار آدمي داكن الوجه ... غائر القسمات ...

قال دون أن يهتم بما يراه :

- يبدو أن هناك تطور خطير في قضية حسين توفيق .

خلع القميص الملتف حول وسطه ... سكب كأسه وهو يدفع العميد سعد أمامه إلي غرفة جانبية .

بدأت الراقصة في ارتداء ملابسها .. وتلملم حالها وهي تقول :

- وكسة ... ليلة نكد ... هيا يا بنت نبحث عن شقة أخري نكمل فيها الليلة .

جلس مسترخيًا ... في مواجهة العميد سعد .

- خير يا سعد ؟

- حسين توفيق ... اعترف بأنه كان يريد قتل الرئيس بعد أن واجهناه بالجنايني الذي بلغ عنه ... والذي اشتري له الطبنجة .

- الجنايني الذي كان يعمل لدي فيلا الأسرة في المعادي ؟؟

- مضبوط ...

- ابن الـ (.....) هذا ... ظن أن الزمن يمكن أن يرجع إلي الوراء ... قتل أمين عثمان عميل الاستعمار الإنجليزي ... قلنا وطني غيور ... هرب من السجن ... انبهرنا بشجاعته ... ذهب إلي

سوريا فتآمر علي رئيسها الشيشكلي ... فتدخل الريس وأنقذه من حبل المشنقة ... ثم ساعده علي الهرب ورجع إلي مصر ... وقام بتعيينه موظفًا في شركة بترول مع دخل محترم ... وبدلاً من أن يشكر ويمتن ويحفظ الجميل ... يسارع بالغدر ... وبعض اليد التي أكرمته ... ويتآمر علي قتل الرئيس ... ويتآمر علي الثورة ... يزايد علي وطنية الرئيس ... من يكون وطنيًا إذًا ؟؟ .

- يا فندم ... الثورة لن ترحم أعداءها ... لقد رأي في السجن الحربي أنيابها .
- طبعًا ... اعترف علي أعوانه .
- ولكن ... حدثت مفاجأة .

أنفاس الحشيش طارت ... جفونه نصف المنسدلة علي عينه ... انفتحت علي آخرها ...

استمر العميد سعد :

- عندما استجوبنا المهندس سامي عبد القادر زميل حسين توفيق عما إذا كانت له صلة بالإخوان ... قال أنه يعرف واحد اسمه يوسف القرش من سنفا ... محافظة الدقهلية ... وأنه رأي عنده قنابل .

أصبح جسده مشدودًا علي آخره ... رجعت إلي وجهه قسماته الحادة قال :

- هل قبضتم عليه ؟؟
- الشرطة العسكرية بقيادة الرائد رياض في طريقها إلي هناك ... وأنا هناك في انتظار اتصال منهم ... خلال نصف ساعة .

نصف ساعة ... وقت معقول يناسب استئناف القعدة في الصالة ... لازالت النار مشتعلة في الجوزة ... وزجاجة الويسكي مع الكئوس ... وضع العميد سعد جهاز اللاسلكي أمامه ... وشرعًا في ضرب الأنفاس ... مع رشفات من الويسكي .

عند أول إشارة من الجهاز ... فتح العميد صمام الصوت ويصيح في حماس :

- نعم ... يا رياض .
- تمام يا فندم ... وجدنا قنبلتين من النوع المستخدم في الجيش .
- وهل قبضتم علي القرش ؟
- لم نجده ... قبضنا علي أخوه ... وثلاثين شخصًا اشتبهنا فيهم ... وأخذنا مراة القرش رهينة .
- والمعلومات الأولية ؟

– القنابل سرقها من وحدته صول اسمه عبد اللطيف شاهين ... باعها أخوه ... فلاح اسمه سالم ليوسف القرش نظير علية سجاير ... أما يوسف القرش ... فقد أخبرنا أخوه بأنه موجود عندكم في القاهرة لدي شخص اسمه حبيب عثمان ... وقد اتصلت بالسرية كي يرسلوا قوة للقبض عليهم ...

علق في غيظ :

– ابن الـ ... كاااا لب ... يبيع قنبلتين بعلبة سجاير ؟؟ .. اذهب يا سعد ... جهز السهرة ... في السجن الحربي .

نهض العميد سعد واقفًا ... وانصرف .

حسب الأقدمية ... العميد يرأس العقيد ... ولكن ...

في الواقع ... والسيطرة ... وحسب قاعدة ... السلطان لمن غلب ... ولمن سبق ... وجلس علي الكرسي فالعقيدة شمس هو الرئيس ... بحكم منصبه كمدير لمكتب المشير .

قعدة الجوزة ... ومؤانسة الكاس شيء ... وأصول المهنة شيء آخر ... الخلط بينهم غير مأمون العواقب ... يا ولدي ... فهو يعلم من هو العقيد شمس ... وما أدراك ما العقيد شمس ... شيطان ... تسلل ... وتسلق ... ومارس جميع أنواع الاكروبات ... وألعاب الهواء ... والليل ... ولَبدَ في الذرة ... حتى أصبح المسئول الأول عن الأمن ... حظ ؟؟ .. أحيانًا ... فهم الفولة ؟؟ .. نعم ... إخلاص ؟؟ .. لمن ؟ .. خدام .. وتابع ؟؟ .. كمرحلة ... نعم ... ودرجة صعود علي السلم ؟؟ .. نعم ... ذكاء ؟؟ .. إذ كان الشر ذكاءً ... ألف نعم ...

تعلم أن ينام مثل الذئب ... وإحدى عينيه مفتوحة ... صاعق في غدره ... استطاع أن يتسلل إلي قلب وعقل المشير الذي يدير عمله بعقلية العمدة الجالس علي المصطبة ، ولديه كتيبة من الخدم والحشم ... يغدق عليهم ويفك عليهم أزماتهم فيتفانون في خدمته ... والولاء له ... استطاع العقيد بدهاء الفلاح المنوفى أن يصبح هو الباب ... وهو المفتاح ... تخلص من جميع منافسيه في المكتب .

وآخر مجموعة ... لازالت رهن الاعتقال في السجن الحربي ... والتهمة – المعتادة – هي ... قلب نظام الحكم ... السكة مفتوحة ... والطريق سالك ... هو ... وهو وحده علي الحجر ... يرجع إليه في شغل المناصب القيادية ... ولا يتم الحصول علي منحة أو هبة إلا من خلال أصابعه ... كان يدرك هوس عبد الناصر ... بتأمين نفسه ... فكان عليه أن يقدم كل فترة مؤامرة لقلب نظام الحكم ... أو محاولة تمرد فردية ... أو خبصية ... أو فضيحة جنسية ... بالصوت والصورة لواحد من الذي عليهم العين تصلح لابتزازه وتركيعه ... والأدوات ؟ .. معروفة ... نشر الجواسيس ... وأجهزت التنصت ... والتصوير ... وتجنيد كتائب الراقصات ... وخبيرات أهل الفن ... ويدعم

لك كله السجن الحربي المجهز بكل المعدات وأدوات إخراج مكنون الصدور ... وكشف المستور ... والعمدة هو الكرباج ... السوداني ... المنقوع في الزيت المغلي ... الذي علي الجسد يهوي ... وعلي الرأس ... يدور

شيطان الجن .

شيطان الجن ... رجيم ... إبليس ... الملعون ... شغلته ... مهمته ... تزويق الخطيئة ... و ... تزيين المعصية ... فنان في تسويق معدات خراب النفوس ... وتدمير الوجدان ... وسبيله إلي ذلك هو التحريض ... الإثارة ... اللعب في الدماغ ... نظام وسوسة ... ورغم ذلك فليس له سلطان ... ولا أيدي يمسك بهما الزبون ويدفعه ... أو يقوده إلي كبيرة أو ذنب ... وكل ما يملكه هو منظومة الغواية التي تخل بعملية الاختيار بين الهداية والضلال ... لذا كان كيده ضعيف ... يصرفه عن الإنسان ... استعاذه بالله منه ... وذكر ... وتقرب من الله .

شياطين الإنس ... أي نعم ... هم التلاميذ الذين هضموا منهج إبليس الأب ... ومارسوه باحتراف ... إلا أنهم يملكون معه القدرة علي اللعب في الأجساد ... وتكسير الرءوس والأطراف ... وشرب الدم ... وإزهاق الأرواح ... ومصادرة الكرامة ... والتضييق علي الأرزاق ... وتشتيت الأعوان ... وتمزيق الروابط ... وسفح آدمية البشر ... ومنع كل حق منحه الله له ... وبلغ جبروت مستوي الاحتراف في الاستعانة بكل من تشوهت فطرته ... وشاع نفاقه ... واستأصلوا ضميره ... وتضخمت غرائزه لتقوده إلي أسفل سافلين . هي ثورة ... ليس علي حجرها كبير ... شعار عبد الناصر المثل الأسفل ... أكل أصحابه ... ورفاقه واحدًا ... واحدًا ... وثورًا أبيض بعد ثور أسود ... جمع حوله كل الصغار ... أصحاب الطموح ... وكل من يضع كل شيء تحت قدمه ليرتفع عليها درجة في السلم ... رباهم علي الغدر ... وضع القاعدة ... أما أن تكون غادرًا ... أو ... مغدورًا به ... قاتل ... أو مقتول دهسًا تحت الأقدام ... والصرم ... أطلقهم في سباق وتنافس ... وصراع ... هو الفائز في كل الأحوال ... أو ... هكذا يتصور ...

النموذج المقالي ... لواحد من شياطين الإنس ... هو هذا العقيد .

والنموذج الخاسر في هذه الحلبة ... هو عبد الرحمن مخيون .

الذي كان زميل سلاح لعبد الناصر في حرب فلسطين ... انضم إلي ضباط الانقلاب ... كانوا يعقدون الاجتماعات في بيته في مرحلة التجهيزات الأولي ... يعني ... صداقة ... وثقة ... ظل مديرًا لمكتبه إلي عام 1961 ... تسع سنوات يحفظ أسراره ... وينفذ رغباته ... بلغت الثقة أن أرسله إلي أمريكا بجواز سفر سري باسم مستعار ... في بعثة ليدرس أساليب المخابرات ... الذي

جهز له جواز السفر ... زكريا محيي الدين ... تسعة أشهر ... لا يخرج من مبني المخابرات الأمريكية ... إخلاص ... تفاني ... عندما عاد ... يري ... ويسمع ... ثم تكلم ... خانه ذكاؤه ... فارتكب المحظورات الثلاثة ... نسي قواعد اللعب ... صار بيدي ملاحظاته الشخصية علي تصرفات عبد الناصر ... اختل إدراكه عندما ظن أن السنين لم تفعل فعلها ... وأن زميل السلاح صار رئيسًا للدولة ... ومضيف جماعة الانقلاب ظل مكانه ضابطا .. موظفا عنده ... مسافة لم يحسن قياسها .. وكان لابد من تصفيته ... بدأ بإطلاق شلوت قذفه إلي مخازن الكهنة ... وهي عقوبة لو قدرها حق قدرها ... لاعتبرها هبة ... ونعمة ... قياسًا علي ما حدث لغيره ... لم يتركوه ... تابعوه ... لاحقوه ... فاكتشفوا أنه يضمر الانتقام ... ثم ... أصدر منشورات يفضح فيها تصرفات زميل الأمس ... وطاغية اليوم ... ولعبوا معه ... لعبتهم المكررة ... دسوا عليه ضابط مخابرات ... و ... اصطادوه ... وفي السجن الحربي ... لا تشفع صرخة ... يا أمي ارحميني

وكانت واحدة من التهم الموجهة إليه هي :

الاتصال بمخابرات أجنبية والسفر بجواز سفر مزور .

(11)

بعد انصراف العميد سعد ... جلس العقيد ... أشعل سيجارة ... انتظر لحظات ... غارقًا في التفكير . توجه إلي التليفون ... طلب رقمًا .

– أنا ... أفندم ... نظرية سيادتك عن الإخوان لا تنزل الأرض ... معلومات المخابرات وردت من الخارج ... يبدو أنها صحيحة ...

– ما هو الجديد ؟

– السنارة غمزت يا فندم ... لدينا طرف خيط ... سنبلغ سيادتك أولاً ... بأول ... عندما تتضح الصورة .

– هذا ما توقعته ... وأخبرت به الرئيس ... الداخلية ليست علي المستوي ... والمباحث نايمة في العسل ... رجالنا ... هما حماة البلد .

– يا فندم ... الشرطة جهاز مدني ... لا يعرف الضبط والربط ... علاج البوظان ... هو عزل الوزير الشورطجي ... ويحل محله من رجال سيادتك ... وزير من المخابرات .

– شد حيلك ... وخلص ... عندئذ لن يصبح أمام الرئيس إلا التسليم .

– أنا عندي تفاؤل جامد ... وستسمع أخبارًا طيبة ... قريبًا جدًا .

مكتب وزير الداخلية عبد العظيم فهمي

يدخل اللواء زهدي ... يقول مندهشًا

- خير يا باشا ... حضرت فجأة من الإسكندرية .

أشار بيده في كدر :

- أوامر المشير ... يا سيدي .

زاد فضوله :

- كان من المفروض حضور معاليك ... غدًا بعد مغادرة الرئيس إلي جده ... والاطمئنان علي إجراءات الأمن .

استمر وكأنه يحدث نفسه :

- أنا متأكد أن شمس اتصل الآن بالرئيس ... وقال له أن وزير الداخلية ترك الإسكندرية ... وقال له أن وزير الداخلية ترك الإسكندرية ... وهي زاخرة بخلايا الإخوان المسلمين المتربصين لاغتيالك ... والقضاء علي النظام ... وحضر إلي القاهرة لغرض غامض .

- التشكيك في كفاءة الشرطة ... وولاءك .

- هذا هو هدفهم .

- ولكن لماذا طلب منك المشير العودة ؟

- قال أن القاهرة كادت تقع في يد انقلاب ينظمه الإخوان المسلمون ... والمخابرات أنقذت أعناقنا بأعجوبة من الشنق ... وأنت ووزارة داخليتك نائمون في العسل .

- وهل تقبل هذا الكلام ؟؟

قال في ثقة مهزوزة :

- قلت له سيادتك تشير إلي تقارير ثبت أنها غير صحيحة ... ولا توجد مؤامرة إخوانية ... ولا حاجة ... وأنا مسئول .

رد في غيظ :

- وكمان بتكذب تقارير المخابرات ... علي كل حال ... تأخذ الطائرة إلي القاهرة الآن ... ولنا بعد ذلك كلام .

قال زهدي :

- هل كان يقصد التقارير التي جاءتهم من أمريكا وروسيا عن كتابات سيد قطب ... وأخوه محمد ... في مواضيع الجاهلية ... والحاكمية ... والكلام الفاضي المعروف لدينا ؟

- نعم ... ولكن كالعادة ... الموساد هو الذي وراء مخابرات أمريكا ... وروسيا يعملون من الحبة قبة ... ويبدو أنهم صوروا البلد وكأنها في حالة ضياع ... خاصة مع مشاكل حرب اليمن ... وموقفنا الضعيف ... مما دفع الرئيس للتنازل بالذهاب إلي الملك فيصل ... الذي وصفه في إحدى خطبه بأنه (....) السعودية ... طبعًا الوضع الداخلي ... نحن أدري به .

- ولكن ليست هذه هي المرة الأولي لمثل هذه التقارير المضروبة ... كان الريس يسألنا عنها ... ويأخذ برأينا ولا يعيرها التفافًا .

- يبدو لي . أنه قد يجدها فرصة ... لأن يلعب بورقة الإخوان ... الخروج من مأزقه الخارجي ... والداخلي .

مضت فترة صمت طويلة ... قطعها زهدي :

- وما العمل ... يا باشا ؟

لا يوجد سوي حل واحد .

- ما العمل ؟ .. العمل أن نسير مع التيار ... افتح القلعة ... وأبو زعبل ولنضرب ضربات استكشافية ... هه ... لعل ... وعسي

(12)

حفلات الاستقبال في السجن الحربي ... عرض مستمر ... بابه مفتوح دائمًا ... كلما ألقي فيه فوج ... طلب المزيد ... الرئيس لا يشعر بالاطمئنان ... إذا خلا من زواره ... وكأنه فندقًا يدر عليه دخلاً ... الرئيس يركبه هاجس الثورة المضادة ... ولا يفارقه أنه يومًا تآمر ... ودبر ... وتخفي ... وتسلل ... وبات يحلم ويجمع ويطرح ... وِسْواس ... لا يفارقه خوفًا بمن يتربص به ... لم يتوقف لحظة عن تصفية من حوله ... وضرب كل من شك فيه ... دائمًا ... وأبدًا ... شعاره ... الغداء به ... قبل أن يتعشى بك ... طابور طويل من الأعداء ... والعداء ... هل من المعقول ألا يدبر أحدهم مكيدة ... أو حتى محاولة لأخذ بثأره .

كل حين يتصل به شمس ... ليبشره ... بالعمار ... وبعدد النزلاء ... حتى أصبح شغله الشاغل ... ولعبته التي أجادها ... هو ... إشباع قلقه ... بالمزيد من القلق ... حتى أصبح شمس هو المورد الوحيد لزبائن السجن الحربي ... والسمسار المعتمد . وهو سعيد بالثقة ... من القطبين ... يلعب علي الحبلين ... في ثبات ... رجل المشير ... نعم ... لا يخفي ذلك ... وما المشير إلا التائب ... والرئيس ... هو الرأس ... حقق المعادلة ... وجمع بين الصعبين ...

أصبح رجل المهمات ... أسندوا له عملية تصفية بقايا الإقطاع ... فسارت الركبان ... بما فعله مع عائلة الفقى ... وإعلانه قرية كمشيش ... أرضًا مغلقة مستباحة لجنوده ... فأطلقهم تتارًا يكتسحون الأخضر واليابس فاكتسب إلي خبراته ... ما جعله أهلاً للتعامل مع الأمن المدني . وكانت قضية حسين توفيق ... هي البداية ... لفتح جديد .

أهل سنفا ... قذفوا بهم إلي السجن الحربي ... في فترة – كان يمر فيها بحالة نادرة من الركود ... العساكر في وضع استرخاء ... قضية حسين توفيق ... لم تأخذ من وقتهم الكثير ... كرباج والثاني ... صفعتين ... وركلتين ... و ... كان الاعتراف ... ودارت العجلة ... عندما شاهدوا الجلاليب ... تهل ... وقطيع الفلاحين ... وسمعوا اسم الإخوان ... أدرك الزبانية أن أيام الشغل قد هب ريحها ... وليالي النوم والكسل ... قد ولت ... وانتهت ... و ... أعلنوا حالة الاستنفار .

بدأت المحرقة

صوت يوسف القرش – سيء الحظ – أول ما تعرض لعاصفة الكرابيج التي اشتاقت إلي الدم .

- يا رب ... يا ... رب .

يجاوبه صوت حبيب ...

- يا الله ... يا الله .

وصراخ ثلاثون فلاحًا أخذوهم من الدار ... إلي النار ... يدورون في هلع ... ورعب في دائرة أحكم حلقتها حاملو الكرابيج ... يحرثون أجسادهم بشفراتها فيشقونها خطوطًا ينبع منها الدم .

قال العميد سعد :

- تكلم يا قرش ... أنت من الإخوان ... ليس لديك فرصة للإنكار ... من هم أعضاء أسرتك ... وماذا كنت ستفعل بالقنابل ؟

- إخوان ؟ .. أنا تركت الإخوان من زمان .

الضرب لم يتوقف ... والحفل ساهر ...

والإنكار صامد .

حضر شمس ... قال في حسم :

- ليس لدينا وقت ... أحضروا زوجة القرش .

نادي ثور آدمي أسود الخلق ... و ... الخلق ... وصار محرضًا :

- أمام زوجها ... أفعل فيها الفاحشة .

المتكلم هذه المرة هو حبيب ... انهار ... خارت قواه ...

- اتركوها ... اتركوها ... سأتكلم .

اعترف علي نقيب أسرته ... مصطفي الخضيرى .

مكتب وزير الداخلية ... في المقابل يجلس اللواء زهدي . الوزير يطلب تعليق مكالمات التليفون ... يلتفت :

- الريس اتصل بي من موسكو ... يسأل عما لدي عن الإخوان ... التقارير وصلته عن وجود تنظيم لهم ... وطلب مني مساعدة المباحث والشرطة العسكرية .

ظل ساكنًا ... استطرد الوزير في قلق :

- يبدو أنهم اكتشفوا شيئًا ... وأقنعوه بنقل ملف الإخوان إليهم .

قال زهدي ... وقد أخذته المفاجأة :

- يا فندم ... أنا لا أصدق هذا الكلام ... قد يكونوا قد اكتشفوا محاولة ... أو حتى تجمعًا ... هنا ... أو هناك ... يقرأون (شوية) قرآن ... وكم حديث ... ولكن الكلام الكبير عن تنظيم يهدد أمن البلد ... فهذا كلام منفوخ فيه ... لغرض في نفس أبو قردان ... خاصة لوضعناه في إطار الصراع للسيطرة علي أجهزة الأمن ... بين الريس ... والمشير ... سيادتك تذكر أن الريس أراد التخلص من المشير عقب انفصال سوريا ... محملاً إياه مسئولية الفشل هناك ... ولكن المشير عاد بما يشبه الانقلاب ... وبسلطات أكبر ... و ...

قاطعه :

- هذا موقف قديم ... و ... انتهي .

- لا يا فندم ... لم ينتهي ... المشير أدري بصديقه ... والحاشية حوله لا تأمن للريس أبدًا ... بعضهم يلعب علي الحبلين ... ولكنهم في الأول والنهاية ... مصلحتهم مع المشير ... لسبب بسيط ... أنهم متأكدون من أنه – ليس من صفاته – الغدر برجاله ... سيادتك نسيت ... ظروف عودتك آخر مرة من إسكندرية .

قال مؤمنًا :

- ليس هناك ... أفضل من ورقة الإخوان ... يلعب بها الجميع ... الريس ... قبل المشير .

استمر زهدي في تأكيد :

- يا فندم الجماعة انتهت فعليًا ... في ضربة 54 ... سيادتك كنت محققًا في السجن الحربي ... وكنا معك ... المحاولات التي تمت بعد ذلك في مارس 1955 ... كان تنظيمًا ماليًا ... وتم تصفيته ... وآخر مجموعة في يوليو 1955 كانوا مجموعة من العيال الطلبة ... ولو كانت الظروف

عادية ... لكنا اكتفينا بعملية التأديب التي تمت ... بدلاً من تقديمهم للمحاكمة ... ومنذ ذلك الحين ... لا حس ... ولا خبر ... متابعتنا مستمرة ...

- الوضع اختلف الآن ... هناك أعداد كبيرة تم الإفراج عنهم .
- يا فندم ... هم أيضًا تحت نظرنا ... وملاحقاتنا .
- طيب ما هي أخبار القلعة ... و ... أبي زعبل ؟
- قبضنا علي مجموعات ... خاصة ممن قضوا مدة السجن بالكامل خمس سنوات وعشر سنوات ... وكانوا يرفضون التأييد ... و ... اشتغلنا معهم ... ولكن ... النتائج سلبية .
- أخشي أن يكون الضباط يعملون بلا حماس .
- فعلاً يا فندم ... البعض فقط ... لأن متابعتهم الميدانية تقول أنه لا يوجد نشاط يهدد ... وأن الحكاية كلها مفبركة لوضعهم تحت وصايا رجال المشير ... وإهدار جهدهم ... وكفاءتهم ... خاصة بعد أن رأوا العقيد شمس ... يزور القلعة ... ويتدخل في التحقيق .
- أنا لا أحب أن أسمع هذا الكلام ... لابد من أن نؤدي واجبنا بصرف النظر عن أي شيء .
- أنا موافق سيادتك ... ولكن وجدت من واجبي أن أذكره لسيادتك ... وأيضًا ... وأنا لن أترك أي تقصير بدون حساب .
- أريد تقارير كل ساعة عن الوضع ... وأرجو أن يركز الضباط ... علي أفكار سيد قطب ... لأنها محور التقارير الواردة من الخارج .
- نحن قبضنا علي محمد قطب ... وسنقبض علي سيد أيضًا ... حتى يرتاح الجميع منهم ... تذكر سيادتك أنني اعترضت علي الإفراج عنه .

دخل مدير المكتب ... مستأذنًا :

- سكرتارية رئاسة الجمهورية علي التليفون ... يا فندم .

رفع الوزير السماعة ... كان وجهه يتلون مع ما يسمعه ... وضع السماعة ... في يأس ... وقال ... :

- انتهي الأمر يا زهدي ... الأوامر ... اعتقال جميع الإخوان الليلة ... الرئيس سيعلن ذلك من موسكو بعد إتمام العملية ... أوامر لكل الفروع ... إعلان الطوارىء ... استدعاء الإجازات ... ترتيب القوات ... والسيارات ... استعينوا بالسيارات الأجرة وجهزوا الأقسام .

أدرك زهدي ... أن أيامه هو والوزير أصبحت معدودة ... لا ... بل أن المصير قد يتحرك خلال ساعات ... وربما لا يكمل فنجان قهوته في مكتبه . انفرط لسانه ... فلم يكن هناك ما يدعو إلي الحذر .

قال :

- أكثر من خمسين ألف ... في ليلة واحدة ... ما هذه الهستريا ... ولماذا الإعلان من روسيا ؟

أضاف ساخرًا :

- لعل السبب ... هو أن جيوش الإخوان ... ودباباتهم تتقدم ... نحو القاهرة .

(13)

أخبار الاعتقالات تتواتر ...

بعد محمد قطب ... وتفتيش عشته في رأس البر ... ومنزله في حلوان ...

- وحتى يبث الطمأنينة في نفوس أعضاء التنظيم ... ويهديء من روعهم ... قام الأستاذ سيد قطب إرسال احتجاج إلي إدارة المباحث ... حملها ابن أخته إلي الضابط أحمد راسخ ... الجو كان مختلفًا ومتوترًا بين رجال الداخلية ... فكان من الطبيعة ألا يهتموا بها ... بل ... واعتقلوا الأستاذ سيد نفسه .

زارها الشيخ عبد الفتاح ... وطلب من الحاجة زينب أن تتصل بالمرشد الموجود في الإسكندرية ... فأرسل السيدة حرمه إلي القاهرة لتكون حلقة وصل بينهما ... كما رتب الأخ مرسي مصطفي مرسي لينقل الأخبار بينه وبينها .

الشيخ عبد الفتاح نفسه اتصلوا به من البلد ... وأخبروه بأنهم يبحثون عنه ... وقد أخذوا أخاه رهينة ... ولكنه لم يعلم بأنهم انتزعوا من علي عنوان الشيخ عبد الفتاح فايد ... خطيب بنت الشيخ محمد عبد المقصود ... الذي يسكن في المطرية ... كواحد من الأماكن الذي يتردد عليها .

عندما اقتربت القوة المهاجمة من المنزل ... كانت الألوان تتلألأ ... والمعازيم ... والإنس ... فقد كانت ليلة زفاف العريس ... الكرسي في الكلوب ... أخذوه ... مع نسيبه ... إلي السجن الحربي ... ليتم الزفاف الكبير ... وتصبح الدخلة ليلة من ليالي العمر ... التي لا يمكن نسيانها .

الشيخ فايد ... العريس ... كان هو الوليمة التالية لوحوش السجن الحربي ... وبجوار صهره العجوز ... لا يسمعان سوي أمر واحد

- تكلم .

- ثم سيل من السباب ... مفتوح لا ينقطع ... ينبع من أفواه المجاري ... الشيخ العجوز ... سقط من أول حذاء ميري يضرب ظهره ... ثم تناولته الأرجل رفسًا ... بينهم . أما الشيخ فايد ... فبعد ساعة واحدة ... كان جسده ورجليه ينزفان دمًا ... تشقق الجلد ... وتهتك اللحم شظايا علي أطراف الكرابيج أما الوجه ... فلا أنف ... ولا شفتين ... ولا وجنات ... ولا خطوط فاصلة ... وإنما صار قطعة واحدة ... منتفخة حتى العينين ... طمسهما الورم و ...

انكسر الصمود .

اعترف علي المجموعة التي كانت معه في مصيف رأس البر .

قبضوا علي محمود فخري ... وبعد الاستقبال ... والشاي ... والقهوة ... واسم أمك ... واختر لنفسك اسم امرأة ... والترحيب الحار ... أرادوا اختصار الطريق ... أحضروا له الشيخ فايد ... محمولاً في بطانية ... وقد تجلط الدم سوادًا في كل أنحاء جسده ... تعرف علي وجهه بصعوبة ... في لحظة ... اختل فيها اتزانه ... لقد قبضوا عليه باعتراف ... وكان عليه أن يكون واحدًا من الحلقات ... أو ...

أسقط في يده ... لا داعي لـ ... أو ... اعترف علي معسكر بلطيم ... محمد عواد ... وشقة مرسي مصطفي في إمبابة و ... و ... وبدأ الخيط ... يكر .

سمع محمد عواد طرقًا خفيفًا علي باب شقته ... نظر من ثقب الباب ليجد مصطفي الخضيرى أمامه ...

في شيء من الاضطراب قال :

- اعتقلوا حبيب عثمان ... مع يوسف القرش ... ويبدو أن هناك اعترفات أخري ... لأن الاعتقالات شغالة

سحبه عواد إلي داخل الشقة ... قال :

- سأجهز لك كوبًا من العصير ... حتى تسترد أنفاسك ... الحر شديد .

أمسك بذراعه يستوقفه :

- أجلس ... الوقت ضيق ... لابد أن ندبر مكانًا نختفي فيه .

- لا تشغل بالك بي ... فنحن منذ أن دخلنا الدعوة ... ونحن نعلم أن السجن هو مصير متوقع ... وهو خلوة إلي الله .

- يا أخ محمد ... ولا تلقوا بأيديكم إلي التهلكة .

- وهل نحن الذين سعينا ... إلي التهلكة ... إنما نحن في جهد صعب لكي نحافظ علي ديننا أمام هذا الطاغوت ... ولا نريد منهم إلا حرية الدعوة إلي الله .

انقطع الحوار فجأة عندما سمعا هدير سيارات تقتحم الشارع وتتوقف فجأة ... أطل عواد فرأي الشرطة العسكرية تنتشر ... ووقف أحد الضباط أمام البقال ... فيما يبدو ليستدل علي العنوان ... أدرك أنه المقصود ...

قال لحبيب :

- سأشغلهم عنك ... اهرب بسرعة ... أنت أهم مني للجماعة .

قال عبارته ... وهو يجري نحو الباب ... واندفع إلي السلالم يطويها قفزًا ... ومنها إلي الشارع .

صاح الضابط إلي الجنود : أمسكوه .

في لحظات كان مقيدًا ... دفعوه داخل إحدى السيارات المندفعة إلي ... المصير المحتوم .

بجوار العقيد شمس ... كان يجلس اللواء حمزة البسيوني ... والرائد حسن كفافي ... والرائد رياض إبراهيم ... وقف علي الباب ... صفوت الروبي .

- تمام يا فندم ... محمد عواد .

قال ذلك ... وهو يدفعه من ظهره ... وقع ... منكفئًا علي وجهه تحت أقدامهم وضع حمزة البسيوني قدمه علي صدغه وأذنيه ... وهو يضغط بكل ثقل جسده نظر إليه العقيد وقال : أهلاً .

تحول إلي الصول صفوت ... وقال في لوم متفق عليه :

- يا صفوت ... التعليمات هي حضور المعتقل زاحفًا ... أنا شايف أنه لا زال يتنفس نظر إلي عواد ... وقال فجأة :

- ما اسم أمك ... يا ولد ؟

محمد عواد المدرس ... والشاعر ... يعرف الكثير من قصص السجن الحربي التي أصبحت جزءً من أدبيات الإخوات ... السؤال لم يكن مفاجئًا ... بل أن الموقف كله يتكرر ... تمامًا ... مثلما كان يتخيله .

رد في ثبات ...

- اسم أمي ليس عورة ... وهي أم ... مثل أمك التي ولدتك .

- يا ... ابن الكاااالب .

خرجت من أفواه الأربعة في نفس الوقت ... تعليق جديد ... ولا شك ... لم يسمعوه من أحد المعتقلين ... قبل هذا ... إلا أن رد فعل صفوت الروبي ... كان سريعًا ... سحبه من قفاه ... ومن حوله طقم الزبانية وقد استفزهم ثورة قائدهم ... الهدف أصبح هو الانتقام

تمزقت ثيابه ... أصبح الضرب علي اللحم ... بعد أن تشققت طبقة الجلد ... كلما شق الكرباج خطا تبعه الآخر بشق آخر أكبر ... في نفس الموضع ... وعندما تهوي الكرابيج بعد ذلك لا تجد سوي اللحم ... فتمزقه قطعًا ... تطير حوله ملوثة الدم ... أهكذا الألم ... كما كنت تتخيله ؟؟ .. وهل كانوا يحتملون هذا العذاب ... كما تحتمله الآن ... هل صبروا ... وثبتوا ...؟؟ كم مضي عليك يا عواد ؟ .. دقائق ؟؟ .. ساعات ؟؟ .. ليس للزمن قيمة ... مادام العذاب بلا توقف .

- مع من أنت الآن يا عواد ؟
- أنا مع الرعيل الأول من الصحابة .
- أين أنت يا محمد ؟
- أنا في بطحاء مكة ... وهذه الصحاري من حولي .
- ولكنها تضاء بالكهرباء .
- وهل هناك فرق ... بين الحق والباطل .

هذا هو أبو جهل ... وأمية بن خلف ... وهؤلاء عبيدهم ولكن في لباس آخر

- وماذا يستخدمون في تعذيبك يا عواد ؟؟
- لا يهم ... العذاب واحد ... الألم هو الألم .
- وكيف تتحمل هذه الآلام ... وقد تجاوزت طاقة البشر ؟؟
- أي ألم ... أنها مثل شك الدبوس ... أنا مع الله ... أنا في الحضرة الإلهية ... قريب ... قريب ... هل ترون ما أري ... أنه العون الرباني ... طاقة كلها نور تملأ كياني ... هاتف يملأ أذني . يا نار كوني بردًا ... وسلامًا ... علي إبراهيم ... (أبينا) إبراهيم ... جدنا ... ليس لهم إلا هذا الهيكل ... جسدي ... فليفعلوا به ما شاءوا .
- يا كفرة ... يا كفار القرن العشرين ... لن تنالوا مني .

بلغ الجنون مداه ... زاد الضرب سعارًا ... زاد تطاير اللحم ... جمعه صفوت في كفه ... حشا به فمه وهو يصرخ :

- اخرس ... يا ابن الكلب .

أغمي عليه ... فقد الوعي .

سحبه صفوت ... ألقاه في فسقية الماء ... ركب فوق العسكري (خروشوف) ... وظل يضغط رأسه داخل الماء ...

خرج العقيد من مكتبه ... سأل :

- هل قطع النفس ؟

قال صفوت :

- لا يافندم ... مغمي عليه فقط .

- خلاص ... نكمل الليلة القادمة .

وضعه العساكر في بطانية ... ساروا به إلي السجن ... فتحوا الزنزانة ... ثم ألقوه علي أرضها ... و ... أغلقوا باب الجب .

كم مضي عليه ... الوقت هنا ... لا قيمة له ... الحياة نفسها ... مهددة ... وهي الوقت ... ماذا كان يقول الشاعر يا محمد ... إن الحياة دقائق ... وثوان ... وهي هنا كرابيج ... وتحقير ... وشتائم .

مع الإفاقة تحركت السكاكين المغروسة في لحمه المشرح ... لهيب النار يشتعل عندما حاول الجلوس ... مجرد الحركة ... مد يده أو رجله ... أو حتى إصبعه ... ظن أن الضرب كان علي جسده فقط ... وإنما طال إحدى عينيه طرف كرباج فتورمت ... وانسدت تمامًا ...

عجيب ... إنه لم يكن يشعر بمثل هذا العذاب ... عندما كانت الكرابيج تلهب جسده ... أدرك أن ألم الجراح بعد الضرب تكون أشد وأبكي ... بل هي العذاب الحقيقي ... هيه ... يا عواد ... هذا هو السجن الحربي الذي حدثوك عنه ... ورسمه خيالك ... نفس الصورة ... وإن اختلفت الوجوه التي تعاقبت عليه ... وجه واحد قبيح ... ظل كما هو ... وجه الطاغية ... أصل البلاء ... وأساس النكبة ... وآخر تابع له ... لا ... بل هو ديل الكلب ... هو حمزة البسيوني ... عدو الله ... هه يا عواد ... أنت تخوض التجربة ... جسدًا ... وإحساسًا ... وروحًا ... الروح تحلق في عنان السماء ... رغم أن الجسد منقوع في حمض ماء النار ماذا كنت تتمني يا عواد ؟

هل تذكر الحوار الذي دار يومًا مع الشيخ عبد الفتاح إسماعيل ... عندما قال لك

- لا تبتئس يا بن عواد ؟ .. فقد يمكن الله للمسلمين بنصره ... وعندئذ ستصبح واحدًا من قادتهم

وكان ردك :

- لم أبايع علي هذا الشيخ ... وإنما بايعت علي أن أرمي برصاصة هنا ... في رقبتي .

بايعت علي الشهادة ... وحددت طريقها ... طلقة من بندقية ... موت سريع ... ولكنك الآن ... لا ميت ... ولا حي ... برزخ دنيوي ... في ... مقبرة السجن الحربي ... آه ... آه ... صرخ صامتًا ... عندما تحرك إصبعه ... ماذا كنت تقول شعرًا يا عواد ... ألم تنظم القصيد يتغنى به إخوانك ... وينشر في المجلات ... هل تذكر

هتف الشهيد بعزة وبسالة سأخوض أوراد الردى متقدمًا

سأزود عن صرح الكتاب بعزة باسم الإله أصول لا باسم الحمى

وإذا الشهيد مضرج بدمائه لمح الخلود بقلبه فتبسما

هذا شعر لفارس بن حرب ... يواجه جيشًا في معركة حربية ... يصول ... ويجول ... أنت الآن أعزل ... لا حول ... ولا قوة ... بين أنياب شياطين لا تعرف الرحمة ... إجرام حيواني يفتك بك ... هل تستطيع الآن أن تنظم شعرًا ... لا ... لا ... ليس هذا مقام الشعر ... هذا مقام الذكر ... فليكن ما يكون ... قدر ... و ... نفذ ... ملحمة كتبوها علينا ... لا ... لست أعزلاً ... رغم العذاب ... رغم اللهيب ... رغم الألم ... رغم الجسد الذي تفحم ... فإن الروح ... صامدة ... صابرة ... وبحول الله ... وقوته ... مدد ... مدد ... مدد يا الله ... ما أحلي اسمك ... يا كبير ... يا كبير ... ما أروع ذكرك ... كلهم أقزام ... ورب الكعبة ... كلهم ... كلهم ... أقزام .

انفتح باب الزنزانة ... اكتسح ضوء النهار عتمتها ...

صاح العسكري ... وهو يهجم عليه بالكرباج .

- قف يا بن الـ ... قف يا ولد ... عظم ... ارفع يدك بالتحية .

لم يتحرك ... انتفض جسده مع لسع الكرباج ... تقدم منه عسكري آخر يحمل في يده جردل ... ومعه فرشاة ...

- اخلع قميصك .

القميص تمزق ... التصقت بقاياه بجراحه ... وجفت وتصلبت ... حاول الوقوف ... يا الله ... ما هذا الوجع ... يا معين ... أعني ... يا قوي ... أخيرًا وقف يترنح ... بدأ العسكري الممرض عمله بلا بنج ... خلص شرائط القماش من اللحم ... خرجت مع قطع من جلده ولحمه ... لتترك وراءها دماء تنزف ... الصمود يا عواد ... الصبر ليس لك إلا الصبر ... علي طريقة النقاشين كان العسكري الممرض يقوم بغمس الفرشة في الجردل ... ثم يطلي جسده بالمطهر ... و ... خرج .

أغلقوا الباب ... عاد الظلام ... مع الظلم ... ووحدته ... هل هذا ما كنت تتصوره يا عواد ... عن الخلوة مع الله ... الواقع ... نعم مختلف ... أما الخلوة ... لا ... هي حقيقة ... نعم حقيقة ... النور الرباني يضئ ظلمتي ... رضيت يا ربي بقضائك ... و ... تقر عيني بمشيئتك ... ويقنع عقلي بحكمتك ... إن لم يكن بك علي غضب ... فلا أبالي ... ما أطيب الذكر ... أرطب به لساني . في سكون العتمة ... كان لسانه يتحرك بما يحفظ من كتاب الله ... للآيات طعم آخر ... القرآن يتحرك ... ينبض بالحياة ... حياة تعرض له صبر الأنبياء ... وابتلاء المرسلين ... وإصرارهم ... ثباتهم ... وضوح الرؤية ... والغاية .

مر الوقت ... يتلو ... ثم يغفو ... يذكر ... تأخذه سنة من نوم ... يفيق منها علي أسياخ الألم مغروسة في لحمه ... ترده إلي الواقع ... نوم أشبه بالإغماء ... إفاقة هي التوهان أخيرًا ... فتحوا الباب ... لا ... لم يفتحوه ... اقتحموه ... وبالكرابيج .

- اجري ... يا ولد ... اجري يا بن الـ ... اجري .

ترنح واقفًا ... أين قدميه ... بل أين بصره ... كل شيء أمامه يتراقص ... المصابيح في حالة كسوف جزئي ... الضوء في فناء السجن ... ضوء حزين ... ذهب عنه الوهج ... فبهت ... أصبح يميل إلي الاحمرار وكأن لون الدم ... أو كأنه ينزف أشعة من دم ... أشباح العساكر تتحرك في الأنحاء لا يدل عليها إلا فرقعة الكرابيج تهوي علي الظهور ... مع أصوات الاستغاثة ... هنا ... وهناك ، تصدر حوله ... صداها موحش .

دفعوه خارجًا فتهاوى علي الأرض ... جذبه أحدهم ليقف ... أحس بقبضته تعصر عنقه ... فشلت المحاولة و ... أخيرًا جروه فوق رمال الطريق ... زحفًا ... والكرابيج لا تتوقف ... تنهش فيما تبقي من جسده ... حتى وصل إلي ساحة التعذيب الرئيسية ... أمام المكاتب ... أسندوه واقفًا ... قابله الضابط كفافي ... صاح في العساكر .

- اتركوه ... أليس عندكم رحمة ... هات الليمون المثلج يا عسكري .

وضع يده علي كتفه ... انتفض جسده ... عندما لمس جراحه .

- يا عواد ... أعقل ... ودع نشوفية الدماغ ... لا مكان للرحمة هنا ... تكلم ... لعبة ... قديمة ... مكشوفة ... يا كفافي ... خرج الكلام ممزقًا .

- ليس عندي ما أقوله .

- الجميع اعترفوا عليك ... الإنكار لا يفيد .

- .....

- ليس هذا وقت البطولة ... تكلم .

ليتك تفهم أيها المغرور ... نحن لا نسعى إلي بطولة ... أو تسجيل مواقف ... أنه الإيمان ... ومواجهة الطغيان ... أنه الصبر ... طاقة وسعها الله علي ... فلم لا أصمد ... يا رب زدنى احتمالاً ... وطاقة ... ماذا قالوا لفرعون ... وهو يصلبهم في جذوع النخل ... (قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) ... لكم الدنيا ... أيها الكلاب ... اقضوا فيها ما شئتم .

- ....

- تكلم يا عواد ... التنظيم يا عواد ... ماذا كنتم تفعلون في معسكر بلطيم ... ومن كان معك ...

قال في إصرار ... لا ... لم يكن قولاً ... وإنما كان ترتيلاً :

- (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا) .

أدار له الضابط ظهره ... الإشارة واضحة ... انقضوا عليه ... أصبح الضرب غلاًّ ... وهمجيًا ... أثارهم إصراره علي الصمت ... جن جنون صفوت الروبي ... لم يخلق بعد من يرفض الكلام هنا ... جسده أصبح مفتوحًا ... مستباحًا ... في أي مكان ... وعلي أي عضو .

- أين أنت الآن يا عودة ؟

كنت بالأمس في رمضاء مكة ... ولكنك اليوم مع أصحاب الأخدود ... يضعون المناشير في رءوسهم ... ويشقونها ... فلا يصرفهم عن دينهم ... تمنين الموت برصاصة من بندقية ... ويريد الله لك أن تموت ... صبرًا ... وتعذيبًا ... لا اعتراض يا ربي ...والرضا بقضائك ... والصبر ... صبر ساعة ... ساعة واحدة ... وتنال ما كنت ترجوه ... لا فرق بين الرصاصة ... والكرباج ... كلاهما ... أداة للقتل ... وكلاهما يؤدي إلي جنة الخلد ... مع محمد ... وصحبه – مع البنا ... وعبد القادر عودة وفرغلي ... والطيب ... ويوسف طلعت .

أغمي عليه ... دفعه صفوت الروبي ... وألقي به في الفسقية ... وفوقه الثور الهائج العسكري خروشوف يدفن رأسه في الماء ... تجلي الشيطان في ثياب الصول صفوت ... ركل العسكري ليبعده ... هذا العسكري أحقي من أن ينال هذا المجد ... أمسك برأس (الشهيد) عواد يدقه في الحائط ... إلي أن صعدت النفس المطمئنة إلي بارئها ...

- خلاص ... يا فندم .

لم يرد الضابط كفافي ... استدار ودخل المكتب ... إنهم يعرفون ما يجب عليهم فعله ... فقد فعلوه مرارًا .

جلس يشرب الليمون المثلج ... رشفة ... رشفة .

أيها المواطنون ... ارفعوا رءوسكم ... فقد مضي عهد الاستعمار ، أيها المواطنون ... الأحرار ، أيها المواطنون ... القومية العربية ... حرية ... وحدة ... اشتراكية .

أيها المواطنون ... ثورتنا ... بيضاء .

... بيضاء ... بلون الدم .

(14)

توجه الرائد رياض إبراهيم في قوة عسكرية ... طرق الباب ... فتح له شاب في العشرينات .

- مرسي مصطفي مرسي ؟؟
- نعم .

الصفعة علي وجهه ... دفعته إلي الخلف .

قال ساخرًا :

- لا ... مؤاخذة ... ضيوف .

دخلوا ... انتشروا يفتشون الغرف ... ثم عزلوا الزوجة والأولاد في غرفة ... أغلقوها عليهم ... وجلسوا ... أمامهم مرسي صامتًا .

قال له الرائد رياض :

- أليس لديكم شاي للضيوف ؟

قال ذلك ... فقام أحد العساكر ... وتوجه إلي المطبخ ... فتح الثلاجة ... بدأ يختار ... يضع في الأطباق ما يريد ... والباقي يلقيه علي الأرض ... حتى أفرغها تمامًا ... وفي المطبخ ... فعل الشيء نفسه ... و ... علي المنضدة ... في الصالة ... وضعوا الطعام ... والشاي ... وجلسوا يهرسون الطعام المنهوب ... بأنياب ... لا تعرف الرحمة .

الشيخ عبد الفتاح إسماعيل ... يصحبه علي عشماوي ... ومبارك عبد العظيم ... في سباق ... وقلق ... يدفعهم إلي السعي لمعرفة آخر الأخبار ... فقد كان مرسي مصطفي مرسي ... هو الصلة بينهم وبين زينب الغزالي ... وهي بدورها كانت حي حلقة اتصال مع المرشد المقيم في الإسكندرية بواسطة السيدة زوجته التي حضرت إلي القاهرة ... عندما شعروا بحركة الاعتقالات .

دق الجرس .

انفتح الباب ... طالعتهم الأخبار التي كانوا يهربون منها ... المدافع مصوبة إلي رءوسهم ... وقع الصيد الثمين ... بضربة واحدة ... ضربة حظ ... باللاسلكي زف الخبر للعقيد ... الآن يستطيع أن يعلن ... النصر المبين .

في نفس الليلة ... وعلي عكس محمد عواد تمامًا ... اعترف علي عشماوي ... بالتفصيل ... وتفصيل التفصيل ... لا صمود ... ولا صبر ... ووداعًا للثبات ... وبعدًا لكل أدبيات الإخوة ... عن الطاقة ... والتحمل ... والاستشهاد ... في لحظة نسي ... أو تناسي كل ما علمه عن السجن الحربي ... لا فرق .

أين الحماس يا علي ؟ ! ... موجود ... ولكن المؤشر لف مائة وثمانية درجة ... في الاتجاه المعاكس ... أين الإخلاص ... حاضر ... لمواجهة أي إنكار ... والإيقاع بالجميع .

لم يبق شيء لم يذكره ... والذاكرة حديدية .

هل هو الحظ يا شمس ؟؟ .. يقولون أنه يأتي من دعاء الوالدين ... للأبناء ... ولكن بعض الأبناء لا يوافقهم الحظ إلا مع دعاء الوالدين ... عليهم ... ! ! ! الآن اتضحت الصورة ... وانكشف هيكل التنظيم ... ليبدأ الشغل .

كرداسة .

قرية ترقد في حضن هضبة الأهرام ... غرب القاهرة ... يومًا ... ما ... كانت تموج نشاطًا بشباب الإخوان ... وكان من الطبيعي أن ينالها نصيب وافر من ضربة 1954 ... والملاحقات البوليسية التي تبعتها لتمد عليها ظلاً كئيبًا من التوجس والخوف ... فانسحب العلن إلي مكنون الصدور ... وانطوت القلوب علي ما فيها من غيرة علي الدين ... وعلي أمل كانت تمثله دعوة الإخوان في تنشأة الشباب علي الجدية ... والخلق ... والصدق ... في هذا الجو ... شب الرجال ... الذين كانوا أشبالاً ... وبراعم ... رضعوا مبادىء الجماعة ... فاستوطنت خلاياهم ... وظلت – في شوق – تنتظر ... يومًا الخلاص ... و ... عودة ...

الشمس تنحدر نحو الغرب ... عندما توقفت – علي أطراف البلدة – ثلاث سيارات ... ينزل منها ثمانية رجال ... طول بعرض ... فريق كاراتيه ... يلبسون قمصانهم علي اللحم ... فتنشف عضلاتهم ... من الطبيعي – إذا ساروا – أن يدبوا علي الأرض في زهو ... وغطرسة ... قابلوا فلاحًا ... سألوه عن منزل السيد نزيلي ... في نجده أهل الريف ... قادهم إلي الحارة ... ثم إلي منزل مكون من طابقين ... .

فتح لهم الباب ... أخوه الأصغر عبد الحميد .

- هل سيد موجود ؟

لابد أنهم أصدقاء ... جاءوا يباركون زواجه الذي تم منذ أيام ... هم بالتأكيد ليسوا من أهل البلدة ... و ... نخوة أهل الريف .

- أهلاً ... وسهلاً ... أتفضلوا ... هو علي وصول .

أدخلهم غرفة المسافرين ... بجوار الباب ... ظلوا واقفين ينظرون حولهم ... تردد عبد الحميد في لحظة شك ... إلا أن واجب الضيافة دعاه إلي الذهاب لإحضار الشاي ... و ... كعك العرس ...

قبل أن يتخطى عتبة الباب ... شعر بأنه علق في الهواء ... عندما خطفه أحدهم ... ألقاه علي أحد الكراسي ... وكمم فمه بيده ... في حين انتشر بقية الرجال إلي داخل المنزل صعد ثلاثة منهم إلي الدور العلوي ... حيث يسكن سيد مع عروسه التي لازالت تعيش نشوة الزواج ... اقتحموا الباب ... فوجئت بهم ... صرخت :

- من أنتم ... ماذا تريدون ؟

أخرج أحدهم الطبنجة ... وقال في حزم محذرًا :

- إياك أن تصرخي ... أين سيد ؟

- من أنتم ... وماذا تريدون ؟

- نحن شرطة ... ونريد سيد .

حاولت لملمت أعصابها المفككة ... كان لديها خبر عن حركة شغالة للاعتقالات ... أخبرها بها سيد هذا الصباح ... ولكن بطريق مخففة ... حتى تكون مستعدة لأي احتمال ... حيث أنها نشأت في بيت اعتاد علي (زيارات) الشرطة بفظاظتها ... فقد كان أخوها أحمد من الإخوان ... زبون مرغوب ... عليه العين ... كانوا يأخذونه ليحل ضيفًا (لديهم) ... أيامًا ... قد تطول ... وأحيانًا ... لساعات ... حسب الحنية ... ودرجة حرارة الاشتياق ... ولأن مزاج الحكومة ... مزاج ... متقلب ... متعكر ... فقد كان لا يصفوا إلا مع الفجر ... والناس نيام ... لذا كان هو الوقت المفضل لاقتحام شقتهم ... ولا يتركونها إلا بعد أن يصبح كل شيء ... وكأنها زاوية في سوق الجمعة تناولتها أيدي الزوار رميًا ... وتقليبًا ... عن أي شيء يبحثون ؟؟ .. الأوراق ... الكتب ... حتى كتبها المدرسية ... ولكن في كل مرة – رغم سابق الخبرة وحرصهم – فإنه كانت تختفي بعض المبالغ المالية ... علي قلتها ... وأيضًا حسب المقسوم .

ردت علي السؤال ... ورعدة لا تزال تسري في جسدها .

- سيد ... ليس موجوداً .

لم ينتظروا إجابتها ... انتشروا في الغرف ... يقلبون كل شيء ... وينثرون علي الأرض ... يفتحون الأدراج ... وإذا اقتضي الأمر ... عنوة وكسرًا ...

انتبهت فجأة إلي أن شبكتها الذهبية في أحد الأدراج ... همت أن تأخذها ... إلا أن أحدهم صادرها .

قال في غلظة :

- سنثبت ذلك في محضر التفتيش .

أي محضر تفتيش ؟؟ .. ومن أنتم أصلاً ... من خبرتها السابقة ... آثرت السكوت ... فلم تكن مستعدة لتدفع ثمن اعتراضها ... جمعوا الكتب ... والأوراق ... توجهوا إلي الباب ... ظنت أن الحفلة قد انتهت ... حين شدها أحدهم من ذراعها ... وساقها أمامه ... وسار الموكب وسط حواري القرية ... وشوارعها .

المشهد الذي رآه أهل القرية ... عبارة عن ثماني رجال ... يدبون علي الأرض ... وهم في حالة استنفار وتأهب ... ويسوقون صبيًا ... وامرأة ... الصبي هو ... عبد الحميد نزيلي ... والمرأة ... هي عروس سيد نزيلي ... في ملابس البيت ... مكشوف شعرها ... تتعثر في مشيتها ... وهم يدفعونها لتنتظم في خطوتها هلي مشيهم السريع ... وقد هرب الدم ... فبدا وجهها باهتًا ... أما الصبي فقد كان يتململ ويتعثر ... محاولاً الإفلات من القبضة التي تملأ كل قفاه ...

صاح أحدهم ... وهو يقذف الموكب بأول حجر :

- حرامية ... حرامية

وكأنهم ... كانوا ينتظرون هذه الإشارة ... أهل الريف أهل فزع ونجدة ... توالي قذف الطوب ... والحجارة ... من التجمعات التي بدأت في حصارهم .

أخرج أحدهم طبنجته ... وأطلق عدة أعيرة من النار ... صوت إطلاق النار ... أحدث هرجًا ... ومرجًا ... بين هروب الخائفين ... وقدوم الآخرين لاستطلاع الأمر ... و ... حدث الالتحام ... ودار الضرب ... باليد ... والطوب ... و ... العصي .

افلتوا الزوجة إلي بيتها ... أما عبد الحميد فطار إلي نقطة الشرطة .

نقطة كرداسة ... علي الجدار الخارجي ... كتب خطاط (أُمَّي) ... الحروف كبيرة ... اللون أزرق ... فوق طلاء من الجير الأبيض .

(الشرطة في خدمة الشعب)

الشاويش عبد الحكيم ... النوبتجي ... يجلس خلف منضدة خشبية ... تاريخها الأثري يقول ... أنها كانت مطلية يومًا ما ... حروفها متعضضة ... التي غيرت لون الأحوال ... وهو يشكو من حاله ... ومن عرق الأيدي المتسخة التي غيرت لون صفحاته ,,, وتهرأت من كثرة التقليب فيها .

الشاويش عبد الحكيم حضر للتو من قريته المجاورة ... وكعادته من سنين يبدأ – عمله – بأن يفتح منديله ... ويخرج منه رصَّة الخبز الفلاحي المرحرح ... يضعه علي الطاولة ... ومعه طبق المش ... وبجواره البصل الأخضر وعيدان الفجل ... ثم يبدأ باسم الله ليحشو من فتحة فمه المتسعة عن آخرها ... كتل الخبز المغموسة من المش ... ثم يلحقها بعيدان الفجل ... أما قطع البصل فإنه يدسها بإصبعه داخل هذا الزحام لتنال نصيبها من طحن أسنانه ...

اندفع الصبي ... إلي داخل النقطة وهو يصيح .

- حرامية ... حرامية يا شاويش عبد الحكيم .

لم يهتز الشاويش ... خرجت كلماته بعد أن تسللت من خلال لغده الممتليء .

- حرامية ... أين ... يا ولد ؟؟

استمر الصبي في الصياح :

- خطفوا زوجة أخي سيد ... والبلد مقلوبة .

الشاويش يعمل في هذه المنطقة منذ سنين ... البلد غاية في الهدوء ... حتى العداوة التي كانت بين أكبر عائلتين تتنافسان علي العمودية ... زالت بمجرد انضمام الشباب من الطرفين للإخوان ... فسرت روح جديدة داخل القرية ... ود ... تزاور ... إيثار ... منذ ذلك الحين ... أصبح دوار العمدة هو المكان المفضل لحل التنازع والخصام ... وأصبحت النقطة – واقعيًا – خارج الخدمة ...

صياح الصبي ... ومنظر وجهه المحتقن ... وآثار الكدمات عليه ... واحمرار قفاه ... وملابسه الممزقة ... تشير كلها إلي حدث ما ... مظاهر تضفي الصدق علي هلع الصبي ... قام في همة ثقيلة ... وهو يجمع ما تبقي من طعامه ... ويصرها داخل المنديل .

- هه ... نؤجل الأكل .

سار مع الصبي ... حتى انتهي إلي مكان جرن متسع ... شاهد الساحة وقد امتلأت بقطع الطوب والحجارة المتناثرة ... أزاح تجمع الناس دفعًا ... حتى انتهي إلي أحد الرجال ... ملقي علي الأرض ... فاقد الوعي ... وقد انتفخ وجهه ... وتقطعت ثيابه ... وجرح في رأسه عليه آثار دم متجلط .

- أين بقية الرجال ؟

صاح أحدهم منفعلً :

- هربوا ... من هنا ... يا شاويش .. والست رجعت بيتها .

انحني الشاويش عبد الحكيم ... أخرج من جيب الرجل تحقيق الشخصية ... عندما فتحه ... وشاهد الصورة في ملابس ضابط الشرطة العسكرية ... لم يملك إلا أن يصيح مولولً :

- خربتي ... يا كرداسة .

جري نحو النقطة ... ليبلغ بالمصيبة ... ويطلب سيارة إسعاف ... ولكن الرجال السبعة كانوا أسرع في الاتصال بقيادتهم .

تفرق الناس علي صيحة الشاويش ... في حيرة من سبب انزعاجه ... أقفرت قعدة المصاطب حول الجرن ... لم يكملوا واجب العزاء ... الشباب الجالسون علي المقهى ... في مدخل البلد ... تناولوا الحادث بالتعليق . قال أحدهم في تحدي :

- شرطة عسكرية ... أو من الجن الأزرق ... النساء عندنا لهم حرمة ... يا جدع ... اسمها حرمة ... لماذا يخطفونها ؟؟ .. ماذا فعلت ؟ .. ماذا جنت ؟ ..

قال الثاني مؤيدًا :

- هل كانوا يظنون أن البلد خلت من الرجال ... وهم يقودونها أمامهم ؟؟

قال آخر ... وقد تجرأ ... فانفتح منخاره وهو يقول في حماس وفخر :

- لقد خلصتها من يدهم ... عندما ضربت الرجل الطويل مقص ... فاندلق علي الأرض لا يحط منطقًا .

قال الأستاذ جلال المدرس :

- ماذا ينتظرون منا ... وقد دخلوا البلد ... لا احم ... ولا دستور ... هل كانوا يظنون أننا نخاف من ضرب النار .

بدأ الليل يزحف في سكون مريب . الحركة تذيل ... دبيب الأرجل أوشك أن يتوقف في الطرقات ... هكذا الحال في الريف ليلاً ... لا تسمع فيه إلا نباح الكلاب ... هنا ... أو ... هناك .

شق السكون ... من بعيد ... صوت الهدير يقترب ... صوت الجنازير وهي تحرث الأرض ... وعجلات السيارات بقسوته .

الشرطة العسكرية في طابور ... تشكيل قتالي ... الجنود في لبس الميدان ... يحملون المدافع ... العلامات الحمراء الفاقعة تميزهم عن بقية الجنود ... المدرعات تفرم كل ما يقع تحتها ... وتهز البيوت المبنية من الطين ... وتتجه نحو التقاطعات لتتمركز فيها ... وتصوب مدافعها في كل اتجاه ... أما مداخل القرية ... فقد سدتها الدبابات الثقيلة ... في حصار محكم .

بعض جنود الشرطة العسكرية ... قفزوا من سياراتهم ... عندما شاهدوا الشباب في المقهى ... لم يدم الأمر طويلاً ... حتى صار كل شيء خرابًا ... الكراسي ... المناضد ... أدوات صنع الشاي ... والقهوة ... الصواني ... والزجاجات ... والأكواب ... اختلطت حطامًا ... أما الشباب ... فحاصروهم ... ومنعهم من الفرار ... واستمر الضرب بأرجل الكراسي ... والمناضد ... حتى قطعوا النفس ... ثم ربطوهم جميعًا في حبل واحد ... وساقوهم إلي حوش المدرسة ... والتي اختاروها مقرًا محكم المداخل لتجميع كل من ألجأته الضرورة لترك بيته في هذه الليلة السوداء ... ويقع سيرًا في قبضة القوة الغازية ...

لم يكن الأمر في حاجة إلي إعلان ... إلا أن الميكروفونات ظلت تنعق بالأمر العسكري ... ينادي ... بحظر التجوال ... كل من يخرج من بيته ... كل من يطل من شباك ... كل من تسول له نفسه النظر من ثقب ... سيطلق عليه النار ... بلا تحذير ... أو ... إنذار . تبع ذلك بتسليط الأنوار الكاشفة تمسح جدران البيوت وتخترق ظلام الطرقات ... ويسهم ضوءها الشديد في تكريس جو الذعر ... والإرهاب . علي باب دوار العمدة ... وقفت سيارات الشرطة العسكرية ... قفز الضابط ... وخلفه العساكر ... صوبوا مدافعهم علي البيت ... ونادي علي العمدة ... تلقفه عسكري بكعب بندقية في صدره صائحًا :

- اجري ... حافي .

الرجل ... المحترم ... يوقره جميع أهل القرية ... لم يهضم الأمر ... رغم قسوة الضربة ... تلكأ قليلاً ... قبل أن يشعر بأن أحد ضلوعه كاد أن ينكسر عندما عاجلته ضربة أخري .

- أجري ... يا ... ولد .

ولد ؟؟ .. العمدة يجري ... حافي القدمين ... ممثل السلطة ... والحكومة يهان ... كان أخوه يجري خلفه ... في حالة توهان ... هل ما يراه ويسمعه ... حقيقة ؟؟ .. حلم ... ؟؟ كابوس ؟؟ .. علم ... فيه ... إيه ؟؟

عند مدخل المدرسة ... كان العقيد واقفًا ... تحيط به الرتب ... ووزير الداخلية المغضوب عليه ... بجوار السور وقف كل من ألقي القبض عليه ... الوجه بالحائط ... والتعليمات ... لا حركة ... حتى الناموسة ... يمنع هشها ... والعقاب ... حاضر ... العصي ... والكرابيج تؤدي مهمتها بحماس ... وفي أحيان كثيرة كان الضرب ... بلا سبب ... ربما .. كنوع من التسخين ... وشغل الوقت ... سأل العقيد :

- أين شاويش النقطة ؟

حضر ... مهرولاً ... رفع يده بالتحية ... قابلها العقيد بشلوت هائل من قدمه ... انتزعه من الأرض ... وأطاح به واقعًا .

- كنت فين يا بن الكلب ... عند الاعتداء علي رجال الشرطة العسكرية ؟

توجه إلي وزير الداخلية ... مؤنبًا .

- هل هذا الـ (....) من الرجال ... الذين يحرسون أمن البلد .

توجه إلي العمدة ... يده في جيبه ... خاطبه في عنهجية ... فأر في مصيدة

- رجالي ... يضربون في بلدكم .

قبل أن يرد العمدة ... أنغرس كعب البندقية بين ضلوعه . استدعي أنفاسه الهاربة .

- يا باشا ... لم يخطرني أحد بقدومهم .

قال في غطرسة :

- وهل نحن في حاجة إلي إخطار أحد ؟

قال أخوه ... مشفقًا ... محاولاً تخفيف الضغط عليه .

- يا باشا ... نحن دائمًا ... في خدمة الحكومة .

صفعته نظرته ... انقض عليه الجنود ... طرحوه أرضًا ... برك علي صدره ... شحط في ثياب جندي ... أصبح وجهه هدفًا سهلاً ... يتأرجح يمينًا ... ويسارًا ... علي وقع الصفعات ... يكيلها له ... بكف غليظ .

- قف ... من أنت ؟

سحبه الجندي ... من ثيابه ... وقف .

- أنا ... أخوه ... يا باشا .

- تقدم ... ابصق في وجهه .

هرب اللعاب ... من فمه ... جف حلقه ... عشرات الأصوات تحاصره ... ومعها انهال الضرب .

- أبصق عليه ... أبصق ... يا بن الـ (....) .

نظر إليه العمدة منكسرًا ... قرب وجهه من فمه .

- أبصق يا يوسف ... أبصق يا أخي .

خرج الهواء من فمه مع الرذاذ الذي جمعه بصعوبة .

أنحبس اللعاب ... إلا أن الدموع التي هربت من الخوف الأول ... فاضت الآن ... فانهار يبكي ... شجاعته ... الخائرة .

استمر العقيد :

- أنت عمدة البلد ... المسئول عن الأمن ... تركت الرجعيين يدبرون المؤامرات ضد الثورة .
- يا باشا .

لطمه العسكري علي فكه ... أنحبس صوته ... تدحرجت عيناه في محجريها ... خطف برق اللطمة بصره .

- كرداسة ... وكر الإخوان ... أنا لدي كارت بلانش لحرقها ... لا يوجد من يتحدى الثورة .

امتلأ فناء المدرسة بأسري الحرب من أهل القرية ... قبضوا عليهم أفواجًا ... أفواجًا ... كل فوج قيدوه في حبل واحد ... النساء مع الرجال ... الشيوخ مع الأطفال ... وكل حبل يسحبه عسكري واحد ... كأنه قاطرة تجر قطارًا من الحيوانات ... أو كأنها صورة من صور الماضي البعيد ... عندما كان العبيد يساقون إلي سوق النخاسة ... الكرابيج تلسعهم وتكويهم ... وتقودهم إلي الحريق الذي أشعلوه في مقر التعليم ... وتربية الرجال ... علي حب الوطن ... ولم يكن هناك أي تعارض ... فإن الأدب فضلوه عن العلم !!!

في الفجر كدسوهم في السيارات ... إلي ... السجن الحربي ... إلي محرقة حمزة البسيوني ... في دقائق ... كانت السيارات تفرغ حمولتها ممن كانوا يومًا ما ... من البشر ... و ... كيفما اتفق ... قفزًا ... و ... دفعًا ... وكركبة ... ليجد الجميع أنفسهم واقفون داخل كردون من العساكر المدججين ... بالكرابيج ... خبرة في إحكام الحصار ... وخارج الدائرة كتيبة من الكلاب ... من فصيلة الذئاب ... تتوثب ... وتزمجر ... في وحشية مرعبة ... و ... بدأ ... الشغل .

الاستقبال ... والتحية ... واجب الضيافة ... الشاي ... والقهوة ... و ... بيتك ومطرحك ... و ... نورت ... إحنا زارنا النبي ... تذوق هذا الكرباج ... ما رأيك في هذه اللدغة ؟؟ .. نحن محترفون ... فنانون ... نشانجيه ... هل تفضل هذه الكربجة علي الأذن ... أم علي الجبهة ... إذا كنت تريد أن يكون الضرب علي الظهر فنحن نقدم معه خدمة التشريح ... وأيضًا خدمة التخطيط ... الضربات ترسم خطوطها بالتوازي ... بالعرض ... شق ... بجوار شق ... ثم تعود لتملأ مساحة الظهر بخطوط رأسية ... ثم تختم بالخطوط المائلة ليصبح الظهر في النهاية (كاروه) ... في شكل هندسي ... أو تحوله إلي لوحة سيريالية بألوان الدم ... الثلاثة ... الأحمر نزيفًا ... والأزرق للكدمات ... والأسود في اليوم التالي . الضرب في الاستجوابات أو التحقيق ... يخضع لتوجيهات الضباط ... ومع إشارات متفق عليها ... اضرب ... اترك ... استخدم التعليق ... هات الخازوق ... الكهرباء ... أما ضرب الاستقبال ... فهو ضرب تأديب ... يقوده صفوت الروبي ... يخضع

للمزاج ... والرغبة بالاستمتاع ... وزادت حرارته بوقوف ... سيادة اللواء حمزة البسيوني ... يرقب ... ويهز رأسه راضيًا ... بالتنوع في العذاب ... والانتقال من مرحلة إلي أخري وفقًا للبرنامج .

صاح صفوت :

- كله يرقد .

العساكر مبرمجون ... فاهمين ... دارسين ... هجموا علي الرجال يدفعونهم علي وجوههم .

- ارقد يا بن الكلب ... ارقد يا ولد ... ارقد .

صاح الروبي ... وهو يفرقع بالكرباج ... لقطيع البشر ...

- كل امرأة ... تركب زوجها ... حماري ...

اختلط الصراخ ... عم الذعر ... الكرابيج تهوي علي أجساد الحريم ... الغضة ... مع الألم ... قفزت النساء علي الظهور الممددة أمامها ...

زوجة شيخ الغفر ... وقفت حائرة ... كيف تتسلق ظهر زوجها ... وهي حامل ... وعلي وشك الولادة ... دفعها أحد العساكر ... وقفت فوق ظهره ... تلقاها بيده ... ثم ... حملها ... وهي لا تكاد تستقر ... نظرًا لانتفاخ بطنها واصطدامه بالظهر ...

واجه الروبي ... مشكلة ... عدد النساء أقل من عدد الرجال ... كان عليه أن يجد حلاً ... بسرعة ... وإلا سقط العرض ... أمام سيادة اللواء .

صاح : كل رجل ... يركب الثاني ... بالترتيب ... حماري ... يا ولاد الكلب والآن حان وقت الإثارة .

صاح بالأمر : للأمام ... مارش .

الرجال تجثو علي الأيدي والأرجل ... وفوق ظهر كل منهم زوجته ... وأيضًا الرجال يحملون رجالاً ... المرأة الحامل ... وقعت ... فقدت اتزانها ... فتلقفها الكرابيج . وبدأ الطابور يسير في دوائر ... مع لسع الكرابيج ... والصول في نشوة ... واستمتاع

- بسرعة ... يا ... حمير كرداسة .

توقف العرض ... عندما صاح الروبي : انتباه ... وقوف .

انزلقت الحمولة ... من فوق الظهور ... انتصبوا واقفين .

صاح : صفين ... متقابلين .

ضغط علي زر ... في لحظة ... تحركت الكرابيج لتنظمهم في صفين ... متقابلين ... بعد أن خرجت النساء والأطفال ... لانتهاء دورهم صاح صفوت :

- أبصق علي من يقابلك .

انهالت الكرابيج علي الظهور ... مساعدة في تحضير اللعاب ... وقذفة من الأفواه إلي الوجوه ... الأمر التالي كان : اصفع الوجه قصادك . مع التردد ... كانت الكرابيج تستحثهم ... وصوت العساكر يردد :

- اصفع ... اصفع ... بشدة يابن الكلب ... لا ... لا ... بشدة أكثر .

ثم جاءت فترة الاستراحة .

- كله يقف انتباه ... شد جسمك ... ولا حركة .

سار بين الصفين ... وكأنه يستعرض حرس الشرف ... ثم توقف أمام العمدة ... سأله :

- اسمك ؟؟

- علي .

أوشك طرف الكرباج أن يلحس عينه .

- اسمك ؟؟

مخه يدور في فراغ ... جسمه يأن ... الألم هو إدراكه ... ماذا يريد هذا الشيطان ؟؟

- علي ... علي .

مع توالي الكرابيج ... أوضح مقصده .

- من يدخل هنا ... ينسي أنه كان يومًا رجلاً ... يختار لنفسه اسم امرأة ضرب الكرابيج أليم ... ولكن جرح الكرامة قاتل وضعوا هامتك في الطين ... تهروك ... هل تبكي يا عمدة ؟ .. هل تبكي عزًا ... يذله هذا الصول ... الذي حكموه فيك ؟؟ .. كم يساوي لو عرضوه في سوق الخميس ... ربما رضي أحدهم أن يستأجره بكيلة ذرة ... وهل ترض أن يعمل عندك في الزريبة ... كلافًا للبهائم ... وهل كنت تتركه في خدمتك ... لو ضرب حمارًا ... أو ... أهان جاموسة ... العمدة التي اهتزت له الشوارب ... وسعت له الحكومة ... هل هذه هي الحكومة التي خدمتها ... أين شعارات الحرية ... والكرامة ... والعدالة ... التي كان يطلقها عبد الناصر ... فتلتهب الأكف تصفيقًا ...

وترعد الحناجر ... هتافًا ... عبد الناصر كان يتباهى بأنه تابع الشعب ... فالشعب هو القائد ... وهو المعلم ... يشعر بمشاكله ... ويحس بنبضه ... فقد انقطع نبضي ... تعالي ... يا زعيم ... يا تابع ... تعالي ... تحسس نبضي ...

أنا عمدة كرداسة ... ممثل الدولة ... أعلن أمام الشعب ... شعب كرداسة ... الذي تنازل ... طواعية ... واختيارًا عن قيادته لسيادة الصول صفوت الروبي ... ويخضع بكل ارتياح ... لتعليم معلم الأجيال ... سيادة الكرباج ... أعلن أنني قد أصبحت امرأة ... اسمها سيدة .

أيها المواطنون ... أيها المواطنون

- أنا جمال عبد الناصر ... زرعت فيكم العزة ... زرعت فيكم الكرامة ...

تصفيق ... تصفيق

أيها المواطنون ... أيها المواطنون

- كلكم ... كلكم ... نسوان .

(15)

وأخيرًا ... انتهي حفل الاستقبال

ساقوهم إلي السجن الكبير ... دفعوهم داخل الزنازين ... وأغلقوا الأبواب .

لا ... لا لم ينتهي الحفل . العرض مستمر .

بدأ العساكر في لعبة جديدة ... يهجم العسكري علي باب الزنزانة ... أي باب ... ويفتحه ... ثم يهجم مقتحمًا خطوط العدو ... المتحصن في الزنزانة ... يطيح فيهم ضربًا ... وهو يلقي بالتعليمات .

- عندما يفتح الباب ... يقف الجميع انتباه ... ثم يعظم ... ارفع يدك بالتعظيم ... يا ولد ... يا ابن الكلب .

وأحيانًا يختار واحدًا منهم ... ويدفعه خارج الزنزانة ... إلي الحوش ... وهو يلاحقه بالكرباج .

- اجري ... يا ولد ... اجري .

فتتلقفه الكلاب نهشًا ... وتمزيقًا ...

صفوت الروبي .

كائن ... ذو هيكل بشري ... يشبه الإنسان ... بأطرافه ... وجسمه ... ورأسه ... الخالق الناطق ... كأنه آدمي ... إلا أنه بلا قلب ... هكذا يقول دائمًا ... افتحوا صدري لتجدوه ... بلا قلب ... أيضًا ... بلا ضمير ... ولو عددنا ... بلا ... لاستمرينا إلي ما لا نهاية ... لعبوا في مشاعره ... عكسوا وضعها ... الحب تحول إلي ضغن ... والسماحة ... إلي فجر وغل ... والشفقة إلي غلظة وغباء ... الشهامة ... والصداقة ... والإخوة ... ومكارم الأخلاق ... أزالوها ... من الجينات ... من الجذور .

الشيء الوحيد ... الذي يملأ هذا الكيان ... هو الشيطان ذلك هو حكمدار السجن ... صفوت الروبي ... الذي لم يترك أحدًا دخله دون أن يوقع – علي جسده – بالكرباج ... وأحيانًا يكون التوقيع ... علي القبر نفسه ... ضنايعي في ضربة السوط ... لا تخرج إلا بالدم ... ونادرًا ما يخطيء الهدف .

ما الذي يدفع الإنسان إلي هذا الدرك ؟

ما هي القيمة التي تحركه ... بعد أن فقد القيم ؟

- الإخلاص ؟؟ .. لمن ؟
- حب رؤساؤه ؟؟ .. أي لون من الحب بعد أن تنكر لكل أطيافه ؟
- الانضباط العسكري والأوامر ؟؟ .. العسكرية ... نبل ... وشجاعة ... ومثل عليا الطموح ... والرغبة في الترقي ؟؟

في نظام فاسد ... نعم .

ولكن ماذا يتوقع الصول ... وليس أمامه إلا سلم نقّالي ... محدود الدرجات ... أو حسبها صح ... ولو لم يطمس الله علي آلته الحاسبة اللوامة ... لوجد أنها ليست خسارة وحسب ... وإنما ... ندامة ... وحسرة ... و ... في الدنيا ... قبل الآخرة .

أما العساكر ... علي الأسود ... زغلول الشيطان ... سامبو ... الديزل ... خروشوف ... فتحي النملة ... حسب استعدادهم الموروث من بيئتهم ... فهم مجندون للشر ... والقسوة ... وأيضًا بلادة الحس ... وكسل العقل ... لا طموح ... ولا أمل ... والمطلوب ... هو العمياني ... الأوامر ... ويفضل دائمًا العسكري الخام ... سهل التشكيل ... والبرمجة .

العسكري جودة ... لم يخرج من قريته ... طوال حياته ... ولم يركب قطارًا إلي يوم تجنيده ... أخذوه من قريته ... إلي المركز ... ثم إلي وحدته ... أول مرة يحصل فيها علي إجازة ... كانت مدتها ثلاثة أيام ... بعد خروجه من الوحدة ... تاه ... وهو يبحث عن محطة القطار الذاهب إلي بلده ... وأخيرًا ... اهتدي إليها ... ولكن بعد ثلاثة أيام ... الإجازة ضاعت في البحث عن المحطة ... أمسكته الشرطة العسكرية داخل المحطة ... واقتادوه إلي مقر القيادة ... فرصة عظيمة ... عسكري أبيض ... لقطة ... نقلوه إلي السجن الحربي ... هناك علموه ... كلمتين اثنين ... الإخوان يريدون قتل الريس ... ونحن نأخذ ثأرنا منهم .. الثأر ... وما أدراك ما الثأر ؟ .. كانت ضربته في الكرباج مشهورة ... انتقام ... وما كان يسمعه في التحقيق من أسأله عن قلب نظام الحكم ... واغتيال

الريس ... يزيده اقتناعًا ... الضرب مشروع ... والفتك غاية مبررة ... أولاد الكلب ... يريدون قتل الريس ... وأين نحن ؟؟ .. كل شيء مباح ... ويستحقون أكثر من ذلك ...

بدأت أفكار الانتقام والثأر ... تهتز في نفس جودة ... عندما شاهد أهل كرداسة ... فهم فلاحون ... تمامًا ... مثل أهل قريته ... حتى الأسماء تتشابه ... رجالة ... ونساءً ... إلا أن الإهانات المتلاحقة علي العمدة ... كانت الأكثر تأثيرًا ... حلقوا له جانبًا من شاربه ... وأزالوا حاجبًا ... ممزق الثياب ... أوشك جسمه أن ينحني ... وهو يحاول السير جاهدًا ... الجروح ... بعد مرور يوم عليها ... يتكون فوقها قشرة بنية اللون ... وعند الحركة ... أو الضرب عليها تتمزق القشرة ... يتبعها ألام رهيب ... العمدة يحاول أن يصمد ... وأن يتحمل ... أمام أهله ... وأمام النساء ... وأكثر ما يراه ألمِا ... وعذابًا له ... هو النيل من عزة نفسه ... تركب زوجته ظهره ... كالحمار ... يضعونه ... في مقدمة طابور الجري اليومي ... يجري ... أو ... يحاول الجري ... والكرابيج تطاردهم ... النساء تولول والأطفال في رعب وهلع .

هل نساء كرداسة ... يريدون قتل الريس ؟؟

هل المرأة الحامل ... التي تسير – جريًا – برجلين متباعدتين ... وهي تسند بطنها بيديها ... هل هذه هي صورة التآمر لقلب نظام الحكم . والعروس ... زوجة سيد نزيلي ... رموها مقبورة في زنزانة حالكة الظلام ... صائمة ... تعاف الطعام ... متكومة في أحد الأركان ... تكاد أن يتلاشى جسدها ... جف لونها ... وبهت ... وهي الوردة ... في ريعان الشباب ... وعِزُّه ... ألا تشبه هذه البنت ... خطيبته ... بنت خالته ؟

جيش الانقلاب ... الفلاحي ... وزعيمته المرأة الحامل ! !

والأطفال ... هم ... الفدائيون لقتل الريس ! !

الدبور بدأ يزن في مخه ... والأسئلة تنبش في دماغه ... مهماز ينخس في فطرته ... لتستيقظ ... وتصحو ... وتزيح غلافًا سميكًا ... احكموه عليها ... بالتلقين ... والتلفيق ... وتنفيذ الأوامر ... والسجود ... والركوع لها ... وإشاعة الرعب ... والخوف ... من مخالفتها أو حتى التقصير في تنفيذها ... إلا أنه مع هدير الموج في رأسه ... وتصاعد الفوران في داخله ... كانت قبضة علي الكرباج تتراخي ... وهمته تفتر ... وتتكاسل ... وأصبح يبحث عن الهروب لأي مهمة أخري ... نظافة ... أو إحضار الطعام ... تجهيز المهمات ... وحتى إذا ضرب ... هيَّفت ضرباته ... وطاش تصويبه المشهور عنه ... وأصبح كرباجه ... يبحث عن ... مكان حول الأجساد ... في الفاضي ...

مكتوب علي أهل كرداسة أن يجتمعوا يوميًا في طابور العذاب ... والإهانة ... يخرجون من الزنازين ... حفاة الأقدام ... جريًا في انطلاق القطيع من البقر ... إذا انفك عقاله ... وجبة الكرابيج ... مستمرة ... بسخاء ... صياح العسكر ... وسبابهم ... يوميًا ... كل صياح ... عذاب متكرر ... لا يبدو له آخر ... إهانات يستمتع بها الروبي ... ويتفنن في تجديدها ... تبلغ ذروتها في وجود حمزة البسيوني ... الجنرال راكب الحصان الأحمر ... الأمل يقتله اليأس ... والرجاء يجلد ... ويداس بالنعال ... إلا أن جرعة اليأس ... كانت عند الشيخ صابر ... أكبر ... نفذت طاقته ... واختنق ... صبره ... وانشرخت نفسه ... ثم حدث الكسر .

الرجل الوقور ... خلع سرواله ... وهو ما بقي عليه من ملابس ... فقد جرجروه ... من منزله ... بالفانلة والسروال ... الفانلة تمزقت من الكربجة ... الشيخ ... أصبح عريانًا تمامًا ... بلبوصًا ... كما ولدته أمه ... وانفلت يجري خارج الطابور ... لم تفلح الكرابيج في إيقافه ... وهو يصبح في هستريا ...

تحيا الثورة ... تحيا الثورة ... يسقط جمال عبد الناصر ... تسقط الثورة ... يعيش صابر بن كرداسة ... يا ولاد الكاااالب . قفز جودة خلف الرجل ... وبمجرد أن حضنه من الخلف انهارت قوته ... خر علي الأرض مستسلمًا .

الجنرال صفوت ... لا يعرف إلا الأمر :

- مصروف له مائة كرباج .

لم يتحرك جودة .

شخط وقد نفرت عروق رقبته .

- يا عسكري جودة ... نفذ الأمر .

الآن ... الآن يا جودة ... وإلا ... فلا توهجت فطرته ... وانزاح العطاء ... وانكشفت عن أصلها .

- يا حضرة الصول ... الرجل جن ... والضرب في الميت حرام .

صرخ ... وهو يقفز نحوه ... ويهوي عليه بالكرباج :

- ماذا تقول ... يا روح أمك

رفض الأوامر يا روبي ... تمرد ... ضاع الانضباط ... ومن المتحدي ... عسكري ... أداة ... مجرد أداة ...

صاح في العساكر : أمسكوه .

صرف الطابور

ثم بدأ الاحتفال ... هذه المرة ... ضيف الشرف فيها ... الدفعة جودة ... زملاء الأمس ... يجلدون رفيق الكرباج ... الأوامر ... أوامر يا جودة ... أن تعرف أن دستورنا ... هو قلة الأصل ... أول مادة فيه ... الذي يتزوج أمي ... أقول له يا عمي ... الموت لك يا صاحبي ... هنا في السجن الحربي ... لك أن تختار ... إما خارج الزنزانة ... وإما ... داخلها ...

ألقوه داخل أحد الزنازين ... ثم أغلقوها .

قرية كرداسة الحزينة ... تنام تحت وطأة الغزو ... والاحتلال ...

أخذوا العمدة ... وأعيان البلد إلي السجن الحربي ... شحنوا النساء مع الأطفال ... مع الرجال عمال التراحيل ... في سيارات مكشوفة ... طافوا بها شوارع البلد ... النساء الحرائر ... سيدات القرية ... والرجال ... زينة الرجال ... وأعيانها ... وأهل الخير والنجدة ... هل عادت أيام المماليك ... أن تغير اسم كرداسة إلي دنشواى .

الجنود اقتحموا البيوت ... وحطموا أثاثها ... ومزقوا فرشها ... وخلطوا الدقيق بروث البهائم ... والسمن والزيت والسكر بالتراب ... ومزقوا أجولة القمح ... والأرز والفول ... بعثروه ... مخزون عام من القوت الرئيسي للفلاح ... رغيف الخبز ... وطبق الأرز ... بددوه انتقامًا ... لا رحمة ... ولا عدل ... ولا بشرية ... حتى الزرايب ... دخلوها ... ومنعوا العلف ... والماء عن البهائم ... التي هزل لحمها ... وجف ضرعها .

هؤلاء الجنود ... يحملون وجوهًا مثلنا ... ويتكلمون مثلنا ... لم يستبدلوا اسم ... محمد ... ومصطفي ... وسمير ... بجون ... ووليم ... وجاكسون ... ما الذي جري في الدنيا ... أين الوطنية ... أين المواطنة ؟؟

أيها المواطنون ... تصفيق ...

عبد الناصر بقامته ... يجعر بصوته ... هدير الآلاف ... تصفق .

أيها المواطنون ... أيها المواطنون ...

أهل كرداسة ... خونة ... رجعيون ... لقد أعطيت البطل شمس كارت بلانش لمحو كرداسة من الوجود ... تصفيق ... تصفيق ... بالروح ... بالدم ... نفديك ... يا جمال ... أيها المواطنون ... أيها المواطنون ... الثورة مستمرة ... وسندمر أي كرداسة أخري ... من أجل عزة الشعب ... ومن أجل عزة العرب ... لا مكان للرجعية ... الحرية ... كل الحرية للشعب ... ولا حرية ... لأعداء الشعب ... تصفيق ... تصفيق ... بالروح بالدم ... نفديك ... يا جمال .

الشيخ مصطفي ... مؤذن المسجد الكبير ... يسكن بجواره ... رجل ضرير ... من نتوءات ... ومطبات ... حتى موضع المخلفات ... لم يعد بحاجة إلي دليل ... سوي عصاه ... التي تسبق خطوة رجله ... تحسبًا للمفاجآت ... يخرج من بيته يسير وفق البوصلة المزروعة في مخيلته ... يدخل المسجد ... يرقي إلي المئذنة القصيرة ... ثم يؤذن ... ينزل ... نفس الدرجات بعددها ... يجلس بجوار المنبر حتى يتجمع الناس ... ثم ... يقيم الصلاة ... و ... يصلي إمامًا بهم ... المسجد لم يعد مثل أيام مضت ... كان يمتليء بالمصليين ... خاصة عند صلاة الفجر ... كان أكثرهم من شباب الإخوان ... يمتلئون حيوية ... يسعون إلي الصلاة في همة ... بعدها يتحلقون في ركن يذكرون ... ويدعون بالمأثور ... ثم يخرجون قبل الشروق في طابور رياضة إلي الصحراء القريبة ... نموذج ... اختفي منذ سنوات ... أصبحت صلاة الفجر صفًا واحدًا خلفه ... يشعر بهم ... ويعرفهم واحدًا ... واحدًا ... ولله الأمر من قبل ... ومن بعد ... هذا حال الدنيا ... المهم هو الدوام ... ويظل باب المسجد مفتوحًا ... والأذان مرفوعًا بأعلام الهداية ... والفلاح ... ونعوذ بالله ... من يوم ينقطع فيه .

يوم الشيخ مصطفي يوم نمطي ... مطبوع بالكربون ... لا يتغير ... إلا في هذا اليوم المشئوم ... الذي اقتحم أذنيه ... الأمر يمنع التجول ... الميكرفون نذير السوء ... في هذه الليلة السوداء ... يحذر كل من يخرج من باب بيته ... كان لتوه عائدًا من صلاة العشاء عندما سمع صراخه . وضع جنبه كالمعتاد ... وسرعان ما انفصل عن العالم كله ... نام ... مثلما ينام كل ليلة ... ومع النجمة ... في الوقت المعتاد أيقظته ساعة مضبوطة بين جنبيه ... لا تؤخر ... ولا تقدم ... الآلة الداخلية ... حركته إلي الوضوء ... ثم لبس جلباب الخروج ... ثم ... قبل أن يصل إلي الباب ... توقف مترددًا ... إلا أنه هز رأسه متخطيًا العتبة ... فليس من المعقول أن يمنعوا الصلاة ... حظر التجول لا يسري علي الصلاة ... سيصلي بالناس ... ثم يعودون إلي بيوتهم ... يقفلونها عليهم ... كأمر الحكومة .

في خطوته المتحسسة سار حتى وصل إلي المسجد ... صعد المئذنة ... كالعادة ... الله أكبر ... الله أكبر ... الأرجل التي يسمعها ... واضحة – رغم صوت الأذان ... أرجل ثقيلة ... تدب قفزًا فوق درج المئذنة ... تزداد وضوحًا ... إنها تقترب منه ... شعر بالكرباج يلفحه علي أذنه ... وبدلاً من نداء التوحيد ... خرج صوت الاستغاثة ... يد غليظة جذبته من قفاه ... ثم دفعته علي الدرج متدحرجًا ... إلي داخل المسجد ... انكسرت يده ... ورجله ... وانفلق دماغه ... وأيضًا عموده الفقري .

غاب الرجل ... عن بيته ... لم يعد من صلاة الفجر ... ظن أهله أنهم اعتقلوه ... أخذوه مع من أخذوه من أهل البلد ... بعد ثلاثة أيام رحل الغزاة .

دخلوا المسجد ... كان الرجل الضرير ... الشيخ مصطفي ... ميتًا

وإنا لله ... وإنا إليه راجعون .

أيها المواطنون ... أيها المواطنون ... لقد مات عدو الثورة .

تصفيق ... تصفيق

بالروح بالدم ... نفديك ... يا أبا خالد .

(16)

كانت جالسة ... تتناول طعام الغذاء ... دخلت أم عبده منزعجة ... تعلن وجود زوار ... لم يكونوا في حاجة إلي استئذان ... هذه هي المرة الثالثة ... التي يحضرون فيها ... مرتين ليلاً ... وقبل الفجر ... فتشوا الفيلا ... ثم ... لا مؤاخذة ... خرجوا ... هذه المرة يبدو أنه ليس فيها ... لا مؤاخذة ... شكلهم مختلف ... وجوههم مستفزة ... علامات الهياج المكتوم تشيع فيها ... لم ينتظروا استئذانا ... وجدتهم يحيطون بمائدة الطعام ... كانت علي وشك دعوتهم إلي الطعام ... عندما قال أحدهم ... في حزم ... ويبدو أنه الضابط .

- الحاجة زينب الغزالي .

قالت في هدوء :

- أهلاً ... وسهلاً .

وأيضًا لم يكونوا ... في حاجة ... إلي أهلاً ... وإلي سهلاً ... ويبدو أنها قد أصبحت ... لا أهلاً ... و ... صعبًا ... وكدرًا .

انتشروا داخل الفيلا ... لحقتهم أم عبده إلي غرفة النوم ... وهي مع الآخرين إلي المكتبة ... قبضوا علي الكتب كلها ... واعتقلوا كافة الأوراق ... والمجلدات الخاصة بما فيها من صور عائلية ... حتى المجلات ... حملوها كلها في سيارة نقل .

لم تعترض ... نظر الضابط إلي الخزينة ... وقال لها :

- المفتاح ؟

قالت : الخزينة خاصة بزوجي ... هو رجل أعمال ... وفيها مستندات خاصة ... والمفتاح معه .

نادي : شخرم

تقدم منه ... الوجه وجه إجرام ... آثار ضربة سنجة أو مطواة في خده ...

- نعم ... يا باشا .

قال بلا مبالاة : شخرمها ...

تقدم نحو الخزينة ... نظر في ثقب المفتاح ... ثم قال في ثقة :

- خزينة حريمي ... ثواني يا باشا .

أخرج مجموعة مفاتيح ... اختار واحدًا في عناية ... وضعه في الثقب ... ثم وضع أذنه بجواره ... وبدأ يدير القرص ... يمينًا وشمالاً ... وفعلاً ... ما هي إلا ثواني ... حتى انفتحت ... نظر إلي الضابط مزهواً ... وقال :

- فرقعتها ... يا باشا .

قال الضابط باسمًا .

- هذا أشهر لص خزائن في مصر ... الحاجة ستقدم بلاغ ضدك بأنك فتحت خزينتها ... وبأمر مني ... أنا وأنت ... سنذهب إلي النيابة .

رد في جدعنة : يا باشا أنا فداك ... أروح تأبيدة من أجلك .

انتهي التفتيش

قالت الحاجة زينب : المجوهرات ... والذهب ... والنقود ... والمستندات ... أرجو تسجيلها ... وإعطائي إيصال بها .

رد ... متجاهلاً : حضري نفسك .

قالت : إلي أين ؟

قال لها : إتمام الإجراءات ... خمس دقائق معنا .

الحاجة زينب ... حتى هذه اللحظة ... كانت تظن أنها لازالت ... بنت الأصول ... الهانم ... وأن مركزها الاجتماعي يشكل سورًا ... وعائقًا ... أي نعم ... يمكن القفز عليه في حالات محدودة ... مثلما فعلوا في قرار حل جماعة السيدات المسلمات ... وتعطيل المجلة ... ولا مانع عندهم ... من مصادرة ممتلكات المركز العامة وتشريد اليتامى ... ولو زادوها فغاية ما يصل إليه الأمر ... هو تحديد إقامتها ... مثلما فعلوا مع النحاس باشا .

أما أن يصل الأمر إلي إجراءات ... وخمس دقائق ... فهي تعرف معناها الحقيقي ... ولا تفسير غيره ... أنه الاعتقال ... وهي تعرف أيضًا ... أن كل من أخذوه ... يبدأ بالخمس دقائق ... أو دقيقتين ... أو عشر دقائق ... التسعيرة معروفة ... الدقيقة بسنة ... قد تزيد – ولا تنقص . وقفًا لاعتبارات التضخم ... أما تسعيرة " مشوار بسيط معنا " ... فإنها تعني ... اتجاهًا ... بلا عودة .

الاعتقال ؟ .. يا حاجة .. لم يحدث في أي عهد أن اعتقلوا واحدة ست ... لقد كان الحاج محمد زوجها أبعد نظرًا ... عندما حذرها من هؤلاء الجبابرة ... ليس عندهم كبير ... لا اعتبار ... ولا حرمة ... ولا خط أحمر ... ولا أزرق ... ولا فرامل ... الرب ... والإله ... والخوف منه ... اصطلاحات لا يصلح لها إلا الدراويش ... والعجائز ... وأصحاب الطواقي ... واللبد . القوة ... الضابط والحراسة ... شقوا طريقهم ... السيارة تضرب صفير الطواريء ... فتتفتح الإشارات ... وتتنحي السيارات جانبًا ... لم تتوقف إلا داخل السجن الحربي رغم أن كل الأخبار ... كانت تشير إلي وقوع حدث ما ... إلا أنها لازالت في حالة من التوهان ... منفصلة عن الواقع ... تكذب عينيها ... العيون مفتوحة ... ولكن الكابوس مستمر .

قال لها شمس : أهلاً ...

الإفاقة حدثت فجأة ... ولكن إحساس سيدة المجتمع لازال يسيطر عليها .

قالت في حدة ... وهي تشير إلي الضابط :

- لقد أخذوا مجوهراتي والذهب والنقود ... ومستندات زوجي ... أريد إيصالاً بها من خلال ضحكة فاجرة :

- تعالي يا حمزة ... شوف طلبات بنت الـ ... الـ ... الـ ... فاكرة نفسها ستخرج من هنا علي رجليها ... سندفنك هنا يا بنت الـ ..

ثم صاح :

- صفوت ... ما هو قانون السجن الحربي .

رفع الكرباج ... وهوي علي ظهرها ... غاص طرفه في الجسد اللين ... نبع الدم :

- هذا هو القانون ... يا باشا .

قال ... وهو يصفعها علي أذنها بكفه :

- حاضر ... يا باشا .

أدار ظهره ليدخل إلي المكتب .

- الشاي ... والقهوة ... ولا تنسي العصير ... للهانم ... بنت الـ ... الـ ...

هل زال التوهان ؟؟ .. هل انتهي الكابوس ... أم بدأ ... هذا هو السجن الحربي ... كل ما سمعت عنه ... سترينه ... لا ... ستعيشينه ... وجودًا ... وألمًا ... عذابًا ... ومشاعر ... ليس من سمع ... كمن رأي ... وليس من رأي ... كمن قعد علي نارها .

قتل أصحاب الأخدود ... النار ذات الوقود ... إذ هم عليها قعود .

الجسم لامرأة ... واللحم لسيدة ... لم تعرف إلا لعز ... وطيب المقام ... الكرباج يشق جلدًا ناعمًا ... ولحمًا لينًا بلا عضل ... ولا ألياف ... لحمًا رخوًا ... يجرحه النسيم ... والكرباج عاصفة يشعل فيه النار ... تهتك اللحم ... وانكشف العظم ... وتمزقت الأعصاب .

سقطت مغشيًا عليها ... قبل أن ينتهي حفل الاستقبال ...

وقبل أن يقدموا كل ما لديهم حسب البرنامج ... لم تحتمل .

أفاقت لتجد نفسها ... ممزقة الثياب ... كل جسدها ينزف ... كل خلية تئن ... الوجع في كل وجهها ... عين متورمة ... والأذن كأنما وضعوا داخلها محرك نفاث .

أين النوم ؟

شعاع من مصباح علي بعد ... يتسلل من نافذة ضيقة ... قريبة من السقف ... يحاول فاشلاً أن يخترق طبقات الظلام ... الصمت متراكم ... كئيب كئيب ... شقة فجأة صراخ ... يعبر النافذة :

- الرحمة ... يا رب .

صوت الكرابيج كأسياخ النار .

- حرام عليكم ... ليس عندي ما أقوله .

الصراخ تحول إلي عويل :

- يا كفرة ... يا فجار .

- يا رب ... يا رب .

سكت فجأة ... اختفي الصوت ... زحف الصمت من جديد .

(17)

هل كان عبد الفتاح إسماعيل ... يعلم أن نهاية نشاطه وسعيه في تجميع الجماعة ... هو الاعتقال ؟

الاحتمال ... كان قائمًا ... وكانت قناعته ... أنه يفر من قدر الله ... إلي قدر الله .

وما الذي كان يفكر فيه عندما اعتقلوه ؟؟

مصير الشباب الغض ... الذي يواجه الابتلاء لأول مرة ... أكثرهم كان إلحاحًا علي خاطره ... هو إسماعيل الفيومي ... حارس جمال عبد الناصر ... الشخصي

الآن أصبح أكثر إدراكًا ... بما يحدث ... فقد تم اعتقال العديد من الإخوان ... وتعرضوا للتعذيب ... وبالتأكيد بعضهم تحمل فوق طاقة البشر ... فاعترف ... وتسلسلت الاعترافات ... إلي أي مدي ؟ .. قد يكشفون هيكل التنظيم بالكامل ... وقد يفلت البعض إذا استطاع الإخوان

الصمود ... فينقطع التسلسل ... أو تكون الاعترافات ناقصة ... وعلي القدر اللازم للنجاة من التعذيب .

وعلي هذا فالتنظيم سيتم اكتشافه ... كليًا أو جزئيًا ... لأن غالبية أفراده معروفون لبعضهم البعض ... أما إسماعيل الفيومي ... فلا يعرفه إلا عدد قليل ... منهم علي عشماوي ... والقبض علي إسماعيل ... معناه ... قتله لا محالة ... وسيعطي فرصة لإطلاق الدعايات عن الإخوان الإرهابيين ... القتلة ... وهو تزوير فاضح ...

قلبي معك يا إسماعيل ... وحفظك الله ... يا أخي ... ذكري آخر لقاء معه ... لازال حيًا في خياله ... كان في بيت عبد الحميد عفيفي ... بلدياته ... منذ شهر تقريبًا .

عندما فتح الباب ... اعتنق الشيخ عبد الفتاح ... قال عبد الحميد مرحبًا :

- مر زمن طويل ... علي آخر لقاء .

انحط علي الكنبة بثقله ... استمر عبد الحميد : أنت مرهق .

تراجع بظهره إلي مسند الحائط ... قال عبد الفتاح :

- نحن جند الله ... لا نعترف بالإرهاق والتعب ... ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ... ولا نصب ... ولا مخمصة ... في سبيل الله ... ولا يطأون موطئًا يغيظ الكفار ... ولا ينالون من عدو نيلاً ... إلا كتب لهم عمل صالح .

سكت قليلاً استأنف حديثه : ما هي أخبار إسماعيل الفيومي ؟

- آخر مرة ... كان عند من يومين ... طلب مني أن أحضر له حاجات من البلد ... وقد أحضرتها ... وأتوقع حضوره لأخذها ... أنت تعرف أن مواعيده غير منتظمة ... بسبب سفرياته مع عبد الناصر .

قال الشيخ عبد الفتاح بارتياح :

- كنت علي وشك أن أطلب ترتيب لقاء ... معه ... إذا علي الانتظار .

قال عبد الحميد :

- فرصة نحضر لقمة نأكلها سويًا ... ما رأيك – أنت ابن حلال – لقد أحضرت معي من البلد للتو ذكر من البط ... لن يستغرق طهيه أكثر من ساعة .

بادره بسرعة : يا أخ عبد الحميد ... الوقت أثمن من أن نضيعه في مثل هذه المتع . يكفيني لقيمات يقمن صلبي ... وتعينني علي أداء الطاعات .

قال عبد الحميد : يا شيخ ... لا تقسو علي نفسك ... قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ... والطيبات من الرزق .

قال منهيًا هذا الجدل :

- أنا أخذ نفسي بالعزيمة ... ولا ألزم غيري ... المهم ... هات الجبن القديم ... وأعواد الفجل .

ما أن انتهوا من طعامهم ... وإلا وإسماعيل يدخل عليهم .

اعتنقه الشيخ طويلاً ... في حنان وشوق ... قال عبد الحميد وهو يهم بالمغادرة :

- البيت بيتكم ... خذوا راحتكم .

استوقفه الشيخ عبد الفتاح :

- بل ابقي ... فليس هناك أسرار عليك .

التفت إلي إسماعيل ... وقال له : اعلم أنك ... غير مستريح ... واشتد قلقك أكثر هذه الأيام .

لم يستطع حبس دموعه ... قال :

- لم أكن أعلم أن الوضع بهذا السوء ... كنت جنديًا ... في أقسام الشرطة فلم أتحمل الفساد والرشاوى ... وسعيت إلي مكان أفضل ... فكان حظي أن أنتقل إلي الحرس الجمهوري ... اختاروني عندما تخطيت اختبار الرماية ، وكنت أول المتسابقين ... وأستطيع أن أصيب ذبابة وأنا معصوب العينين ... وكنت أتصور أن عملي – كما أخبروني حينئذ – سيقتصر علي التدريب ... ولكنني وجدت نفسي في النهاية ... حارسًا خاصًا ... أحمل الطبنجة ... وأقف علي بعد خطوات منه ... وعندي أوامر بإطلاق النار علي أي شخص ... مهما علا شأنه ... عند أي بادرة ... هل تتصور أنني أستطيع تنفيذ هذا الأمر ... أقتل إنسانًا ... يحاول قتله ... أنا الأخ المسلم ... أحمي هذا الطاغية من القتل .

اشتد بكاؤه ... فقام الشيخ واحتضنه ... حتى هدأ ...

استمر في الكلام : هل تتصور مقدار ألمي ... وأنا أرفع يدي بالتحية العسكرية عند الحضور وعند الانصراف .

قال الشيخ عبد الفتاح مهدئًا :

- نحن نعيش وسط أوضاع جاهلية ... نتعامل معها ... إلا أن قلوبنا معلقة بديننا ... شعورنا ... ووجداننا منفصل ... يعيش الطاعات ... في ارتباط دائم مع الله .

قال في حماس :

– طلقة واحدة ... وأثأر لدم الشهداء ... أريد إذنًا بقتله وأخلصكم منه ... تأكد أنني لن أعترف ... ولو مزقوني أوصالاً ... يا شيخ عبد الفتاح أنتم تحرمونني من شهادة في سبيل الله ... أتمناها .

رد الشيخ في هدوء : لست وحدك الذي يتمني الشهادة ... ونحن أيضًا لا نخاف من عواقب أمر كهذا ... ولكنه موقف ... وسأقول لك ما سمعته من الأستاذ سيد قطب ... أن عملية الانتقام ... عملية تافهة بالنسبة لمستقبل الإسلام ... إن إقامة النظام الإسلامي ... تستدعي جهودًا طويلة في التربية والإعداد ... إنها لا تجيئ عن طريق إحداث انقلاب من القمة ... إن قلب نظام الحكم القائم لا يأتي بالإسلام ... ولا يقيم نظامًا إسلاميًا ... العقبات في وجه النظام الإسلامي أكبر بكثير من نظام الحكم المحلي ... نحن في حاجة إلي زمن طويل ... وتمهيد أطول ... وتربية أجيال ...

– إذا دعوني ... أنهي هذا الوضع ... فأترك الخدمة ... بأي عذر كراهيتي لهذا الوجه تزداد يومًا بعد يوم ... أشعر بأنني في سجن ... لا أستطيع الانضمام إلي أسرة ... ولا اجتماع إخواني محروم من حضور دروسكم ... مقابلاتي مقيدة ... ولولا أن عبد الحميد بلدياتي ما استطعت زيارته ... وحتى عبد الحميد حركته محدودة خوفًا علي ... أنا ... أشاهد كل يوم ... ما لا يراه الناس ... عدوانيته ... جبروته ... سخريته من نوابه ... وكبار أعوانه ... دائم الحط من شأنهم ... كل ذلك يستفز وجداني حيث أن الإعلام يصوره ... وكأنه مارد عملاق ... فوق ... فوق ... هل يعلم الشعب أن رئيسه الذي يكاد البعض أن يعبده من دون الله ... قام بضرب الرائد قائدة وحدة الحرس ... بالشلوت ... وسب أمه ... وسب أبيه ... من أجل الخطأ ... غاية في التفاهة .

سكت الشيخ ... ثم قال مبتسمًا في ود : من أجل ذلك ... نحن نرفض أن نترك الخدمة .

قال إسماعيل : ماذا تقصد ؟؟

– أقصد أنك مصدر مهم للأخبار عن تحركاته ... وأفعاله ... وإذا احتسبت ما تلاقيه في سبيل هذه الغاية فستشعر بالراحة .

لازالت البسمة تضئ وجهه ... سأل : وبالمناسبة ما هي آخر أخباره ؟

قال إسماعيل : سمعت الدكتور يحذره – كان في غاية الانزعاج – من وحشية مرض السكري ... الذي بدأ يتسلل إلي جهازه العصبي ... فأصبح لا يحتمل الوقوف علي رجله ... ويعيش علي المسكنات ... التي أحيانًا تفقد مفعولها ... لدرجة أنني سمعته في مرة – كنت خارج غرفته – وهو يصرخ من الألم ... كما انتشرت البثور في أنحاء جسمه ...

الدكتور – يعرفه ... ويخشى غدره ... كان ينصحه – وهو يحاول التحكم في انزعاجه – بعدم التوتر ... لأنه لا يستطيع ... فهو لا يأمن لأحد ... ولا يستطيع أن يتنازل عن أي جزء من سلطانه ... استمر الشيخ عبد الفتاح : يعني ... قربت ... خلاص .

قال إسماعيل ... وهو يبادله الابتسام : لو حدث ... ومات فجأة ... سأكون أول من يحزن ... لأنني أتمني أن يكون ذلك بيدي .

قال الشيخ عبد الفتاح : لن نعود لهذا الموضوع ثانية ... واطمئن ... فلكل أجل كتاب ... وسيأخذه الله أخذ عزيز مقتدر ... وسيعلم الذين ظلموا ... أي منقلب ... ينقلبون .

الآن يا عبد الفتاح ... أنت ترقد في زنزانة ... السجن الحربي ليس جديدًا عليك ... أنت تعرف ما سيحدث لك ... لم يبدأوا بعد ... حتى الاستقبال المعتاد ... كان فاترًا ... بعض الكرابيج ... وسريعًا مارش ... إلي الزنزانة ... احتجزوا علي عبد الفتاح ... يبدأون به ... هل هي فراسة من شمس ؟؟ .. حين اختاره أولاً ... وتركوك أنت ... ومبارك عبد العظيم مؤقتًا ... أم أن لديهم أسباب أخري ... لا يهم ... فسيأتي دورك ... ليس آجلاً ... وإنما ... عاجلاً ... أسأل الله الثبات ... وأن ينجيني ... من فتنة الابتلاء .

ولكن – يا عبد الفتاح – هل انتهي التنظيم ؟؟ .. هل انكسر عموده الفقري ... وهل انتهي الأمل في أن تقوم الإخوان مرة أخري ... سبق أن سألت نفسك هذا السؤال ... منذ عشر سنوات ... وفي نفس هذا المكان ... في السجن الحربي ... يومها كنت ممتلئًا عزمًا ... وإصرارًا ... أخذت علي نفسك كل العهود ... والمواثيق علي العمل ... ولم شمل الإخوان مرة أخري ... فهل وفيت بالعهد ... والميثاق ... يعلم الله أنك وهبت نفسك للدعوة ... وسعيت في طول البلاد وعرضها ... ولم تغرك دنيا ... وكنت وفيًا لدعوتك ... أعطيتها كل ما تملك ... من وقت – ونصب ... وظمأ ... ومخمصة ... وأخذت نفسك بالعزيمة ... ولم تترخص في كبيرة ولا صغيرة ... فهل تهدم كل ما بنيت ... وهل كتب علي الجماعة أ ، تدخل نفقًا مظلمًا ... قد يكون قبرها الأخير ... لا ... لا أظن .

فالله أرحم بعباده ... والله رءوف بدعاته ... والله حنان ومنان يفرح بالساعين إليه ... ولا يرضي بالظلم ... ولا يمكن لظالم ... فستعود الجماعة ... يومًا ما ... وقطعًا ... ستعود ... عظمة هذا الدين ... أنه لا يأمر أتباعه إلا ... بالعمل ... والسعي ... والجهاد ... وليس عليهم إدراك النتائج ... عليهم فقط أن ينصروا الله ... أما النصر نفسه ... فهو من عند الله ... إن شاء عجل به ... وإن شاء أخره ... ولكنه آت لا ريب فيه ... لذا ... فإن الدين في حالة من التجديد دائمة ... إذا

سقط فرد ... قام مكانه آخر ... وإذا تداعي حائط في البناء ... تصدي له عشرات البنائين ... أمة خالدة ... أما الطغاة ... فمكانهم – مهما علا شأنهم – مزبلة التاريخ .

فهل نصرت الله ... يا عبد الفتاح ؟؟

النهاية هي التي ستجيب ... فإن كانت التي طلبتها ... وإن كانت التي تمنيتها ... وهي الشهادة ... فإن الفوز هو النهاية ... فوز يضعك في طابور طويل ... من الشهداء القائد هو سيدهم – حمزة بن عبد المطلب ... الشهادة هي سر النور ... وهي مشعل الهداية ... الذي أضاء هذه الدنيا ... وينتشر بشهداء الفتوحات ... ويتحول إلي جذوة عندما يعم الظلام ... فيجد من يحملها في قلبه ... حملها عبد القادر عودة وفرغلي والطيب ويوسف طلعت ... وآخرين دفنوهم في الصحاري ... خلف السجون ...

هل يكتبها لك الله ... ويكتب لك النجاة من البلاء ... هل ستصمد ... كما صمد ابن أم عمارة ... عندما أرسله النبي صلي الله عليه وسلم ... إلي مسيلمة الكذاب يدعوه إلي الرجوع عن كفره ... وادعاء النبوة ... فقبض عليه الكذاب ... وعرض عليه أن يفتدى نفسه لو آمن بأنه نبي ... فرفض ... فجعل يقطع أعضاءه عضوًا ... عضوًا ... وهو يردد ... لا أسمع ...لا أسمع ... لا أسمع ... لا أسمع .

ادعو ... يا عبد الفتاح ... ادعو بإلحاح ... تضرع ... توسل ... ابتهل ... فلا حول ... ولا قوة ... إلا به ...

فأنت الآن ... في مقام ... ابن عمارة .

وليس أمام كذاب واحد ...

وإنما أمام العشرات من الفساق الفاجرين .

(18)

دارت ماكينات الفرم

امتلأت ساحة التحقيق أو الاستنطاق ... أمام مكاتب الإدارة في السجن الحربي .

الساحة تنتشر فيها الجثث الآدمية ... وبقايا الحياة – فيها – تصرخ ... مستنجدة باللطيف ... في قدره – ليعينها علي تحمل كافة آلات العذاب ... تطلب من ربها المدد ... بعد أن انقطع عنها نصرة الناس ... ومدد البشر ... تدعو دعاء المظلوم ... والمضطر ... الواثق من الإجابة ... أن يكشف البلاء ... وأن يكون صبرها هو الثمن المطلوب لجنة عرضها السماوات والأرض ... ضريبة

مستحقة وواجبة ... يدفعها كل صاحب دعوة ... ابتلاء ... ابتلاء ... تعرض له كل أنبياء الله ... مع كل من آمن وصدق .

العقيد شمس ... يجلس متربعًا مكتب حمزة البسيوني المقر الرئيسي للمسالخ الوطنية ... مستكبرًا ... متألهًا ... ممتلئًا بالشر ... منتفخًا بالسلطان غرورًا ... وتجبرًا ... ساعده الأيمن العميد سعد ... وساعده الأيسر كفافي ... و ... رجله اليمني رياض ... واليسرى الديب ... أما الباقي فيمثلون الأحذية ... فردة يمين ... وفردة شمال ... يبدلها في قدميه حسب الأحوال .

مال العقيد ... علي العميد وهمس :

- ما رأيك يا أبو السعود ... نخلع الليلة .

نظر إليه مندهشًا ... فالمجزرة ... في عزها ... شغالة ... الكرابيج ... والكلاب ... ورائحة الدم ... والجروح التي تعفنت تنزف صديدًا ... أو يسرح فيها الدود ... والمعلقون من أقدامهم بين السماء والأرض ... والمشدودون في الفلقة ... والجالسون علي الخازوق ... ودخان يتصاعد من جلد محترق بفعل السجائر ... وكلابات تنزع الأظافر ... أو تنتف اللحى ... والكلاب تعوي ... وتنهش ... كلاب ... كل الكلاب ... حيوانية في شكل ذئاب ... وأخرّي ... علي هيئة بشر .

رد العقيد مطمئنًا :

- لا ... لن يتوقف الشغل ... الضباط الصغار موجودين ... يكملوا ... نخلع أنا وأنت ... وهات الطقم معك .

غمز بعينه :

- شقة الزمالك ؟

- لا ... عند نجوى ... في المحل ... فريد قام بترتيب كل شيء .

حبكت القفشة ... قال سعد ضاحكًا :

- فريد ... أبو قرنين .

دخلوا الصالة الملحقة بالكباريه ... والمخصصة للشخصيات المهمة ... وأيضًا للضيوف (الأجانب) ... خاصة (المناضلون) العرب ... الأمر الذي يستدعي تجهيزات إضافية ... ميكروفونات سرية ... كاميرات مدفونة ... لزوم التسجيل ... والتنصت ... ومن بعد ... الابتزاز ... والتهديد ... و ... كله بثمنه ... والذي يريد الدح ... لا يقول (....) ... نحن الثوار ... والرواد ... لا نلعب ... وإذا لعبنا ... فلا لوم ... ولا عتاب – لعبنا هبش ... وطحن ... وسحق ... والويل ... لمن يقع ...

الصالة مجهزة بكل لوازم الانبساط ... وأقص درجاته من الانشكاح ... البار ... الجوزة ... أرقي أنواع الصنف ... من الهبو ... وألف ليلة ... في الأركان قعدات ... أو منامات ... أرضي ... عربي ... أو (قومي) لا فرق ... ولمن يريد نصبت الستائر تحدد خلوات الفجور ... تفضح ... أكثر مما تستر ...

في الاستقبال ... كانت الراقصة نجوى ... وبالتحية التقليدية ... اليد مرفوعة ... والكعب يدق :

- أهلاً ... يا قمر .

ضحك ... وقال :

- أخطأت ... أنا شمس .

نظرت إلي العميد سعد بلونه الداكن ... وطوله وعرضه .

يبقي هذا هو المريخ .

رد بسرعة :

- المريخ ... نجم معتم ... ولكنه في السما ... في العلالى .

انفجروا في الضحك ... استطردت :

- البنات جاهزين ... وكله ... كله ... تمام ... و ... ممنوع الكلام في السياسة . نظر إليها العقيد ... نظرة لها ... ألف معني ... وقال :

- نحن هنا ... مشتاقون ... نريد أن نشعشع ... نفرفش ... نضربها ألف صرمة ... ليلة من ليالي الأنس ... أريد أن أنسي نفسي ... اليوم احتفال ... بالنصر .

الراقصة لها تجربة مع العقيد ... تجربة مرة ... تذكرها دائمًا ... فهي في موقع ... ينفرط فيه اللسان ... وتنحل عقدة العقول ... تحت تأثير السطل ... والخمور ... موقع تسمع فيه ما خفي ... وما خفي دائمًا ... يكون أعظم ... وأدهى ... وأمر ... ونقل الكلام ... وترديده ... يؤدي إلي جب ليس له قرار ... درس تعلمته ... وكادت أن تدفع ثمنه ... فقد حاولت – مره – أن تسوق الظرف ... أو الهبالة علي الشيطنة ... مرة حاولت أن تشاركهم بنكتة تناولت المشير ... فلم تشعر إلا به ... يلطمها ... لطمة كسرت أحد أسنانها ... ورغم أنه استرضاها بعد ذلك ... وركب لها بدلاً منها سنة من البلاتين ... إلا أنها وعت الدرس ... وأصبحت تستخدم سدادات الأذن ... واحد بالطين ... والأخرى بالعجين ... وعل الفم ... حارس ... وقفل مسوجر ... لا يفتح إلا لكلام المسخرة . !!

هي تدرك – تمامًا – حدود عملها ... وتتفنن في أداء المطلوب ... وهو ... إرضاء الحيوان المتوحش ... داخل السترات المستوردة ... ليست مكلفة بالترويض ... والاستئناس ... و ... كله بالثمن ... ذهبًا ... وهدايا ... والأهم هو النفوذ ... والحماية التي توفر لها اختراق السدود ... وعبور الحواجز والمتاريس ... عقد الصفقات ... والإرهاب ... إرهاب كل من يدوس لها علي طرف . مع دوران الكئوس ... وتصاعد الأنفاس ... استفزت الراقصة نجوى جلال بيه ... وكالعادة ... ربط حول وسطه منديلها ... وأمسك بيدها ... وبدأ يتمايل معها علي دق الطبلة ... و ... أنغام الموسيقي ... أو (المسيئة) .

قال كفافي معلقًا ...

– ليتك ... يا باشا ... رأيته عندما شتمه المعتقل .

نظر إليه العقيد مستفسرًا :

– أثناء تعليقه في الفلقة ... كان المعتقل يستغيث ... فلما اشتد عليه الكرباج ... قال ربنا ينتقم منكم ... قال له جلال ... ممن يا ولد ... رد المعتقل ... منك ... يا كلب

رد الديب ... وهو يلهث مع الهز .

– لكنه يا باشا ... دفع الثمن ... مزقناه بالكرباج ... لكن يا فندم ... الصراحة ... أنا أعجبت بهذا المعتقل ... رفض توقيع الإقرار ... رغم أن زميله اعترف عليه ... ولكن لنا عودة ... لن يفلت يا باشا ... أنت تعرف أبو الديابة .

قال العقيد ... مازحًا :

– لعل إعجابك كان أشد ... عندما وصفك بالكلب .

قال العميد سعد ... مشاركًا بضحكته :

– المثل يقول ... الجالس علي الخازوق ... يشتم السلطان ... كلب ... كلب ... المهم يعيش و ... يترقى .

تردد قليلاً ... وهو يخشى رد فعل ما سيقوله ... إلا أن الخمر أطلقت لسانه :

– واحد منهم ... أثناء ضربه ... بصق علي ... وقال لي ... يا كافر .

توقفت نجوى عن الرقص عندما جذب يدها جلال بطريقة لا إرادية ... سحابة ما تزحف علي الجو ... الحديث أخذ مجرى ... لا يركب عليه صوت الموسيقي ... والرقص .

نظر العقيد إلي العميد سعد ... الذي عبرت وجهه – سريعًا – مسحة وجوم ... لقد تعرض هو نفسه لهذا الموقف ... إلا أنه لا يريد أن تهتز هيبته أمامهم ... قال مظهرًا عدم الاهتمام .

- هذا فكرهم ... جماعة رجعية ... تريد العودة بنا إلي الوراء ... هؤلاء لو تمكنوا من البلد ... لكان أول ما يفعلوه ... هو ذبحنا مثل الخرفان .

رد العميد سعد ... مؤيدًا حتى يعبر المطب الذي صنعه :

- طبعًا ... طبعًا ... ولكننا سنقضي عليهم ... أما هم ... وأما ... نحن .

عبرت السحابة ... عاد الجو إلي الروقان ... رجعت نجوى إلي الرقص مع جلال ... قال ... في تهريج ...

- وأنت يا نجوى ... كافرة .

كادت أن تتوقف ... إلا أنه استدرك قائلاً :

- حسب رأي هؤلاء الرجعيين .

تقصعت في حركة لولبية ... ورفعت إصبعًا فوق حاجبها وقالت :

- فشر ... يا عمر ... أنا مؤمنة ... وموحدة بالله ... يا جلال بيه ... أنا ... قبل أن أرقص ... لابد من قراءة قل أعوذ برب الفلق ... خوفًا من الحسد .

قال يسترضيها ... مستمرًا في التهريج :

- طبعًا ... طبعًا ... يا حلو ... ربنا رب قلوب ... وساعة لقلبك وساعة لربك .

ردت بسرعة ... بنفس التهريج :

- بل ساعة لقلبك ... وساعة لحل شعرك .

جاء إلي هنا ... ليقضي ساعات من المتعة ... سكر ... وسطل ... وشيء لزوم الشيء ... إلا أن موضوع الساعة إلا أن يفرض نفسه عليهم ... هه .. لا بأس ... وليكن .

قال العقيد :

- ما رأيك ... يا أبو السعود ... هل نستطيع أن نقول أننا قبضنا علي التنظيم ... ولم نترك وراءنا أي ذيول .

- نقول تسعين في المائة .

- ولكن علي عشماوي ... اعترف علي كل صغيرة ... وكبيرة ... وأدق التفاصيل ... والقبض جاري علي كل من ورد اسمه ... من أعضاء الجماعة ... وكل الذين كانوا يتعاملون معهم ... ويقابلونهم ... من غير الإخوان ... حتى ولو صدفة ... ولا يتبقى إلا الاعترافات ... والإقرارات ... ونضبط المحاضر ... لتقديمهم إلي النيابة ... ثم المحاكمة ...

- هذا كله معروف ... وبفضل ذكاء سيادتك ... ولكن بقية نقطتين ... لم يتم تغطيتهما ... تهمة اغتيال الريس ... والثانية قلب نظام الحكم ... فالجميع اعترفوا بوجود التنظيم ... وبأن الغرض منه ... هو التربية ... والدراسات الدينية ... لابد من وجود تنظيم مسلح .

- عندك حق ... تهمة قلب نظام الحكم ... تحتاج إلي شغل ...

ولازال الأمل عندي في تغطيتها ... ولدي خطة لذلك ... أما عملية الاغتيال ... فقد ضاعت منا فرصة إثباتها ... بموت إسماعيل الفيومي أثناء تعذيبه ... وقد حذرت كفافي ... وطلبت منه أن يكون الضرب بحساب .

قال كفافي مدافعًا عن نفسه :

- يا فندم ... ولد دماغه ناشفة ... جربنا معه كل الأساليب ... الفلقة ... علي الرجلين ... حرق السجاير ... خلع الأظافر بالكلابة ... وعلي مدار يومين ... بلا نتيجة ... رفض الكلام ...

قال العقيد في حسرة :

- هذا الولد ... أنا خطفته من الشارع ... قبل أن تنتبه له مخابرات الرياسة ... وكنت سألعب به ... لعبة كبيرة ... لأنهم كانوا نائمين وحياة الرئيس كانت في خطر داهم ... مصيبة تطير لها رءوس كثيرة .

استطرد في غيظ :

- تعرف يا سعد ... عندما أخبرت الريس ... ماذا قالوا ... ماذا كان دفاعهم ؟؟ .. قالوا أن شمس لفق هذه التهمة ... ليصفي حسابات قديمة معنا .

- وهل صدقهم الريس .

- نحن لم نقدم أي دليل ... لا اعتراف ... ولا إقرار ... ولكن الريس – من ناحية الأمن – اهتز ... وطلب تغيير الحراسة كلها ... ثلاثمائة واحد ... لقد ضاعت مني الفرصة .

قال كفافي ... مدافعًا ... ليطرد عن نفسه الاتهام :

- العميد سعد كان معي مشرفًا علي التحقيق ... وكان الهدف هو الاعتراف بنيته اغتيال الريس ... وعن أعوانه في طقم الحراسة ... إلا أنه امتنع عن الكلام تمامًا و ... و ... نظر إلي العميد سعد وقال :

- هل أكمل ؟؟

هز رأسه موافقًا :

- ولكن آخر كلام قاله ... كان غريبًا :

انتبه العقيد ... واعتدل في جلسته ... استمر كفافي :

- قال أنه لو كان في نيته قتل الريس ... لقتل معه سيادتك ... وعندما سأله العميد سعد عن قصده ... أفاد بأن قتل الريس سيفتح أمام المشير لتولي الحكم ... وبالتالي فإن السلطة الفعلية ستكون بيدك ... وأن سيادتك أسوأ من عبد الناصر .

قال العميد سعد مؤيدًا :

- وهذا كلام ... لا يمكن ذكره في التحقيق ... فاتفقت مع كفافي علي نسيانه .

سكت العقيد ... متفكرًا ... أكمل كفافي :

- الولد ... يرفض الاعتراف ... ويتحدانا أيضًا ... وبكلام يمس سيادتك ... فأمرت صفوت أن يجرب معه عملية الفسق ... ربطوا رجليه بالحبال ... وبدأ الشد من الناحيتين ... إلا أنه استمر في عناده ... ويبدو أن الفسخ كان شديدًا ... انكسر الحوض ... وكانت نهايته ...

سكت العقيد ... وطال صمته ... إلا أنه لم يبد أي نوع من الانزعاج ... صب له العميد كأسًا ... ثم قدم له الجوزة ... ومال علي أذنه هامسًا :

- لو كان الأمر بيدي ... لتركت الفيومي ... حرًا ... طليقًا .

المراد ... واضح ... هل كانت فرصة ... وضاعت ؟؟

أم أن الأفضل ... هو قطع الطريق ... خطوة ... خطوة ... و ... سيصل .

نظر إلي العميد سعد طويلاً ... ثم استمر في ضرب الأنفاس .

(19)

زكريا سالم

من شباب الإخوان الذين اعتقلوا عام 1955 ... في آخر تنظيم ... كان الغرض منه هو جمع التبرعات لإعانة أسر آلاف المعتقلين ... وهو من المحرمات الغليظة ... فالثورة التي اعتقلت الرجال والشباب ... باعتبارهم رجعية ... معوقة لتقدمها ... انتصرت عليهم ... وخلاص ... أما الأطفال والزوجات ومن يعولون ... فهم خارج منهجها ... وتفكيرها ...

زكريا ... طالب في السنة الأولي من عامه الجامعي ... لم يتم العشرين ... عندما اقتحموا غرفة نومه ليستيقظ علي مدفع رشاش يحمله أحد الجنود ... مصوب إلي رأسه ... بعدها اقتادوه إلي السجن الحربي ... لم يضربوه كثيرًا ... سوي علقة التحية ... والشاي ، المعتادة عند الاستقبال ... و ... عشرات الكرابيج عند التحقيق معه ... لأنه وجد كل شيء قد تم كشفه ... فكان – بلا فائدة – أن يستمر في إنكار دوره المتواضع في نشاط التنظيم ... قدم للمحاكمة ... حكم عليه بالسجن

عشر سنوات ... كان من الممكن أ ، يحكم عليه بخمس ... أو حتى بالسجن مع إيقاف التنفيذ ... حسب تسعيرة الأحكام حينئذ ... لولا أنه استفز رئيس المحكمة – اللواء حتاتة – فلم يعترف بأنه مذنب ... بل ارتكب أكبر الجرائم ... عندما قال بأنه يحاكم ظلمًا ... ثم كانت أم الجرائم عندما قال بأن كل هذا البطش لن يقضي علي الإخوان ... المحكمة لم يكن بها إلا هيئة المحكمة من العسكريين ... والحراسة ... والمعتقلين الماثلين أمامها ... يعني كلام في الهواء ... لا صحافة ... ولا تلفزيون ... ولا حضور ... القاعة ... جدران ... وكراسي فاضية ... طيب لمن الكلام ... يا زكريا ... قال أنه سجل موقفًا ... لن يضيع ... ولكن الثمن الذي دفعه يومها ... كاد أن يودي بحياته ... ما فعله زكريا كان تجديفًا في زبانية السجن الحربي الذين لقنوه ما يجب قوله في المحكمة ... كلمتين و ... تقطع ... أنا مذنب يا فندم ... ولو أراد الزيادة ... فليقل ... يا فندم أنا طالب ... الإخوان ضيعوا مستقبلي ... غرروا بي ... يا فندم ... هذا هو المسموح به ... وغير ذلك ... ثمنه ما حدث له في تلك الليلة ... حيث سقاه العساكر هو ومن كان يحاكم معه – طوال الليل ... جميع صنوف العذاب المعروفة ... إلي أن فقد الرؤيا ... وأصبح جسده قطعة واحدة من اللحم المدمم ... كان الضرب ... غلاً ... وحقدًا ... وانتقامًا ... وعبرة لكل من تسول له نفسه ... بالخروج عن النص ... وبعد عشر سنوات ... لازالت آثار الجراح التي اندملت ظاهرة في ظهره وعلي بطنه ... وفي أطرافه ... وكأنها آثار لعشرات العمليات الجراحية ... !!

صدر الحكم ... وتم ترحيله إلي السجون المدنية ... للتنفيذ .

في أول زيارة له في السجن ... حضرت أمه ... ومن خلال شهقاتها ودموعها ... قالت :

- بنت خالتك ...

قاطعها :

- لا تكملي حديثك ... لقد قرر أن أعطها حريتها .

عز عليها ... فالأم ... أم ... وهي خالة البنت ..ز أحلامها كانت بلا حدود ... كانت تقول ... دائمًا ... فولة وانقسمت نصفين ... زكريا ... وهالة ... خطبتها له خوفًا من أن يخطفها – غراب البين – ... واحد غريب ... مع أن مشوار زكريا في التعليم كان قد بدأ للتو ولكن ... آه ... وآه من تصاريف القدر ... أختها ... بنت أمها ... شقيقتها ... التي اقتسمت معها اللقمة ... والهدمة ... غدرت بها ... حسبتها بسرعة ... حتى ولو تم الإفراج عنه ... فلا أمان مع من سلك الطريق ضد الحكومة ... هل نحن قدها ؟ .. لا يا أختي كل واحد عقله في رأسه ... يعرف خلاصه ... نحن

من سكة ... وأنتم من سكة ... لا زعل من الحق ... أنت لا ترضين ... ولا يخلصك يضيع مستقبل البنت ...

الكلام كان جارحًا ... و ... يعني أن مستقبل زكريا ... في الضياع ... لماذا يا أختي تخلعين بهذه السرعة ... حكم بالبتر ... والقطع ... رحمة الله واسعة يا أختي ... أمره بين الكاف والنون ... منذ أن مات زوجي ... وأنا أرعي الأولاد ... نشأ زكريا ... قرة عين أمه ... بارًا بها ... معترفًا بكفاحها ... تنظر إليه كأمل يكبر ويترعرع ... وعندما دخل الجامعة بدأت في العد التنازلي ... منتظرة يوم تجني الثمرة ... يوم الحصول علي الشهادة الكبيرة ... ليحمل عنها العبء ... آه ... ما أقسي الابتلاء يا ربي .

أما هو فقد كانت صدمة ... كان عقله يقول له أنه من الظلم أن تربط البنت مصيرها به ... بعد أن أصبح مستقبله ... وطريقه كله مخاطر ... وكان في نيته أن يبدأ الخطوة الأولي ... كان الأمل المتلاعب بقلبه ... يرتفع ... ثم يخبو ... لعل ... وعسي ... و ... لربما ... وأخيرًا ... هذا هو القرار ... رده إلي الواقع بلا رحمة ... ما أقسي أن يكون السجن قيدًا علي البدن ... وثقلاً يجثم فوق القلب ... والوجدان .

السنين مرت ... يا زكريا ... أحلي أيام العمر ... بين العشرين والثلاثين ... سني النضج ... والتفتح والفوران ... تمضي بك ... قاعدًا ... نائمًا ... وخطوات محدودة بين الزنزانة ... ودورة المياه ... و ... طابور للمشي دقائق معدودة ... ساعة العمر تدور ... بطيئة ... ثقيلة ... رتيبة ... ورغم ما في السجن من قيد وأحزان ... إلا أنهم – وهم الظلمة المتحكمون – كانوا يقطعون انتظام عتمتها ... بعتمة أشد ... عقابًا ... وتكديرًا ... وحرمانًا من وسائل التخفيف – وهي قليلة ونادرة – هدفهم إطفاء مصدر النور في قلوبكم ... و ... إقلاق صبركم ... كانت تقتلهم غيظًا ابتسامة رضا ... رغم وجع القلوب ... ومرح مبعثه استسلام لقضاء ... وتفريغ مؤقت يعين علي محنة الابتلاء ... وإحياء للأمل في فرج ... مقدر ... برحمة منه .

الإخوان ... معك ... غالبيتهم في نفس سنك يا زكريا ... تتشابه النشأة وإن اختلفت التفاصيل ... كلهم ود ... وتراحم ... يجمعهم ... مركب واحد ... وعقيدة واحدة ... وإن تباينت الأمزجة ... والميول ... شريط طويل ... من الذكريات ... أغلبها مر ... وإن صبر عليه ... ومعظمها بلاء ... وإن تخفف بأنه قدر ... وفي سبيل الله ... وكلها توتر ... وانقباض ... يبسطه ذكر رب لا ينام ... ولجوء إلي رحاب تتسع بالرحمة ... ونور الأمل . ولأن لكل أجل كتاب ... فقد جاءت النهاية ... تم الإفراج عنه ... بعد عشر سنوات كاملة ... وربما زادت بضع ساعات .

مع أول خطواته في الدنيا ... أدرك أنه لم يفرج عنه ... فقد خرج من السجن الصغير ... إلي السجن الكبير ... فقد كان عليه أن يواجه حالة أسرة متردية ... وأن يرفع ما بقي من أمه ... بعد ما مر بها من أزمات ... ومجاهدة في تربية أولادها ... فأصبحت هيكلاً ينخر في داخله مرض القلب ... والسكري ... لم يكن من سبيل أمامه إلا أن يقتل الأمل في استكمال تعليمه الجامعي ... وأن يبدأ – علي الفور – في البحث عن باب الرزق ... كان في سباق مع الزمن الذي اغتال عشر سنين من عمره ...

وأثناء سعيه ... التقي الشيخ عبد الفتاح إسماعيل .

رفيق زنزانة السجن الحربي ... الذي افترق عنه بعد ترحيله ... ظل الشيخ في الحربي معتقلاً بعد أن أفلت بأعجوبة من التحقيق معه ... والمحاكمة ... وبحيلة قد تكون ذكية ... ولكنها في النهاية كانت قدرًا مكتوبًا ... فقد كانت اعتقالات 1954 ... عملية هوجاء ... كان التركيز فيها علي سرعة اعتقال القيادات البارزة ... وبالذات أعضاء النظام الخاص ... أو ما كانوا يسمونه بالتنظيم السري ... كانوا في سباق مع الزمن ... يريدون ضرب الهيكل ... وتمزيقه حتى يضمنوا عدم وجود رد فعل عنيف ... قبضوا علي الخطرين في الأيام الأولي ووضعوهم في السجون الصغيرة بنظام يضمن استدعاؤهم عند التحقيق ... أما الآلاف ... من بقية الإخوان فكانوا يدفعون بهم إلي زنازين السجن الكبير ... في أحيان كثيرة ... بدون أتباع النظام المعتاد في تسجيل الأسماء مع أرقام الزنازين ... هوجة ... فرضتها ظروف الاعتقال الشعوائي ... وقفًا لنظام الاشتباه ... أحياناً بتقارير وتحريات ... وأحيانًا أكثر ببلاغ من موتور ... وجد الفرصة ... أو شيخ الحارة ... أراد التزلف إلي السلطة ... كانت المهمة الأولي ... عند زبانية السجن الحربي ... هي الاستقبال للجميع ... لأنها العين الحمراء أول ما يقابله المعتقل ... ليكون كل ما بعدها علي بينة ... ثم ... يصبح التعذيب بعد ذلك عملاً روتينيًا ... أو كما كانوا يقولون ... ربكم عمل جهنم فوق ... ونحن عملناها تحت ... ولكن العذاب الشنيع ... متعدد المراحل ... كان يتم في الساحة الرئيسية أمام المكاتب ... لكل من يرد ذكره في التحقيقات ...

وكان الاستدعاء يتم بالنداء علي الاسم – ليلاً ... يكرره العساكر عدة مرات :

- اخبط ... علي الباب ... يا ولد .

الأوامر عند النداء ... فورًا يقف المعتقل ... ويضرب بقبضته علي الباب إلي أن يهتدوا إليه ... فيسحبونه حافي القدمين ... يسوقونه بالكرابيج أمامهم إلي الساحة ... والويل ... كل الويل ... لمن يسمع النداء ... ثم يتأخر في قرع الباب ...

نودي علي اسم الشيخ عبد الفتاح ... في أحد الليالي وعندما هم بالوقوف ... جذبه أحد الإخوة ... فأجلسه ... ووضع إصبعه علي فمه ... إشارة إلي السكون ... خاطر ما ألهمه ... أن يستجيب ... رباط علي عنقه ... كرروا النداء ... وهو يدعوا الله ... النجاة ... والثبات ... وفي الليلة التالية أعادوا تكرار النداء ... إلا أنه لم يتحرك ... ولحكمة لا يعلمها إلا الله ... أفلت ... من التحقيق ... والمحاكمة ... بعد عامين من الاعتقال في السجن الحربي ... أفرجوا عنه .

كان لقاؤه بالشيخ عبد الفتاح ... مجرد صدفة ... هكذا بدا الأمر لزكريا ... ولكن الأمر كان مختلفاً بالنسبة للشيخ الذي كان يسعى في طول البلاد وعرضها لتجميع الإخوان ... وإعادة ربطهم بحبل العقيدة ... خوفًا من ضياع أصل الشجرة وسط عواصف إلحاد الشيوعيون ... وعلمانية القوميين ... الذين تسللوا إلي وسائل الإعلام وسيطروا عليها ... وحولوها إلي خلايا تزن دبابيرها ... ليل نهار في الآذان ... وتذهب بالأبصار ... أملاً في ألا يرون ... ويريدون ... وتحول التلفزيون إلي كباريه مجاني ... يفرض نفسه علي البيوت والشباب ... مع خمود كل نوع من الاعتراض ... فلا صوت ... ولا مقاومة ... ولا بم ... الظلام حالك ... مدلهم ... والخوف زرع الجبن ... والصمت هو الفضيلة المفضلة ... أصبح شعارًا للنجاة ... والسلامة ... والناس تتناقل النكتة مثل المخدرات ... رعبًا من صديق يحمل جهاز تسجيل ... أو ابن يتجسس علي أبيه ... وأخيه ...

الشيخ عبد الفتاح ... الذي تلقي الدعوة من نبعها الصافي ... كان يدرك بأن أرض الكنانة حبلي بأشبال ورجال من الإخوان ... تتوهج فطرتهم بنور الإيمان ... يرفضون الخضوع ... والاستسلام لحكم الطاغوت ... يملأهم العزم ... والرغبة في التحدي ... وعلي استعداد للتضحية ... إذا وجدت الفرصة ... كان يدرك أن عليه السعي ... أما التوفيق ... فهو من عند الله ... وكان عليه – أيضًا – أن يكون سعيه حسيسًا ... وسط حقول الألغام ... يعتمد علي بصيرة المؤمن ... وروحًا مجندة ... ستلتقي وتتآلف معه أرواحًا ... تضع يدها في يده بيعة في سبيل الله .

من شمال البلاد ... إلي جنوبها ... ومن شرقها ... إلي غربها ... إذا صلي الصبح في مكان ... صلي الظهر في آخر ... لا يحمل هم قدوم الليل ... ولا أين يبيت ... اللهم إلا مكان يضمن فيه قيام ليله ... ساجدًا ... قائمًا ...

لم يكن لقاؤه مع زكريا ... إلا من تدبيره ... فقد سعي لتقديم العزاء في قريب له مات ... وكان متأكدًا من وجوده ... فكان اللقاء ...

مال عليه وقال :

- كيف حالك ... وما فعل الله بك ؟

قال في هم :

- مواجهة الحياة خارج السجن ... أصعب منها داخله .

أطرق الشيخ ... ومن أدري منه بذلك ؟ .. فهو يعلم أن المسجون الذي لا حول له ولا قوة ... يعيش – خارج دنيا الناس – ميتًا مجردًا ... مقيد الإرادة مشلول الحركة ... غير مطالب بأي التزام ... أما خارج السجن ... فالحياة فاتحة فاهًا ... طالبة المئونة ... والزاد قال له الشيخ ... مستدرجًا :

- وما الذي يدور في رأسك ؟

قال في فتور :

- سأفتح دكان للبقالة تحت منزلنا .

سكت الشيخ قليلاً :

- البقالة ربحها قليل ... ونموها بطئ ... وستربطك بالمكان ... والرزق يحب الخفية .

انتظر وقع كلماته ... فلما رآه ساكنًا ... استمر :

- ما رأيك في التجارة ... إن فيها تسعة أعشار الرزق كما يقول نبينا عليه الصلاة والسلام .

- ولكن التجارة ... في حاجة إلي رأس مال ... ولست غريبًا ... فالعين بصيرة ... واليد قصيرة .

رد الشيخ مطمئنًا :

- لا تهتم ... سندبر لك كل شيء .

الشيخ كان يعمل في تجارة الحبوب ... وكان يدرك بأن الإخوان الخارجون من السجون ... يواجهون مشاكل الحياة ... تراكمت مع السنين ... وأغلبهم بلا معين ... ولا سند ... فكان يسارع بمد العون لهم ... معتبرًا ذلك جزءً من سعيه في إحياء الجماعة ... وخطوة – لابد منها – قبل أن يفاتحهم الانضمام إلي التنظيم .

كان عرضه الذي قدمه لزكريا ... هو ... أنه سيمده بالبضاعة من الحبوب أرزًا ... أو قمحًا ... أو فول ... أو حتى علف الحيوان ... وعندما يتم بيعها ... كلها ... أو جزء منها ... يرد له ما تيسر من النقدية ... وبالتالي يمده غيرها ... وهكذا دارت الحركة ... و ... انتظمت ... وكانت المعاملة تتم بينهما باللقاء المباشر أول الأمر ... ثم بعد – اتساعها – وسرعة تنقل الشيخ عبد الفتاح ... أصبح التواصل عن طريق خطابات يحملها ابن عمة زكريا سيد رجب ليس فيها أكثر ... من بيان البضاعة ... وحساب النقدية ... الأحوال بدأت في التحسن يا زكريا ... ويبدو أن الدنيا بدأت

تبتسم لك ... وأبواب الرزق انفرجت ... بعد إغلاق ... وصدود ... إلا أن أخبار الاعتقالات ... بدأت هي الأخرى تعكر الصفو ... وتسوق غيومها ... وتدق بالمطارق علي الأبواب صخيًا ... مثيرًا للقلق ... ومهيجة شجونًا لزمن ظننا أنه مضي ... وانقضي ... ولن يعود ... ومما زاد الحيرة ... والبلبلة ... عدم وجود سبب واضح ... لهذه الحملة ... التي تركزت في المقام الأول علي المجموعة التي قضت مدة سجنها بالكامل ... وخرجت منذ شهور ... وهو بالطبع ... واحد منهم ... وظروفهم جميعًا متشابهة ... الباحث عن حل مشاكله المادية ... والغارق لأذنيه في ترميم بيت الزوجية والأولاد ... والطالب الذي تخلف عن كليته عشر سنين ... راجع ... ليجد زميل الدراسة ... قد أصبح أستاذًا عليه ... والذي فقد أمه ... وأبيه ... وأصبح وحيدًا ... قد أكل إخوته ميراثه ... ونفضوا أيديهم منه ...

الاعتقالات التي بدأت ... هادئة ... انتقائية ... ارتفع إيقاعها ... وبدأ التوجس يأخذ بأنفاسه ... في كل ساعة ترقب ... كل طارق يثير هواجسه ... كوابيس في الليل ... ومسامير القلق تدق رأسه نهارًا ... يا رب ... ماذا فعلنا ؟؟ .. يا رب حكمتك ... إنك لطيف لما تشاء .

وجاءوا ... كالعادة ... قبل الفجر .

طرقوا الباب ... دخلوا ... رجال المباحث ... لا يحملون المدافع – هذه المرة – يتحركون في هدوء ... استيقظت الوالدة فزعة ... ما الذي يجري ... أخبرها أحدهم ... وهو يأخذ بيدها ... ويغلق عليها باب حجرتها ... لا تقلقي ... شيء بسيط ... ما هو هذا البسيط ؟ .. ولماذا هذا البسيط دائمًا من نصيبهم ... ومادام هو بسيط ... فلماذا لا يتركونهم في حالهم ... سجن وسجنونا ... وخراب ... ودمرونا ... ومرض ... هد ... حيلنا ... تكومت ... في جانب سريرها ... فلم تسفها عافية متداعية علي فتح الباب ... ومتابعة ما يجري ... تجول الضابط في البيت ... فليس فيه ما يدعو إلي التفتيش ... والتنقيب ... أثاث بسيط ... ولا شيء مغلق ... توقف أمام مكتبة بالية بها بعض الكتب الدينية ... استلفت نظره خطاب حديث ... فتحه ... وما أن قرأ سطوره ... حتى تغير لونه ... ودبت في أوصاله المتكاسلة ... حماسًا ألهبها .

نادي علي زكريا ... في عصبية :

– أين مخزن الحبوب ؟

رد في هدوء ... قلق :

– تحت .

استمر في عصبيته :

- افتحه فورًا .

جمع القوة ... ثم نزل مسرعًا ... اقتحم المخزن ... هجموا علي جوالات الحبوب تقطيعًا بالسكاكين ... أفرغوها أكوامًا ... حتى امتلأ المكان بها ... الأرز علي الفول ... علي القمح ... لم يتركوا جوالاً واحدًا . العصبية لازالت تسيطر علي الضابط ... عندما خرج إلي الشارع وهو يتحدث مع قيادته بجهاز الاتصال ... زكريا في حالة من عدم الاتزان ... مروحة تأز وتدور داخل رأسه ... علمته المحن والتجارب السوداء ... أن يتماسك ... و ... المهم ... ألا يسأل ... لأن الإجابة لن تكون أبدًا شافية ... ولا في مصلحته ... جذبه الضابط بعنف ... وقال :

- من هو الشيخ عبد الفتاح ... هذا ؟

قال زكريا ... في هدوئه المصطنع :

- عبد الفتاح عبد إسماعيل .

رد الضابط بسرعة :

- الشيخ عبد الفتاح ... من كفر البطيخ ؟

- نعم ... هو .

زادت عصبيته ... أوشكت أن تصل إلي الهياج :

- ومن هو سيد ... هذا ؟

- سيد رجب ... جارنا ... وابن عمتي .

مع إشارته نحو المنزل ... اندفعت القوة مسرعة ... وما هي إلا دقائق حتى كانت تدفع سيد رجب بملابسه الداخلية ... بعد أن انتزعوه من سرير نومه ... وتلقي به إلي داخل السيارة ... وفي السيارة الأخرى دفعوا زكريا في داخلها ... في الشباك كانت أمه قد أسندت ذقنها علي حافته ... تشاهد ما يجري في الشارع ... التقت عينها ... بعينيه وهم يدفعونه للركوب ... وكان آخر ما وقعت عليه عيناها ... وداعًا ... يا زكريا ... وداعًا يا بني ...

سقطت فاقدة النطق .

(20)

لم تكن حسابات الداخلية التي اعتمدت علي خبرة أمنية طويلة ... ومتابعات ميدانية ... في استبعاد وجود تنظيم للإخوان ... بعيدة – كثيرًا – عن الواقع ... قد يكون هناك تحركات مريبة ... هنا ... أو هناك ... ولكن في ظل الملاحقات ... وبرنامج الضربات الإجهاضية ... ونظام التفتيش المفاجئ ... واحتجاز من يشتبهون فيه لفترات تطول ... أو تقصر ... ونشر العيون ... والجواسيس

... والاختراقات ... كل هذه الإجراءات – كان في تقديرهم – أنها تشكل عوائق مهنية ... ومدروسة ... فعالة ... تمنع وجود تنظيم كبير قوي ... ينتشر ... ويشكل خطورة علي النظام ... ويرون أنه من الطبيعي في مثل هذه الإجراءات ... أن تحدث ثغرات يمكن النفاذ من خلالها ... إلا أنها لا تسمح إلا لوجود جماعات صغيرة ... ومحدودة ... بضعة مئات علي الأكثر ... ومن خبرتهم ... فإن نشاطها ... لن يزيد علي الدراسات الدينية ... ولا يمكن أن تتطور إلي تنظيم مسلح ... يقوم بأي عمل عسكري ... لأسباب كثيرة ... بعضها حركي ... وبعضها عقائدي ... ومن أهمها هو وجود رهائن من قادة الجماعة ... لازالوا في السجون .

العقيد شمس ... له حسابات أخري .

العقيد الذي تمكن في أن يصبح الرقم الصعب ... في أمن النظام ... عن طريق القفزات السريعة ... فوق الجثث والأشلاء التي استنطقها ... وصورها علي شكل مؤامرات لقلب نظام الحكم ... أمكنه – أيضًا – أن يحقق قفزة كبري ... وانتصار ساحق علي أمن الداخلية ... وأن يدفن ما بنته الشرطة من جهد ونشاط طوال السنين الماضية في محاربة الإخوان – العدو الأول ... لأنه يعرفهم جيدًا ... يعرف مدي إصرارهم ... ومدي صبرهم ... وقدرتهم علي تلقي الصدمات ... وتجاوز المحن ... عبد الناصر ... عاصرهم عن قرب ... فقد كان – وللأسف – واحدًا منهم .

العقيد ... كشف الداخلية ... وأظهر فشلهم ... والمسألة أصبحت لا أكثر من أيام ... ويطاح بالوزير ... وكبار معاونيه ... وتسقط الداخلية برجالها ... في قبضته ... ويُسقط فكرة الريس وحرصه علي تعدد أجهزة الأمن ... وتنوع قيادتها ... حتى يظل كل شيء تحت سيطرته ... عشرات العصافير بضربة واحدة ... أيها العقيد ... المحظوظ . شمس ... لا يضيع وقته ... استبق الأحداث ... وفتح سكة اتصال مع الصف الثاني من رجال المباحث ... وبدأ في تشغيلهم لخدمة أهدافه ... دفعهم للبحث في الدفاتر القديمة عن وقائع سقطت أثناء الهرولة في تحقيقات الجهاز السري سنة 1954 ... وخاصة عن الأسلحة ... الذي قد تكون لازالت مخبأة منذ ذلك الحين ... فلربما أسفر هذا الاتجاه عن التنظيم المسلح الذي يبحث عنه ... وبذلك تكتمل الحلقة الناقصة ... وهي الخطة التي أشار إليها في حواره مع العميد سعد ... في جلسة الإنس عند الراقصة نجوى .

القبض علي زكريا سالم ... فتح طريقًا آخر ... ربما يكون أكثر فائدة وأقرب إلي اكتشاف تنظيم مسلح ... خاصة وأن أطرافه هو الشيخ عبد الفتاح إسماعيل ... المتهم الرئيسي في التنظيم المكتشف حديثًا ... فهل يستمر الحظ في ركابك يا شمس باشا ببركة دعاء الوالدين عليك ... وهل تنال الحظوة ... والذي في بالي ... وبالك ... يا رشدي بك ... قبل أن تصل السيارة إلي السجن الجديد

في أبي زعبل ... وضعوا القيود الحديدية ... في يديه إلي الخلف من ظهره ... ثم وضعوا عصابة علي عينيه . نزل من السيارة يقوده أحد المخبرين ... وبمجرد أن تعدي البوابة ... شعر بشومة تهوي بين كتفيه ... صرخ من الألم ... والمفاجأة ... عالجه أحدهم بكف – سطحه من الحديد – علي قفاه ... وآخر علي وجهه ... ثم توالت الصفعات علي أذنيه ... وقبضات الأيدي تطحن عظام صدره ... استقبال فيه تجديد ... استقبال الحربي بالكرابيج ... يبدو أن اعتمادات الداخلية المالية فقيرة لا تسمح باستيراد الكرابيج ... ولكن لا بأس ... بالشوم المحلي ... نعتمد علي الوطني ... وكله يؤدي الغرض ... طعم الشاي ... أيضًا – محلي ... مر المذاق ... كرم الضيافة يختلف في أبو زعبل ... عن الحربي ... حتى الإجرام ... متعدد المذاق ... درجات ... بين المرارة ... والعلقم .

العنبر الجديد في ليمان أبي زعبل ... عبارة عن عدة طوابق ... ومثله ... مثل كل السجون ... عبارة عن زنازين كبيرة نوعًا ... متجاورة تشكل أضلاعًا للمبني المستطيل الشكل ... وفي وسطها فناء ... يحيط به أسياخ الحديد ... علي شكل قفص كبير ... حتى السقف ... فيما يشبه أقفاص الحيوانات ... وعليه باب محكم ... القفص معرض للشمس ... الحارقة صيفًا ... والبرودة الشديدة شتاء ... وكان من الطبيعي أن يصبح مكانًا مثاليًا ... للقهر ... والتعذيب ... أطلقوا عليه ... اسم المحمصة ... تستخدم قضبانه الحديدية في ربط القيود الحديدية باليدين عليها ... فيظل الجسم معلقًا ... ممدودًا بثقله ... لا يحمله إلا الرسغين ... في وضع مثالي للضرب في كل أنحاء الجسم ... مع الألم الهائل لليدين لتحملهما كل وزن الجسم ... وما يصبهما من تمزق ... قد يفصل اللحم عن العظام ... التعليق قد يستمر ساعات ... أو أيام ... لا ماء ... ولا طعام ... معصوب العينين ... لا يري ... وإنما ... يسمع الأنين حوله ... وصوت اصطدام الشوم بالأجساد ... ينشر الكدمات ... ويكسر العظام ... وصرخات ... ودعاء يتصاعد من خلال السقف المفتوح إلي بارئها ... تشكو الظلم ... الطغيان . علقوا زكريا ... وتركوه ... لا ... لم يتركوه ... أين أنت يا زكريا ... وما الذي يجري ... أشعر بأن المكان حولي ... كأنه شماعة هائلة ... معلق عليها عشرات الجثث ... صرخة ... صوت شومة مكتوم ... اصطدام باللحم ... والعظم ... آه ... يا رب ... حرام عليكم ... صفر الهواء لعصا ... تشق الهواء ... هذه المرة ... كانت قدميه هما الهدف ... كتم شهقة .. لم انتظاره ... الأقدام تتكاثر له ... قبظة غليظة ... تدق جنبه ... انسحبت أنفاسه ... تغوص ... وتنقطع ... كاد قلبه أن يتوقف ... آه ... جاوبته آه أخري ... بجواره ... الأقدام تبتعد ... ليس بعيدًا ... صوت شومة يهوي ... وصرخة ثانية ... وثالثة ... رائحة جلد تحترق ... عادت الأرجل تحيط به ... هذه المرة كان الضرب بالعصاه ... علي اللحم ... علي القدمين ... صرخ ...

- ماذا تريدون ؟

الإجابة كانت لطمة علي فمه ... شعر بأن فمه يتداعى ... حاول الصراخ إلا أن فمه لم ينفتح ... توالت اللطمات ... ثم شومة تحش وسطه ... انقطع نفسه ... ثم ... غاب عن الوعي . أفاق علي النهار الذي بدأ نوره يتسلل إلي المحمصة ... السكون يحيط به ... صمت المقابر ... اختفي وقع الأقدام ... لعلهم ذهبوا ... أو ربما هم كامنون في مكان ما يراقبون

صوت استغاثة : ماء ... رشفة واحدة ... أنا مريض بالسكر

رد عليه صوت هامس : اصبر يا أخي ... لن يجيبك أحد ... ولو حضروا سيضربوننا جميعًا .

زكريا يعرف هذه الأصوات ... ولكنه ليس متأكدًا ... لا ... أنه متأكد ... إنهم إخوانه ... كانوا معه في السجن ... ولكن ... بماذا تفيد المعرفة ... كل مشغول بحاله ... ولكن ... لماذا ... وما الذي يحدث ... لا فائدة من التفكير ... وليس لها من دون الله كاشفة ... ولا ملجأ من الله ... إلا إليه ... هو المعين ... وليس أمامنا إلا الصبر . تحركت شفتاه بالتلاوة ... شفتان متيبستان ... وفك معطوب ... ولسان متخشب ... وحلق جاف ... الشمس تزحف ... ويشتد لهيبها ... قطرات العرق التي تنزفها الأجسام ... سرعان ما تجف ... أنه يغفو ... سرعان ما يفيق علي ألأم القيد يحز في يديه ... الكدمات وصلت إلي العظام ...الألم صار نشرًا ... يغفو ... ثم يفيق ... الإفاقة علي انتفاضة ... وتشنج ... الصمت حوله عذاب آخر ... الهمس دعاء وذكر ... يشعره بالإنس ... ويخفف ألمه ... صوت ترتيل خفيض ... ما أحلاه ... وتري المجرمين يومئذ الضرب لا يتوقف ... بالشوم ... والعصي ... وأسلاك الكهرباء ... ضرب عشوائي ... بلا هدف مفهوم ... من حين لآخر يسحبون جثة من الجثث المعلقة ... ثم أصوات جرها ... أو سحبها ... صوت الباب يفتح ... ثم يغلق ... أين يذهبون ؟؟

في الجانب الآخر ... من القاهرة ... التي انقهرت بالظلم ... والظلام ... كان سجن القلعة

نزل سيد رجب ... لا قبل أن ينزل عصبوا عينيه ... ووضعوا القيود في يديه خلف ظهره ...ثم دفعه أحدهم ليهوى علي وجهه (مدلوقًا) من السيارة ... عندما وقف انهالت عليه الصفعات ... هل يمكن أن تكون هذه كفوف ... أو مطارق ... تدق وجهه ... وأذنيه ... البرق يضرب بصره ... والصفير يشق أذنيه ... و ... انتهي به المطاف ... ملقي داخل الزنزانة ... وأغلقوا عليه الباب ... أصبح مكتومًا علي الأسفلت ... الأوجاع تهز لحمه ... والمناشير تحز عظمه ...

سمع صوتًا يناديه ... عبر الباب ... لا ... لا ... إنه من داخل الزنزانة ... فيما يبدو ... أنها سماعة ... الصوت خافت .

- يا سيد ... يا سيد ... هل تعرف ... أين أنت ؟ .. أنت في بحر الظلمات ... لن تخرج حيًا ... سندفنك هنا يا سيد .

الصوت يرتفع تدريجيًا ... حتى صار هديرًا ... يزلزل الأذن ... ثم صوت ماكينة تدور ... منشار يشق الخشب ... ثم يعود الصوت إلي انخفاضه .

- يا سيد ... هذا جزاء من يقف ضد الثورة .

انطلقت غنوة ... الصوت ارتفع بها فجأة ... صوت يصم الأذن ... يتخبط صدى علي جدران الزنزانة ... ثم ... غنوة أخري ... ثم ينخفض الصوت .

- يا سيد ... لن تموت ... سندفنك حيًا ... قبل ذلك سنقطعك ... قطعة ... قطعة . هل هذا حلم ... أم علم ... كابوس يا سيد ... أم عالم ما بين الموت والحياة ماذا فعلت ؟ .. ماذا فعلت ... صاح وقد أوشك علي الجنون :

- ماذا فعلت ... والله العظيم ... أنا لم أفعل شيئًا ... أنا برئ ... أنا برئ .

فتح الباب فجأة ... شعر بالأيدي الغليظة تسحبه علي الأرض جرًا ... جروه من قدميه ... وأسه يرتطم بالأرض الغير مستوية ... حتى انتهوا به إلي مكان ... يبدو أنها غرفة مكتب ... سمع صوتًا يصيح في تمثيل ردئ :

- اتركوه ... ما هذا ... ماذا فعلتم يا أولاد الكلب ... من الذي أمركم بهذا .

لان صوته ... وقال في حشرجة رقيقة : تقدم يا سيد ... تعالي يا سيد ... اجلس .

لازالت العصابة علي عينيه ... والقيد في يديه ... أجلسه أحدهم ...

- هات ليمون لسيد .

ثم استطرد : ما الحكاية يا سيد ... ما الذي أتي بك إلي هنا ؟

لم يفكر كثيرًا في السؤال (الاستعباطي) ... كل همه انصرف إلي حبل للنجاة ممدود له ... حتى ولو كان وهمًا .

- سعادة البك ... والله ما أعرف .

- وبعد يا سيد ... أنا أحاول مساعدتك ... من أيدي الوحوش ... تكلم يا سيد .

- عن ماذا يا سعادة البك .

لم يكمل كلمته ... فقد شعر بالأكف تتلاحق علي كل أنحاء وجهه ... صرخ ... قال الصوت : هل رأيت يا سيد ... ساعدني كي أساعدك .

- كيف أساعدك ... والله العظيم ...

أنحبس صوته عندما أطلق أحدهم قبضته في صدره .

قال الصوت بنفاذ صبر : علاقتك بزكريا .

- ابن خالي يا بك .
- فقط ؟
- أنا أساعده في تجارة الحبوب .
- عظيم ... اقتربنا من الموضوع ... كيف ؟

أحس بطرف حبل النجاة ... أمسك به بشدة ... وهو يكمل :

- كان يرسلني لإحضار البضاعة من التاجر الذي يتعامل معه ... وأسلمه النقود
- اسم التاجر ؟؟
- الشيخ عبد الفتاح إسماعيل .
- وما هي البضاعة التي كنت تتسلمها منه ؟
- أجولة من الأرز ... والحبوب الأخرى ... فول ... ذرة ... وأحيانًا علف الحيوان
- عظيم يا سيد ... أنت ماشي مضبوط ... وآخر مرة ؟

قال سيد :

- كان جوالاً واحدًا من الأرز ... قال الشيخ عبد الفتاح ... خذ هذا الخطاب وسيعرف زكريا المطلوب منه .
- ألم تلاحظ في الجوال شيء غير عادي ؟
- لم ألاحظ إلا أنه لم يكن معه أي بضاعة أخري خلاف كل مرة .

قطع التسلسل ... فاجأه بالسؤال : متى انضممت إلي الإخوان ... ؟

عاد الضرب ... عنيفًا ... متلاحقًا ... والشومة ... تقصف عظام رجليه صرخ :

- أنا لا أعرف من الإخوان إلا ابن خالي زكريا ... وصديقه شعلان .
- يعني ليس لك أي نشاط ديني .

قلة الخبرة ... والضرب أفقداه حذره ... المهم أنه ليس من الإخوان ... قال

- يا بك ... أنا تبع جماعة التبليغ ... نخرج إلي المساجد ... ونكلم الناس في دينهم ... والحكومة والناس كلهم يعرفوننا ... لكن إخوان ... لأ

عادت الأسئلة يصاحبها الضرب ... منقطع ... من حين ... لآخر .

- هـ ... يم ... م ... يعني لم تكن تعرف ماذا بداخل جوال الأرز ؟

- يا بك ... الشيخ عبد الفتاح قال أنه جوال أرز ... وكان مغلقًا ... قل لي ماذا تريد ... وأنا أبصم بالعشرة .

الآن الزبون استوى ... أوشك علي الانهيار ... باقي علي الحلو دقة ... أشار ... هوت الشومة علي فخذه ... وهو يسأل :

- يعني ... ألم تري المدفع المدفون ... داخل الأرز في الجوال ؟

أقنعته الشومة الأخيرة ... ألا ينكر ... هم حوله ... يتربصون به ... لا يمكن أن يفلت الحبل الممدود له بالنجاة ... صاح في هستريا

- لا ... أنا ... صح ... صح يا بك .. لقد كان داخل الجوال شيء أشبه بجسم طويل صلب ... لا ينثني ... وأنا أرفع الجوال ... لكن وحياة البك الصغير أنا لم أفتح الجوال ...

لعبة قديمة يا سيد ... لن تهرب من الخية .

- يعني مدفع ؟ .. أليس كذلك .

سد عليك ... كل الطرق ... إما نعم ... وإما ...

- نعم ... نعم ... مدفع ... هو مدفع ... كان في الجوال مدفع .

لا يستطيع الصبر ... بالهاتف ... اتصل بالعقيد : أنا يا فندم ...

- أهلاً رشدي ... نعم .

- أمسكنا بطرف خيط ... يبدو أنه تنظيم مسلح ... ولدينا اعترافات .

- عظيم يا رشدي ... ابعثهم بسرعة .

- يا فندم ... نريدك أن تثق فينا ... ونمحو الصورة القديمة ... سنثبت لك أن إدارتنا لازالت بخير .

- طيب يا رشدي ... شد حيلك ... وبلغني بالتطورات ... أولاً ... بأول .

- هناك أمر آخر ... جماعة التبليغ لها نشاط ديني مشبوه .

قال بسرعة : تبليغ ... أنصار سنة ... جمعية شرعية ... أكنس ... نحن نصفي هذه الأوضاع كلها ... ولا تترك المجال لأي نشاط

- تمام ... مضبوط ... لكن يسعدنا تشريف سيادتك عندنا ... لتري الشغل بنفسك .

- طبعًا ... طبعًا ... سأحضر .

في منتصف الليل ... أنزلوه ... جسدًا متفسخ ... يداه فقدتا الحس ... متورمان ... لون الأصابع أزرق ... أنحبس الدم فيهما ... ما كاد يلمس الأرض ... حتى خر واقعًا ... اصطدامه بالأرض

أهاج الألم في لحمه الذي امتلأ بالكدمات من ضرب العصي . لا يدري ... كيف وصل إلي القلعة ... علي نفس الهيئة ... العصابة علي العيون ... والأيدي خلف ظهره في قيدها الحديدي .

قال له الضابط : مرحب ... يا أبو الزيك ... عدت لنا ثانية .

هل هذا كف فلاح ... أم حداد ... كف خشن كأنه من الخرسانة ... نزل علي قفاه الملتهب .

– هيه ... يابو الزيك ... كيف حال السجن ... هل كنت من مجموعة المكفراتية لا يمكن أن يكون هذا سبب ما أنا ... فيه ... رد في إعياء : أنا لم أكفر أحدًا .

– بل ... كفرتم الدولة ... والريس ... وكنت مندوب سيد قطب في سجن القناطر .

– أنا فعلاً ... قابلت الأستاذ سيد عندما ذهبت إلي سجن طره للعلاج ... الناس فهموا سيد قطب بطريقة غلط .

ركلة الحذاء الميري اقتحمت عظمة ساقه .

– وما هو الصحيح ... يا فكيك .

النقاش في الدين مع الحمار أفضل ... الأفضل هي الإجابة العايمة .

– الصحيح ... هو فهم العقيدة ... كما أنزلت ... ونحن لا نكفر أحدًا ... كل واحد عارف نفسه .

قال ... ساخرًا : يا ... ولد ... يا فيلسوف ... كل واحد عارف نفسه ... هه ... ماذا تقصد ... حيوا ... أبو الزيك

التحية هذه لمرة كانت من الواقفين خلفه ... كانوا ثلاثة ... أحدهم يمسك بالشومة ... والثاني بالعصا ... والثالث ... بالكف ... والحذاء الميري ...

– آه ...

صرخة واحدة ... وانقطع نفسه ... الشومة كسرت أحد أضلاعه .

وقع علي الأرض يتلوى ...

استمر الاستجواب ... رشدي بك مستعجل ... دخل في الموضوع :

– نترك الفلسفة لوقتها ... نتسلى بها بعدين ... ما هي علاقتك بعبد الفتاح إسماعيل ؟

استحضر نفسه ... قال وهو يأن :

– تجارة .

غير لهجته ... قال في حزم : زكريا .. اشتري نفسك ... أنت تعلم أننا لن نتركك ... حتى نعصرك ... هات من الآخر .

الألم – بالفعل – يعصر صدري ... لابد من الإجابة يا زكريا .

- تجارة ... أكل عيش ... والله العظيم ... ما في غير هذا .

أشار إليهم ... الضرب الآن علي عظام الساق .

- هه ... يا زكريا ... خلص يا بو الزيك ... عبد الفتاح إسماعيل اعترف عليك .

- أنا ... مستعد للمواجهة ...

لازال راقدًا علي جنبه ... الحذاء الميري أصاب سلسلة الظهر .

- أنا أريد الحقيقة ... منك ... أنت ... من فمك ... سمعني .

- والله العظيم ... تجارة ... أنا خارج السجن من شهور ... أمي مريضة ... وأخوتي لا عائل لهم إلا أنا .

- نحن نعرف ظروفك ... ولكن لعبت بذيلك ... ألم ترسل سيد رجب لعبد الفتاح إسماعيل ؟

- سيد يساعدني ... يسلم الفلوس ... ويستلم البضاعة .

- والخطاب ... وجوال الأرز إياه ... ماذا كان بداخله ؟

- الجوال الأخير ... كان نوعية جديدة من الأرز ... طلب الشيخ عبد الفتاح مني معرفة إمكانية تسويقها ... لأن ربحها جيد .

- يا ... ولد ... ما هذا الجمال ... وهل هذا يحتاج إلي خطاب ... وكلام مغطي ... ماذا يقصد ... بعبارة جرَّبه ؟

أشار الضابط ... استمر الضرب علي الساق ... والقدمين ... إلا أن الحذاء الميري أخطأ الهدف ... الركلة أصابت الضلع المكسور

- آه

خرجت الصرخة مكتومة ... وانقطع النفس .

- خلص يا زكريا ... أليست هذه شفرة بينكم ... ألم يرسل لك مدفع رشاش داخل الأرز ...تكلم أحسن لك ... سيد رجب اعترف عليك .

ثم يرد ... أخذته الإغماءة ... أحضروا سطلاً من الماء ... ألقوه عليه استرد نفسه ... كرر عليه الضابط السؤال :

قال ... وهو يلهث :

- يا بك ...لم يحصل ... مدفع ؟؟.. أنا لم أحمل سلاحًا في حياتي ...حتى الجيش لم أخدم فيه .الضابط ...وجد أن حالته تزداد سوء" ... الوقت يداهمه ... أراد أن يحسم الاستجواب ...أ شار إليهم ...أحضروا سيد رجب ...

قال متوعدًا :

- قل يا سيد ... واجه زكريا .

تردد لحظة ... إلا أن الشومة هوت علي ظهره ... و ... صوت زكريا وهو يتلوى علي الأرض ... لم يترك له أي اختيار ... فات وقت التراجع ... لابد من الاستمرار ... مشوار الكذب ... نهايته معروفة ... و ... أضمن .

- نعم ... يا زكريا ... جوال الأرز كان بداخله مدفع رشاش .

ضلعه مكسور ... يصرخ ... الألم يسحب روحه ... قال مستسلمًا :

- مادام الأمر كذلك ... اكتب يا بك ما تريد ... وسأوقع عليه .

قال الضابط :

- لا ... يا حلو ... ليس الأمر بهذه البساطة ... أريد كل شيء بالتفصيل ... أسماء التنظيم ... أهدافه ... السلاح ... المفرقعات ... مكان التدريب ... دخول الحمام ... ليس كالخروج منه ... يا بو الزيك ... أنت سيد العارفين .

هه يا زكريا ... الضابط يدفعك في طريق واحد ... في اتجاه واحد ... طريق بلا عودة ... الكذب يا زكريا ... يريد تنظيمًا ... أسماء ... أعضاء ... إذا أردت النجاة ... اخترع تنظيم ... رص أسماء ... أي أسماء ... وسيحضرونهم ... وسيفعلون بهم مثلما فعلوا بك ... وكما فعلوا مع سيد رجب ... وسيتعرفون ... سلسلة من الكذب ... هل ترضي بذلك ... ترمي أبرياء في هذا الأتون ... كذبًا ... وزورًا ... وماذا تقول لربك ... أنت مسلم ... والمسلم – دائمًا – يحسب بمنطق التجار ... وأنت شاطر في التجارة ... ما هو الثمن !؟ .. ما هو المقابل ؟؟ .. النجاة ... هه ... هل هي مضمونة ؟؟ .. الدنيا ؟ .. وأين هي ؟ .. آه ... آه ... الصدر يتمزق ... النزيف يملأ جوفه ... آه ... تذكرت ... النجاة ؟ .. من أي شيء ؟؟ .. الفرار ... مم تفر ؟؟ .. السحابة تزحف علي وعيه ... آه ... الضابط يطلب أسماء مقابل النجاة ... القضية واضحة ... شديدة الوضوح ... الكذب ... مقابل الفرار ... من هو الصحابي الذي يصيح – وسط المعركة – أمن الجنة تفرون ؟؟ .. لا ... لا أذكر ... ليس مهمًا ... المهم ... هو الحسبة أن تكون صحيحة ... من هؤلاء ؟؟ .. إنهم يجلسون علي بعد خطوات ... ملابسهم بيضاء ... لا ... إنها من نور ... إنهم يشيرون إلي ... إنهم

ينادون ... ما أحلي صوتهم ... نداء ... أم نغم علوي ... النجاة ... النجاة الحقيقية ... يا زكريا ...

ربحت تجارتك ... يا زكريا

ربحت تجارتك ... يا زكريا

قال أحدهم : مات يا فندم .

صرخ الضابط في ذهول : مات ... مات ... يا أولاد الكلب .

أفلت الخيط منه ... رشدي في انتظار الاعتراف ليبشر العقيد ... ماذا سيقول له ... ؟

رشدي بك ... كان أكثر انزعاجًا ... صاح في قلق :

- هات الولد الثاني .
- شعلان ... يا فندم ؟
- هو ... فيه غيره ... يا كلاب .

أحضروه ... لم يكن حاله أحسن ... صلبوه أيامًا في محمصة أبو زعبل ... الوجه باهت ... والكدمات ... بقع زرقاء ... الأطراف أصابها الكساح ... خاف الضابط أن ينقطع الخيط ثانية ... ربما يكون العلاج في الصفعات ... ولا بأس من قبضة تدفع المعدة لتلتصق بالظهر .

قال الضابط ....:

- دعوه يري زميله .

سحبوه ... رفعوا العصابة عن عينيه ... زكريا رفيق العمر ... مسجي ... الجسد كله متورم ... الدم متجمد ... أسود ... تحت سطح الجلد ... بقعًا ... بقعًا غير منتظمة ... الجلد كالح ... الأطراف مشوهة ... بشعة .

لم يهتز ... كأنه ينظر في مرآه ... الذي بجسده لا يقل بشاعة ... انصرف نظره إلي وجه ... توأم روحه ... القسمات مسترخية ... تشع اطمئنانًا ... أين ذهب الورم ؟ .. أين ذهب الورم ؟ .. أين أثر الصفعات ؟ .. كأنما الوجه لا يمت إلي الجسد ... انفصل عنه ... ولا ينقصه سوي بسمة لتزيده نورًا ... انسابت عبرته ... مع الرفيق الأعلى ... يا أخي ... إنا لله ... وإنا إليه راجعون ... طبت حيًا يا أخي ... وطبت ميتًا ... اللهم اجمعني به في جنة الخلد .

قال له الضابط في غلظة :

- هذا مصيرك ... يا شعلان ... تكلم .

المصير ؟ .. لو كنت تدري إلي أين ؟ .. ولو كنت تدري إلي أين مصيرك ... يا حضرة الضابط ؟؟

- ماذا تريدون ؟

القبضة سحقت كبده .

- التنظيم ... السلاح ؟

- يا بك ... أنا خارج السجن منذ شهور ... كل همي كان اللحاق بامتحان الثانوية العامة ... لقد بلغت ثلاثين عامًا ... لم أحصل علي الشهادة بعد ... انصرف جهدي كله إلا الاستذكار .

- اشتري نفسك أحسن ... زكريا اعترف عليك قبل أن يموت ... هل تعرف سيد رجب .

- ابن خال زكريا .

- فقط ؟؟

- كان يساعده في التجارة .

- فقط ؟؟

أشار لهم الضابط ... نشطوا له ذاكرته ... الضرب علي الأطراف ... الشومة ... كسرت ساعده ... رفع يده في طريقها ... انفجر علي أثرها العظم ... شظايا .

- آه ... آه .

- تكلم يا شعلان .

- آه ... آه .

الوقت يمر ... والطريق مسدود ... رشدي بك علي التليفون ... والمعتقل استوى ... أصبح بقايا إنسان ... وصل إليه محطمًا ... ولكن ... لابد مما ليس منه بد ... أشار إلي المخبرين ... الضرب ... وبحذر ... ولكن ... هل نحن في سوبر ماركت يعرضون بضاعة علي الرفوف ... بحذر ... وبغير حذر ... الصنف هنا ... واحد ... لا غير ... العذاب ... الألم ... العصا أداة قتل ... والقبضة مميتة ... حتى الصفعة سكتها إلي القبر ...

و ... هوى ... شعلان

- مات ... شعلان .

كان واقفًا ... في حالة هياج ... سقط علي كرسيه ساكتًا .

نظر إليه رشدي بك ... طويلاً ... ثم قال :

- الموت ... لا يهم ... ولو كانوا عشرين يوميًا ... ولكنك أهدرت الأدلة وانقطعت منك الخيوط ... أنت فاشل .

لم يعد أمام رشدي بك ... إلا آخر أمل :

- هاتوا الشرقاوي ... سأتول أمره بنفسي .

الشرقاوي بالفعل ينطبق عليه ... حكاية الدفاتر القديمة ... كعنوان للفلس ... فليس له علاقة بالتنظيم المكتشف ... أو حتى يمكن تلفيق صلة معه ... كما كان الحال مع زكريا ... الشرقاوي – أيضًا – ليس في شباب شعلان ولا زكريا ... رجل دخل مرحلة الشيخوخة ... هدت صحته عشر سنوات كاملة قضاها في السجن ... ولم تترك مرضًا إلا ورحبت به ضيفًا مستوطنًا ... ابتداء من الروماتيزم الذي سبب خشونة في مفاصله ... إلي التهاب مزمن في اللوز ... والحبوب الأنفية صداع نصفي يشق رأسه ... وكأن قطارًا يسير علي فلنكات بداخلها ... لا نتكلم عن الشرايين وتصلبها ... ولا أزمة قلبية كادت تودي بحياته ... وأنقذته حبة دواء كانت مع واحد من الإخوان ... وبالصدقة ... الرجل لم يحن أجله وقتها .

قال له رشدي بك :

- السلاح يا شرقاوي ... سلاح 1954 ... أين أخفيته ؟

قال :

- هذا تاريخ قديم ... والسلاح كان لحرب الإنجليز المستعمرين ... وقد حوكمت عن هذا الجهاد ظلمًا .

- يا شرقاوي ... نحن لا نتكلم عن المحاكمة ... السلاح سلمه لك مسئول الجهاز السري ... وأنت أخفيته ... ولم تسلمه للحكومة .

- هذا موضوع ... قديم ... وانتهي أمره .

- هناك اعترافات ... واضحة ... وفيها قائمة بالسلاح وأنواعه .

- أنت تعرف يا بك ... كيف تحصلون علي الاعترافات .

- هـ .. م .. م لو ضربناك قلم واحد ... ستموت ... وربما مت قبل أن يصل الكف إلي وجهك ...

- كل نفس ذائقة الموت .

لم يأخذ منه حق ... ولا باطل ... يده مغلولة ... لولا الظروف لفتك به ... صاح في غيظ .

- ضعوه في الثلاجة ... لا نوم ... ولا شرب ... وستتكلم يا شرقاوي ... وستتكلم .

وفي لحظات كان علي رأس قوة تتجه إلي منزل الأسرة ... قبضوا علي أخيه وزوجته ... وكل الأقارب ... وفي القلعة نصبوا لهم سيرك العذاب ... كل ما في خبرتهم استخدموه ... ولكن بلا نتيجة ... ليس صبرًا ... ولا ثباتًا ... ولكن ... لأنهم – بكل بساطة – لا يعرفون ... ولو كان لديهم أي

معلومات ... لاعترفوا بها ... ولأن رشدي بك ... لا يصدقهم ... أو لا يريد أن يصدقهم ... فقد استخدم معهم أبشع ألوان العذاب ... دائمًا يكون أكثر الناس تعذيبًا ... من لا يكون لديه إجابات عن أسئلتهم ... لم ييأس بعد ... قال لأخيه :

- سنتكلم ... وشرف أمك ستتكلم .

دفعوه ... حتى وقف أمام باب الثلاجة ... رفعوا العصابة عن عينيه ... نظر ... الشيخ يقف وسط الماء ... يداه مقيدتان ومرفوعة إلي أعلي مشنوقة بحبل إلي السقف ... أطراف أصابعه لا تكاد تلامس الأرض ... الماء يصل إلي وسطه ... رأسه مدلي ... لا هو في يقظة ... ولا هو ميت ... بين الحين والآخر ينتفض جسده تشنجًا ...

قال لهما الضابط :

- هذا أخوك يا شرقاوي ... إذا لم تتكلم ... سيفعل المخبر الفاحشة في زوجته ... وأمامكما .

سمعًا صرخة المرأة ... علي باب الزنزانة ... وفحل أسود يطرحها أرضًا ... فلاحة ... صلبة ... تقاوم بشراسة ... وصراخها لا ينقطع . فتح عينيه في إعياء ... انزاحت عن فتحات انطفأت لمعتها ... حرك شدقيه بلسان ثقيل انتزع الكلمات بكل ما بقي فيه من قوة :

- احفروا ... في الزريبة

مع آخر الكلمات ... أسلم روحه . لم يستطع الانتظار حتى الصباح ... الكنز هناك ... تحت أرضة الزريبة ... أخيرًا يا رشدي ... سينفتح لك باب المستقبل ... فمن السهل بعد ذلك البحث عن التنظيم ... حتى ولو أسندناه للتنظيم الحالي ... ومن اليسير تدبير الاعترافات .

علي أضواء الكلوبات بدأ الحفر ... لم ينسي أن يصحب معه كاميرات التصوير :

- احفروا ... لا تتركوا شبرًا واحدًا ...

حرثوا الأرض طولاً وعرضًا ... وفي النهاية وجدوه .

صندوقًا حديدياً ... علاه الصدأ ... خلصوه من الطين ... بضربة فأس كسروا القفل ... انفتح الغطاء عن السلاح ... عدة مدافع رشاشة من أنواع منقرضة ... وبعض القنابل ... الشكل بالفعل ... شكل سلاح ... ولكن ... أكلته البارومة ... قطع من الحديد الخردة .

رفع سماعة التليفون ... صوته كان حزينًا ... يائسًا :

- انقطع الخيط ... يا باشا ... ثلاثة قتلى ... وصندوق مدفون تحت الأرض منذ عشر سنوات ... السلاح أكلته الباروما .

رد الفعل كان مفاجئًا ... لا يمكن أن يكون هو العقيد ... لقد فهمه خطأ ...

- أشكر لك جهودك يا رشدي بك ... استمر بنفس الهمة ... الطريق لازال أمامنا طويل ... نريد تصفيتهم تمامًا ... ولو أدي إلي قتلهم جميعًا ... التعاون بينا لابد أن يستمر .

استخفه الفرح :

- يا فندم ... هؤلاء خونة .

- أنا في حاجة إلي معلومات ... هل تقترح ... البحث في مجال آخر ؟

لابد من المجاملة ... الرجل مد يده يطلب التعاون ... في وقت ظن أن نهايته قد حانت ... فكر بسرعة ... ثم قال :

- عادل كمال ... واحد من قادة الجهاز السري القديم الرئيسيين ... أفلت من المحاكمة سنة 54 ... ولا شك أن لديه معلومات قديمة لم يكشف عنها .

- هل لديكم تقارير عنه ؟

- نحن تابعناه ... بعد الإفراج عنه ... لم يتوقف عن اتصالاته بالإخوان ... اختفي عنا فترة طويلة ... ظننا أنه في الإسكندرية ... ثم أتضح أنه رجع موظفًا بالبنك الأهلي فرع السويس .

- اقبضوا عليه ... وعلي كل من له صلة به ... وأرسلهم إلي ... سأتولى أمرهم بنفسي .

عادل كمال ... واحد من قادة النظام الخاص ... منذ بداية تأسيسه ... زبون دائم علي السجون المصرية ... طاف بمعظمها ... سجن طره وأبو زعبل ... وأشهرها جميعًا هو السجن الحربي ... اعتقل عام 1954 ... علي ذمة الإخوان ... مع أنه كان مفصولاً بقرار من مكتب الإرشاد ... شرحوا جسده النحيل ... طولاً ... وعرضًا بالكرابيج ... علقوه مقلوبًا ... ومعدولاً ... وخصصوا له صحبة دائمة من شاويش واثنين من أتعسهم إجرامًا ... والهدف كان وضعه بين فكي المعصرة وإخراج كل ما يعرفه عن مخازن السلاح ... والذي كان أصلاً في حوزة التنظيم الخاص حينئذ ... وانتهي كل ذلك إلي لا شيء ... فالرجل فصل ... ولم يعد مسئولاً عن شيء ... وكان فيما يبدو أنه كانت هناك – أوامر – بإلصاق أي تهمة له ... ليحاكم ويدخل السجن ... المهم ... الرجل قضي عامين في السجن الحربي ... ثم خرج إلي الحياة .

عادل كمال ... ظل ملفه مفتوحًا لدي المباحث ... والشك يملأ صفحاته ... رشدي بك رجل المباحث الصاعد ... يطمع في كرسي في الصف الأول ... لم يجد رشوة أفضل منه يقدمها للعقيد بعد أن فشل في فبركة تنظيم زكريا – شعلان ، ومن بعده الشرقاوي .

العقيد ... أكثر جموحًا في إقفال دائرة التحقيقات ... بتنظيم مسلح له شكل ومنظر ... يقلق به الريس ... سلاح ... مفرقعات ... وبكميات قابلة للتصوير والنشر في وسائل الإعلام ... اعترافات

بالتدريب ... وتجهيز فوق لتفجير القناطر الخيرية ... ومحطات الكهرباء ... وبث الرعب في محطات السكك الحديد ... مخططات لقتل المطربين ... والمطربات ... وخرائط رصد لتحركات كبار رجال الدولة ... ثم وجه لقائد التنظيم حليق الرأس ... ولحية كثة تزحف علي صدره ... مع بعض المكياج ليصبح ... كأنه وجه فرنكشتين ... يعترف في التلفزيون بأنه يسعى لتدمير المجتمع ... والتخطيط لتفجير مجلس الشعب أثناء خطاب الرئيس ...

تنظيم يخض ... ما حصلش ... استطاع أن يتسلل إلي القوات المسلحة ... ويجند بعض عناصرها .

وبدأ الشغل .

ما فعلوه عام 1954 ... كرروه مع عادل كمال 1965 ... نفس السيناريو ... باستثناء تغير الوجوه ... إلا وجهًا واحدًا ... وهو وجه حمزة البسيوني الذي فيما يبدو ... أنه لن يفك ارتباطه بالسجن الحربي ... إلا بالموت أو الهدم ... لأي منهما ... أو الاثنين معًا . فارق الخبر واضح ... والتطور في أساليب التعذيب أمر طبيعي .

ولأنه رجل كل العصور فإنه قد عاش تاريخ الإخوان مع عذاب السجون ... ابتداء من أول صفعة تلقاها من عسكري يلبس الطربوش في سجن الأجانب عندما كان يحقق معه البوليس السياسي سنة 1948 ... يومها (شخط) في العسكري وهدد الضابط بأنه سيشكوهم للنيابة ... وتملكه الحماس وهو يحملهم كافة المسئوليات القانونية ... يومها لم يتوقف الضرب ... ولكنه استطاع بتهديده ... أن يهزمهم .. فأصبح الضرب أكثر حية .. كان البوليس أيامها يخشى القضاء ... والنيابة ... والسجون كانت تعامل المعتقل السياسي بحذر ... كان للقسوة يومها تعريف عجيب ... منع الاتصال مع الأهل ... غلظة مفرطة ... حجز الكتب ... وأفلام والورق ... وعدم الإطلاع علي الصحف ... يعتبر تأديبًا ... الحرمان من طابور الشمس والعلاج ... اعتداء علي حقوق الإنسان لا يغتفر .

التطور ربط اسم الثورة ... بالسجن الحربي ... والقانون بالكرباج ... وأصبحت اللافتة السياسية المعتمدة لدي النظام مكتوب علي أحد وجهيها ... الحرية للشعب ... وعلي الوجه الآخر لا حرية لأعداد الشعب ... يعلقونها علي صدر أي إنسان ... وعلي أي وجه ... تصلح ... وتمشي ... ! . !

عادل كمال ... رجل علمي ... العسكري أبو طربوش صفعه ... فاحتج بشدة ... والعسكري – بدون طربوش – صرف له مائتي كرباج ... تقبلها ... بلا حول ولا قوة ... إلا بالله . علقوه

مقلوبًا ... ليفرغ ما في جوفه من معلومات ... وكأن رقبته وفمه نهاية عنق زجاجة – يمكن أن يندلق منها ما يخفيه – مع التخبيط علي جدران جسمه بالكرابيج ... وبالأكف ... وبالحذاء الميري للمساعدة في عملية التفريغ ... واجهوه بالعشرات من معارفه ... الذين كان يقابلهم في مناسبات عديدة ... واعترفوا عليه بأنه قائد التنظيم ... وهو معلمهم ...وهو نقيب أسرتهم ... وهو الكل في الكل ...

قبضوا علي أحد الضباط ... كانت له مشكله في البنك ساعده علي حلها ... وكان قد حضر إليه بواسطة ... شاهده ،وأحد الجنود ينزع عنه رتبته من علي كتفه ... وعند ما احتج بالأصول العسكرية ... سب العقيد أمه ... وقال له ... العسكري أفضل منك ...ويومها وضعه العساكر داخل دائرة ... وأمروه بالجري ... والسياط تنهش زيه العسكري حتى مزقوه ... العساكر كانت تضرب بتشفي ... ومزاح ... فهي تضرب سلطة لها مهابتها في نظام الضبط والربط ... فرصة ... ويوم مفترج ... من أيام السعد والهنا عند جنود دربوهم علي الإجرام ... وخلصوهم من صفات البشر ... فصاروا كالكلاب ... لا تحترم ... ولا تأنس إلا إلي اليد التي تطعمها ... ولا تخشى إلا العصا في يد من دربها ...

يومًا بعد يوم ... كان العذاب يزداد لهيبًا واشتعالاً ... ولكن الاعترافات المنزوعة مهزوزة ... غير مترابطة ... لو فيها شيء من الصدق ... فإن الكذب يمكن تلبيسه عليها ... ويكملها ... والذي نسف التلفيق كله ... عدم العثور علي أي نوع من السلاح ... حتى ولو كان مطواة ... أو سنجة ... أو مجموعة سكاكين لتقشير البصل و ...

فشلت خطط البحث في الدفاتر القديمة .

(21)

كانت لحظة فاصلة في حياة الشيخ عبد الفتاح إسماعيل ... ما قبل الحربي ... خلاص ... فيما يبدو أنها انتهت ... دفاترها أغلقت ... مثل طالب علم ... ظل يقرأ ... ويدرس ... ويبحث ... يكد ... ويجتهد ... ويجهز نفسه ليوم الاختبار النهائي ... يوم يكرم فيه المرأ ... أو ... يهان ... إما الحصول علي الشهادة ... أو – لا قدر الله – الفشل ... هذا ما كان – بالفعل – يسعي إليه ... ويتمناه ... وهو الفوز بالشهادة النهائية ... ليس بمعناها الدراسي ... ولكن بمعناها الشرعي ...

فقد سعي طوال السنوات الماضية ... اجتهد ... أخلص النية لله ... وجاهد ... قدر الطاقة ... وأحيانًا ما فوق الطاقة ... فهل يقبل الله منه عمله ... ويمن عليه ... ويتوج سعيه بالفوز المبين ... منذ وطأت قدمه السجن الحربي ... بدأ الأمر غريبًا ... جو مريب ... الاستقبال هذه المرة ... بلا

حماس ... بضعة كرابيج ... وكأنهم يؤدون واجبًا ثقيلاً ... أو كأنهم يستقبلون ضيوفًا غير مرغوب فيهم ... أين الشاي ... والقهوة ... والركل بالميري ... ومفرقعات الصفع ... والكلاب ...

بعد أن احتجزوا علي عشماوي ... ساقوه إلي زنزانته ... أدخله العسكري ... وأغلق الباب ... دون التحية الواجبة معززة بالكرابيج ... ولا تعليمات الوقوف منتصبًا عند فتح الباب ... والتعظيم لجناب العسكري .. ولا سرد القائمة المحفوظة ... الكلام ممنوع ... النظر من ثقب الباب ممنوع ... الصلاة ممنوع ... أي شيء علي مزاج العسكري ممنوع ... فالسجن الحربي ... سجن الظلام ... والظلمات ... شيء غريب ... هه ...

توقف فجأة عن التفكير ... انتزع نفسه ... أيا ما يكون ... إنها أقدار مكتوبة ... سيواجهها ... وما تسفر عنه فهي أيضًا ... أقدار مكتوبة ... لم يعد له في الأمر ... من شيء . هذا وقت التسليم ... والاستعانة بالصبر ... والصلاة ... والتلاوة .

العقيد ... اكتشف التنظيم ... ودور عبد الفتاح المركزي فيه ... وكانت خطته التي رسمها مع أعوانه ... هي الأولوية في سرعة القبض علي كل العناصر ... علي عشماوي كان في اعترافاته أكثر سخاء وكرمًا ... عندما وضع يده علي الحلقات الأضعف التي يسهل كسرها ... وهو ما يعفيه من مواجهة العناصر التي تتميز بالصلابة – في أول الأمر – ... وهي عناصر ... لها قدرة هائلة علي الصمود ... لا يسهل اقتحامها ... أو هدمها ... فضلاً عن أنه – لا ينقصها – الذكاء ... والفهم والدراسة بأساليب الاستنطاق ... واستخراج المعلومات . علي عشماوي رسم خريطة كاملة ... وواضحة لعناصر التنظيم ... وبمن يبدأ ... فلم يلبث أن انهارت العناصر الهشة ... وفتحت الطريق أمامه حتى وصلت الاعترافات إلي القيادات التي لم تجد أمامها مفرًا من الإقرار ... واقتنعت بأن المقاومة أصبحت بلا جدوى أمام وقائع ... واعترافات بأدق التفاصيل ... وعلي هذا فضل العقيد أن يترك الرءوس إلي آخر الأمر ... ليستكمل ما قد يكون لازال خافيًا ... ولتظبيط المحاضر ... وتنسيق الأقوال ... وتلفيق وفبركة العشرة في المائة الباقية – والتي ذكرها في جلسة الإنس إياها – العميد سعد وهي تهمة قلب نظام الحكم واغتيال عبد الناصر ... وهي التي فشلت محاولاته فيها ... عندما اتجه إلي البحث في الدفاتر القديمة .

مر يوم ... والثاني ... والثالث

أيام كلها ذكر ... وتعبد ... خلوة حقيقية مع الله يا عبد الفتاح ... أجازة إجبارية من حركة الدنيا ... لتسبح في عالم الربانية ... سكينة ... اطمئنان ... ثلج يبرد القلب ... صفاء ... ما أحلي الذكر ... وما أروع كتاب الله .

في اليوم الرابع ... فتحوا الباب

صفوت الروبي .. مع حملة الكرابيج ... ولكن بنفس الهدوء المريب – هيا يا عبد الفتاح .

لا ضرب ... ولا سب ... ولا نداء بالجري يا ولد ... لا مسخرة ... ولا استهزاء ... هه ... أيا كان الوضع ... فهي لن تكون فسحة ... ولا يلبث جو الشك أن ينقشع ... وأيًا كان الحال ... فالأمور ليست في حاجة إلي وضوح ... هم في جانب الطاغوت ... وأرجو من الله أن يثبتني علي الجانب الآخر ... جانب من يكفر بالطاغوت ... ويؤمن بالله .

علي باب الغرفة وقف العقيد شمس .. لم يتمكن الشيطان أبدًا أن يتنكر في هيئة ملاك .

– تعالي ... يا عبد الفتاح .

أدخله الغرفة ... وأجلسه علي كرسي أمامه .

– سؤال يشغل بالي دائمًا ... لم أجد له جوابًا ...

نظر في عينيه ... ثم استأنف :

– هناك عدد كبير من الإخوان ... تركوا الجماعة بعد تجربتهم الأولي في السجن الحربي ... منذ عشر سنوات ... ولكن هناك – أيضًا – من لم يتعلم الدرس ويتعظ ... وعاد إلي النشاط رغم علمه بما في ذلك من خطر أكبر عليه ... وعلي أهله وأسرته .

بداية لا تبشر بالخير ... ولكن لابد من الإجابة .

قال في ثبات ... واختصار :

– الذين خرجوا ... لم يكونوا في يوم من الأيام من الإخوان ... الذي يدخل الإخوان ... لا يمكن أن يخرج منها .

ركز نظره في عينيه :

– وأنت ؟؟

استمر في ثباته :

– أنا ... من الإخوان .

– عظيم ... بدأنا نتفاهم ... أنا أعرف أنك دينامو التنظيم ... فإذا كنت أنت من الإخوان ... مستغني عن نفسك ... ومستبيع ... لا مستقبل لك ... مجرد قباني ... أو تاجر حبوب ... رحت ... أو جئت ... فأنت فلاح ... ما ذنب طلاب الجامعة ... والمهندسين ... والضباط ... والدكاترة ... أولاد الناس ... تضيع مستقبلهم ... وتغرر بهم .

انكشف الشيطان ... سريعًا ... و ... بدأنا مرحلة تحطيم الإرادة .

استمر في هدوئه ... وثباته :

- نحن ندعو إلي الله ... أما التغرير فيكون من الشيطان لأوليائه .

بدأ الاصفرار يزحف علي وجهه ... حاول أن يكظم غيظه .

قال :

- من هم أولياء الشيطان ... يا عبد الفتاح ؟

- الذين يقفون في وجه الدعوة ... ويحاربون الإسلام .

انتفض واقفًا ... دفعه ... بالقدم في وجهه ... انقلب علي ظهره والكرسي فوقه ... نادي صارخًا :

- لا ينفع الذوق ... مع أولاد الـ ... صفوت ... شوف شغلك .

سحبوه إلي خارج المكتب ... تلقفته الكرابيج ... الآن – يا عبد الفتاح – زال الشك – وانكسرت الريبة ... وأصبحت في السجن الحربي ... أنت الآن تحيا قدر الله ... بكل ما فيه من مشاعر وأحاسيس ... أنت الآن ... في مركز الابتلاء ... فماذا أنت فاعل أيها العابد ... هل ستصبر كما صبر أولو العزم ... أما ستأخذ برخصة لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ... ومن يقع في خية إلا من كره وقلبه مطمئن بالإيمان ... وهي في كل الأحوال ... مشروعة ... يا معين ... يا الله ... لنبدأ بالصبر ... والجلد ...

الضرب متوالي ... جسده ينتفض ... يحاول تلقي الكرابيج بذراعيه ... يدور ويتلوى ... ولكن الفم مغلق ... صرخاته للداخل ... أنينه مكتوم لا صوت له ... ولكن موصول ... صاعد إلي السماء ... فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب ... وسبحانه يري ويسمع ... ولكنه الامتحان النهائي ... الختامي ... يا رب أنت المعين ... والمنجي ... من الفتن ... ولا حول ولا قوة إلا بك ... اللهم رطب لساني بذكرك ... ولا تشغلني عنك ... بما يفعلون .

ازداد سعار صفوت الروبي – وهو يضرب في صخرة لا تلين ... جبل تتمزق الكرابيج عليه ... بلا أي أمل ... أو ... علامة وهن ... أو ... ضعف .

العَظْمة ناشفة ... مستعصية علي الكسر .

أوقف الضرب ... الاختيارات أمامه كثيرة ... ومفتوحة ... جاءوا الكلاب أطلقوها عليه ... أحاطت به من كل جانب ... تنهش لحمه ... أمسك الشيخ عبد الفتاح بأشرسها ... أطبق ذراعيه علي عنقه ... ولم يتركه إلا جثة هامدة .

وقف الصول صفوت في ذهول ... غير مصدق ... نادي في هستريا علي حمزة البسيوني ... أطل من باب الغرفة ليري الفجيعة ... (ابنه) الكلب ... فلذة كبده ... مقتولاً ... صريعًا ... تولي

تدريبه بنفسه في مزرعة كلاب السجن التي يرعاها ... ويتولاها منذ عزف عن الزواج ... واستبدل خلفة الأولاد واذلرية ... يتبني الكلاب ... وكان هذا طبيعيًا ... إذ المعروف أن الدم ... يحن لبعضه ... جن جنونه ... نادي :

- أمسكوه ... قيدوا رجليه .

دفعوه داخل المكتب ... غابة من العساكر أحاطت به ... أشار حمزة إلي صفوت ... أمسكوا بذراع الشيخ عبد الفتاح ... ربطوه علي الطاولة ... وبكل ما فيه من غل وعزم ... أمسك بأحد مضارب لعبة الهوكي ... وهوي بها علي ذراعه ... مع صوت انكسار عظمة الساعد ... أفلتت أهة ... من بين شفتيه ... لا بأس يا عبد الفتاح من صرخة ألم مكتومة ... هذه مجرد يد يكسرونها ... وقد عاهدت الله علي الثبات حتى لو وضعوا المنشار في مفرق رأسك ... هل تذكر ؟؟ .. القرآن ... يا قارئ القرآن ... الذكر ... يا قوام الليل ... الرضا بقضاء الله ... يا من زهدت الدنيا ... الذين قال لهم الناس ... إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ... فزادهم إيمانًا ... وقالوا حسبنا الله ... ونعم الوكيل ...

حسبنا الله ونعم الوكيل .

قال العقيد :

- هه يا عبد الفتاح ... تكلم .

سكت ... ولم يرد عليه ... حتى النظر إليه ... تجاهله .

قال العقيد في غيظ :

- هاتوا ... علي عشماوي .

أطل علي عشماوي ... يلبس بيجامًا من الحرير ... يهفهف ... الشعر ممشط ... وجه مورد ... كأنه قام لتوه من فندق خمس نجوم ... بعد حمام سونا .

قال شمس :

- أنصحه يا علي .

قال دون أن ينظر في وجهه :

- يا شيخ عبد الفتاح ... لا داعي للإنكار ... أنا قلت كل شيء .

آه ... ما أصفي نفسك ... وأرجح عقلك يا أختاه ... لقد كنت يا حاجة زينب ... أكثر فراسة مني .

الكسر في ذراعه يهز كل جهازه العصبي ... والجروح من أثر الكرابيج تئن ألما ... ورغم ذلك تسللت إلي أوصاله راحة ... سكن لها جسده ووجدانه ... قال :

- الحمد لله ... الحمد لله .

قال العقيد في استغراب :

- علي ماذا الحمد يا عبد الفتاح ... علي ما أنت فيه ؟

قال في ثقة :

- كل ما يأتي به الله خير ... أنا أحمد الله علي أن نجاني منها ... وباء بها غيري .

تكدر وجه العقيد :

- هل أنت واقف علي منبر تخطب ... يا بن الـ ...

نظر حوله :

- ماذا يقول ابن الـ ... ماذا تعني (باء) هذه ... هه ؟

مال علي أذنه الضابط كفافي ثم همس ... قال في ارتياح :

- آه ... فهمت ... يقصد علي عشماوي ... رجل جدع ... عاقل .

أوشك أن يسأله إن كان هناك معرفة قديمة بينهما ... عندما شاهد العقيد يميل علي حمزة البسيوني ... الذي لازال يمسك بعصا لعبة الهوكي المصنوعة من خشب شديد الصلابة ... همس في أذنه ... فتقدم منه ... ثم قصف ساقه بها ...

الصوت هذه المرة كان مزدوجًا ... صوت انكسار العصا ... وصوت انفلاق عظمة الساق ...

- آه .

نفس الصرخة المكتومة ... خر جالسًا علي الأرض ... لم يحاول النهوض ... مال بجنبه علي الناحية السليمة .

قال حمزة ... وهو ينظر إلي بقايا العصا في يده :

- يا بن الـ ... هل أنت مركب ساق من حديد ؟

قال العقيد :

- الآن نستطيع ... أن نتفاهم .

ماذا بقي لديهم يا عبد الفتاح ... بعد أن كسروا لك يدًا ورجلاً ... وحكموا عليك بعذاب لا ينقطع ... وآلام بلغت ذروتها ... والمزيد من العذاب ... لن يضيف مزيدًا من الألم ... فالحمد لله

... صاحب الفضل والمنة ... فقد سدوا عليك – من حيث لا يشعرون – جميع أبواب الرخص ... ووضعوك علي غير إرادة منهم في ... محراب الصبر ... وحشروك ... في زاوية الصمود .

أنت دائمًا يا عبد الفتاح ... تفر من قدر الله ... إلي قدر الله .

قال العقيد :

- التنظيم أنكشف كله .

حاول أن يخلص صوته من الألم :

- إذا كان الأمر كذلك ... فماذا تريد مني ؟

- شيئًا ... واحدًا .

انتظره ... فقال :

- إسماعيل الفيومي ؟؟

آه ... انغرس السكين في قلبك يا عبد الفتاح ... ظننت أنه لن يكون هناك المزيد من الألم .

صاح في توجع :

- قتلتوه ؟؟

أصفر وجهه ... ولكنه تمالك .

- نريد معرفة أعوانه .

لو كان حيًّا ... لما سأل هذا السؤال ... لقد عاهدني علي الاستشهاد ... كنت دائمًا صادقًا يا إسماعيل ... مع الصديقين والشهداء في جنة الخلد ... يا أخي .

- قتلتوه ؟؟

- نعم قتلناه ... وسنقتلك أيضًا ... إذا لم تذكر لنا أسماء الإخوان في الحرس .

قتلوك يا إسماعيل ... لقد توقعت يا أخي أن يقطعوك أوصالاً ... ولن تتكلم ... ولكن كان ذلك بعد أن تقتله ... تقتل الطاغية ... كان ذلك سهلاً ... ميسورًا ... ولكن منعتك ... فهل أخطأت يا أخي ... كان رأيك أن تخلصنا من جبروته ... وتثأر لشهدائنا ... وها نحن جميعًا وقعنا في قبضتهم ... فهل ضاعت منا فرصة ... لا ... لا ... يا أخي ... فنحن نفر من قدر الله ... إلي قدر الله .

- إسماعيل الفيومي لم يكن معه إخوان غيره .

- لا داعي للإخوان ... من كان يصادق ... ويأتمنه علي سره من زملائه في الحرس سؤالك ليس خبيثًا مثلك ... يا فاجر .

- أنتم أدري ... اسأل مخابراتكم .

سكت ... ثم قال معترفًا :

- مخابراتنا فشلت في اكتشاف انضمامه للإخوان ... هل هذا يريحك نريد معلوماتك أنت ...

- ليس لدي معلومات .

أشار إلي صفوت ... انهمرت الكرابيج علي رأسه ... والجانب السليم من جسمه ... ولكنه ظل ... صامدًا ... ليته يلحق به ... ليته يموت ميتته .

أشار لهم ... توقف الضرب .

- لا نريد قتلك يا عبد الفتاح ... ولكن ستعيش العذاب ... ولن نعالجك .

وضع قدمه علي ساقه المكسورة ... وضغط عليها بكل ثقل جسم .

- تكلم يا عبد الفتاح ... عبد الحميد عفيفي قال أن فيه مجموعة من الإخوان في الحرس ... وأنك أفتيت بقتل الريس ... وكان إسماعيل الفيومي في انتظار تحديد ساعة الصفر .

استطاع أن يلتقط أنفاسه ... الكذب واضح ... قال :

- لم يكن في نيتنا قتل أحد ... ولو أراد إسماعيل قتله ... لتم ذلك منذ زمن طويل .

- ولماذا لم ينفذ ؟

- قلت لك لم يكن القتل هدف من أهدافنا ... وقتل طاغية لا يحل المشكلة ... فسيأتي طاغية آخر ... مكانه .

تذكر ما قاله له العميد سعد ... هرب لونه :

- ماذا تقصد ؟

- أقصد ... أن إقامة الدولة الإسلامية لا يتحقق بالاغتيال أو حتى الانقلاب العسكري تدخل الضابط كفافي :

- طيب ... كيف تقوم دولتكم الإسلامية ؟

- بتربية الناس أولاً ... وتصحيح مفهومهم عن عقيدة لا إله إلا الله فهي شعائر للعبادات ... وإيمان بالشريعة ولا حاكمية إلا لله .

- كلام تهجيص ... وتخلف ورجعية ... كلما سألناكم ... تقولوا ربنا ... ربنا ... خللي ربنا ينزل من السماء ويخلصكم من أيدينا .

قال ذلك ... ثم نظر إلي العقيد ... وهو يضحك ساخرًا ... قال العقيد ...

- ومتى سيتم تربية هذا الشعب ؟؟ .. موت يا حمار ... إذا كان هذا هدفكم ... فلماذا كان التنظيم ... والتآمر ... والتخطيط لاغتيال الريس ؟؟

الهدف من المناقشة واضح يا عبد الفتاح هو استنزافك وتشتيت فكرك لتحطيم إرادتك قال وهو يلهث من الألم :

- نحن لم نهدف إلي الاغتيال ... أو قلب نظام الحكم .

صاح العقيد :

- هاتوا عبد الحميد عفيفي .

كان واقفًا في الساحة ... تحت الطلب ... وجهه للحائط ... يتناوب العساكر عليه ضربًا بالأحذية الميري ... والصفع ... والكرابيج ... قال العقيد مزمجرًا :

- قل له يا عبد الحميد عن فتوى قتل الريس .

لم تتغير يا شيخ عبد الفتاح رغم العذاب ... وما فعله بك البغاة ... المهابة ... النور ... في وجه لم يعرف غير السجود لله ... كلنا يا أخي في نفس البلاء ... التقت العيون ... وتكلمت ... قال :

- هذا غير صحيح ... لم يحدث .

هاج العقيد :

- يا بن الـ ... غيرت أقوالك ؟ .. خذهم يا صفوت .

مثل الكلب المسعور ... لا يحتاج إلي تحريض .

ظل الضرب مستمرًا ... حتى خمدت أنفاسهما ... فقدا الوعي .

حملوهما – كالعادة – في البطاطين إلي الزنازين .

ومرة أخري يفشل في الحصول علي اعتراف صريح ... وقاطع ... عن تهمة اغتيال الريس ومؤامرة قلب نظام الحكم .

لم يحصل من سيد قطب علي أي شيء جديد ... فالتنظيم كان عملاً جهاديًا يتقرب به إلي الله ... كل من انضم إليه ... غايته تربوية ... وإعادة الجماعة التي حلوها ظلمًا ... وعدوانًا ... فإذا كان هذا اعترافًا ... فليكن .

الأستاذ سيد ... مريض بالقلب ... ومفكر مهاب ... فرض نفسه ... حتى علي زبانية السجن الحربي ... فلم يجدوا له من سبيل إلا أن يعذبوا أمامه ابن أخته رفعت بكر ... وأحبهم إلي قلبه ... ظلوا يعذبونه ... حتى مات ... وهو ينظر إلي خاله . لم يتزحزح الأستاذ عن كلامه ... لسبب بسيط ... هو أن ما يريدونه ... يهدم فكرة أساسية قام عليها التنظيم ... وهي التركيز علي العقيدة في المرحلة الأولي ... حتى ولو استمرت عشرات السنين ... وترك التفكير في كل ما عداها ... أما

الاغتيال ... والانقلاب ... فهو عمل مرفوض ... ومنبوذ ... لأن الدولة الإسلامية لا تتم إلا ... عن طريق الإقناع ... وإيمان الغالبية بها ... والأستاذ لا يكذب ... ولن يكذب ...

لم يبق أمامه ... إلا زينب الغزالي .

(22)

الله لطيف بعباده .

عندما ينقطع الإنسان عن الدنيا وأسبابها ... ويتجرد من زخرفها وزينتها ... ويصبح بلا حول ... ولا قوة ... تتجلي الفطرة في نقائها ... والإيمان في صفائه ... تبلغ الشفافية ذروتها ... وتحلق الروح في ملكوت الله ... بلا نهاية ... وبلا حدود ... تنطلق من سجن الجسد ... وقيود الأرض ... تكسر القضبان ... وتحطم الأقفال ... وتتسامي علي غرور الدنيا ... وتتعالي علي المستكبرين ... عبيد المادة ... وصغائر ما يفعلون .

عندما يعيش المؤمن حالة نادرة من المتعة ... والنعيم ... حتى لو أقعدوه علي نار موقدة ... وشرحوا جسده ... وشوهوا أعضاءه ... وأذاقوه كل ما اخترعته الشياطين من عذاب .

- أنت يا زينب غزالي ... علي قدم محمد عبد الله ورسوله .
- أنا ... يا سيدي يا رسول الله ... علي قدم محمد عبد الله ورسوله .
- أنت يا زينب علي الحق ... أنتم يا زينب علي الحق .

اسمها في شهادة الميلاد زينب الغزالي ... واسمها الحقيقي زينب غزالي ... رسول الله يناديها باسمها الحقيقي

يا ... الله ... يا الله .

كانت لتوها قد صلت العشاء ... فرشت معطفها ... وضعت حذائها تحت رأسها ... نامت ... واستيقظت علي الرؤيا المباركة ... و ... كأنها لا نامت ... ولا استيقظت ... بل حلقت روحها هناك ... هناك ... لتتلقي جرعة هائلة من طاقة التثبت ... سرت في كل كيانها ... مساندة ... ودعم ... أنتم علي الحق ... نعم نحن علي الحق ... وعلي العهد يا سيدي يا رسول الله ... وهم علي الباطل ... مهما تجبروا ... فهم أقزام ... وبكل ما يملكون فهم ضعفاء ... فليفعلوا بالجسد ما عن لهم ... وليطغوا ... ما شاء لهم شيطانهم ... فوالله لن ينالوا مني ... إلا ... ما يكرهون .

زينب الغزالي ... هي آخر أمل ليحصل منها العقيد علي اعتراف صريح بأن الهضيبي طلب منها التخطيط لقلب نظام الحكم ... واغتيال الرئيس . نقلوها إلي زنزانة أخري ... دفعها العسكري ... ثم أغلق الباب ... الظلام دامس ... ولكن ... أحسست بحركة حولها ... لم تكن بمفردها ... كان

معها صحبة ... أضاءوا النور ... فجأة ... نور مبهر يغشي البصر ... لم تعرف عددهم ... كانت مجموعة من الكلاب ... ما أن أضيء النور حتى كشرت عن أنيابها ... تزوم ... وتزمجر ... انزوت في ركن الزنزانة ... وضعت يديها علي صدرها وأغمضت عينيها ... ليس أمامك إلا الدعاء يا زينب ... الذكر ... والتلاوة ... وبركة رؤية رسول الله ... أسماء الله الحسنى ... اللطيف ... اللطيف ... اللطيف ... تركت جسدها ... انفصلت عنه .. الكلاب تعوي ... وتقفز عليها ... وهي ... هناك ... هناك .

بعد ساعة ... فتح العسكري الباب ... وقف مذهولاً ... حتى ملابسها التي مزقتها الكرابيج ... والدماء المتجلطة عليها ... لم تتأثر ... وفي ركن من الزنزانة تجمعت الكلاب ... في هدوء ... ودعة . ترجم ... مشاعره ... واندهاشه .

- يا بنت الـ ... ماذا فعلت للكلاب ؟

صفوت الروبي يتولي (عملية التسخين) ... أو تجهيزها لمقابلة (الباشا) ... ولديه برنامج لا ينقذ ...

سحبها إلي ساحة المكاتب ... لتري وتسمع ... أوقفها رافعة يديها ... وجهها إلي الحائط ... واحد من الشباب مصلوب علي العمود ... وحاملوا الكرابيج يتناوبون عليه ... ويقول له :

- هذه زينب الغزالي ... اشتمها ... يا بن الـ ... اشتم .

الضرب يزداد عنفًا ... ولا مجيب .

- يا رب ... يا رب .

هذا صوت فاروق ... هو ... هو ... صوته ... الإيمان ... والصدق والرجولة ... ليتني كنت مكانك ... يا بني لم تحتمل ... استدارت وهي تصيح :

- اشتم يا بني ... اشتم ... يا فاروق .

صاح في امرار :

- لا ... لا ... يا أمي ... والله ... إنهم كلاب .

ما أروع ... المثل ... وما أشجعك ...

ردت مواسية :

صبرًا ... يا أولادي ... صبرًا آل ياسر ... فإن موعدكم الجنة .

.... خفت الصوت ...

- سبوا زينب الغزالي ... اشتم يا بن الـ ... أنت وهو .

هذه المرة كانت مجموعة من الشباب ... وحولهم الكرابيج والكلاب ... لعبة العساكر المفضلة ...

قبل أن يسحبها إلي أحد المكاتب ... صفعها علي أذنيها وقال :

- كل هذه بسببك ... في استطاعتك فداء هؤلاء الشباب ... ادخلي ...

أشار إلي الجالس علي المكاتب ... جدار آدمي ... داكن السحنة .

- الباشا ... وكيل النيابة .

قال في هدوء :

- اتركها يا صفوت .

أجلسها ... وقال :

- يا حاجة ... أنا لا أستطيع أن أخلصك ... هؤلاء لا يحترمون القانون ... وأنت ست محترمة ... لا يجب أن تعرضي نفسك للبهدلة ... كلهم خلصوا أنفسهم واعترفوا ... الهضيبي وسيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل ... تركوك تواجهين تهمة الإعدام .

- نحن لم نفعل شيئًا ... سوي أننا كنا نعمل للإسلام ... هل هذه جريمة ؟؟

- ولماذا يقولون عنك أنك المحرضة الأولي علي قتل جمال عبد الناصر وتخريب البلد ... ونحن نعلم أنهم الزعماء ... وهم أساس المصيبة كلها .

- أنا لا أصدق هذا الكلام ... فلم يكن من أهدافنا ... لا تخريب ... ولا اغتيال ... هدفنا كان قضية التوحيد في الأرض ... عبادة الله ... إقامة القرآن والسنة ... قضية ... إن الحكم إلا لله ... وعندما تتحقق هذه الغاية ستنهار هذه الهياكل كلها ... هدفنا الإصلاح ... كما تري ... وليس الهدم .

- يعني الهياكل ... ستنهار بدون فعل فاعل ؟؟ .. هذا الكلام يثبت التآمر .

قالت في ثبات :

- المتآمرون ... هم هؤلاء المرضي ... الذين يسلكون طريق الشيطان إرضاء لسادتهم .

هي تعلم منذ البداية أنه واحد منهم ... ولم يكن سوي العميد سعد ... لم تكن في حاجة إلي بينة ... رفع يده ... وهوى بها علي وجهها ... قال :

- أردت أن أخدمك يا بنت الـ ... ولكن أنت لا تستحقين ...

نادي :

- الفلقة ... يا صفوت ... خمسمائة كرباج .

في لحظات ... كانت معلقة ... ويتناوب عليها ثلاثة من الثيران ... وقف صفوت ليضبط العدد .

- واحد ... اثنين ... ثلاثة ... عشرة ... هات من الأول ... واحد ... اثنين ... عشرة ... ثاني ... من الأول ...

فقدت القدرة علي التحمل ... دارت الدنيا حولها ... ثم ... فقدت الوعي ... في الصباح ... وجدت نفسها ملقاة علي أرض الزنزانة .

بدأت المرحلة الثانية .

اقتحموا باب الزنزانة وسحبوها إلي الثلاجة .

زنزانة حولوها إلي حوض ... حملها العساكر ... ثم ألقوها فيه ... استطاعت – بعد الصدمة الأولي – أن تقف علي قدميها ... الماء وصل إلي وسطها ... أصدر صفوت التعليمات .

الجلوس ... في وسط الغرفة ... علي ركبتيها ... بحيث يصل الماء إلي ذقنها .

- لو نمت يا حلوة ... فسوف نوقظك بالكرباج ... التسعيرة ... عشرة كرابيج لو أسندت رأسك للحائط ... محاولة الوقوف خمسة ... مد الرجل أو الذراع خمسة عشر ... و ... يبقي الهضيبي ... وسيد قطب ينفعوك ... لو قلت يا رب ... فلن ينقذك ... ولو قلت يا عبد الناصر ... تنفتح لك الجنة ... ولو تعقلي ... وتخلصينا ... وتخلصي نفسك ... أخذك لمعالي الباشا ... وتقولي له كيف اتفق الهضيبي وسيد قطب علي قتل جمال عبد الناصر .

الجراح في الماء تكوي ... وضعوك في حوض من الأحماض ... والجوع يفرم أمعاءها ... ولكن أسماء الله الحسنى ... اللطيف ... اللطيف ... اللطيف لمن يشاء ... يبتلي ... ويعين الصابرين ... يختبر ... ويمد بالتثبيت ... طعم الرؤية كلما غفلت عنها ... تستحضره ليؤنس وحشتها ... ما أجمل وجهك يا سيدي يا رسول الله ... وما أحلي صوتك يا حبيبي يا نبي الله ... أنتم ... علي الحق ... و ... عندما تنزل السكينة ... يحدث النوم ...

إغفاءة ... أم يقظة القلب والروح .

من هؤلاء ؟

الصبايا ... الحور ... فيض من نور يسري ... يحملون صحائف من ذهب ... فاكهة ... لم تر مثيلاً ... مجرد النظر إليها ... يؤدي إلي الشبع ... ويروي الظمأ ... رغم رائحة الماء العفنة ... رائحة من عطر الجنة تملأ رأيتها ... ومرة أخري ... فضلك عظيم ... يا الله ... ونعمك لا تعد ولا تحصي ... الروح ... هناك ... هناك ... هناك .

في الصباح ... أخرجوها ... من الماء ... إلي زنزانتها ... أسندت ظهرها ... ورأسها إلي الحائط ... وسادة من حرير ... و ... نامت ... الجسد يئن ... يصرخ ... ولكن الإعياء أقوى ... نوم ... غيبوبة ... لم يعد هناك أي فرق بينهما .

باقي علي الحلو دقة ... يا روبي ... ويحدث الانهيار العظيم . أيقظها صوت الروبي ... كان المتكلم هذه المرة الشيطان نفسه .

دفع أحد العساكر إلي داخل الزنزانة ... وهو يحرضه في هياج :

- قطعها ... مزقها ... أفعل فيها الفاحشة .

أغلق الباب ... تكومت في ركنها ... وقد تملكها الرعب الأول مرة منذ دخولها الحربي ... كل خلية من جسمها ... كل خلجة ... كل عصب ... كان يدعو ... إلحاح ... وتوسل .. وتضرع .

يا رب كنت دائمًا علي عهدك أمة ... قانتة ... ساعية إليك ... مجاهدة في سبيل دعوتك ... اللهم إني أدعوك بضعفي ... وقلة حيلتي ... وهواني علي الناس ... وانكساري إليك ... أن تدفع عني شرورهم .. وأن تحمي عفتي ... وتصون عرضي .

أخرجها من جو التبتل ... وملائكية الدعاء ... صوت العسكري :

- يا خالة ... لا تخافي ... لو قطعوني إربًا ... لن أوذيك .

يا الله ... يا الله ... يا الله ... ما أكرمك ... وما أعظم فضلك ... في هذا الظلام ... وهذه الظلمات ... نورك يملأ صدري .

قالت في حنو ... وأمومة :

- بارك الله فيك ... يا بني .

سأل مستنكرًا :

- لماذا يعذبونك ... كل هذا العذاب ... و ... أنت واحدة ست ... واضح إنك من عائلة محترمة ... وأحسن من أمهات هذه الزبالة

قالت :

- لأننا ندعو إلي الله .

قال :

- لا تظني أننا كلنا وحوش ... فينا من ينفذ الأوامر ... غصبًا عنه ... وإلا فتكوا بنا .

قالت :

- هل تصلي ؟؟

قال :

- كنت قبل التجنيد ... ولكن الصلاة هنا ممنوعة ... وعقوبتها السجن ... أنا يا ست أحب الدين ... أجلس في ورديتي – بالليل – استمع إلي الشيخ عبد الفتاح ... تلاوته في القرآن ... و ... صوته جميل ... اسمعه يبكي ... ويبتهل .

قالت تشجعه :

- لا تخضع لهم ... صلي ... ولا تخاف إلا من الله .

فتح الروبي الباب ... وهو يمني نفسه ... بمنظر يزيده زهوًا ... وانتصارًا أمام الباشا ... إلا أن الوكسة صدمته ... انقض علي العسكري يفتك به ثم اقتاده إلي ... حيث يلقي مصيره .

وحانت لحظة المواجهة .

صحبها الضابط رياض إلي المكاتب ... قال :

- لن نسمح بموتك ... تريدين أن تموتي قديسة ... يا بنت الـ ... يعني بعد ثلاثين سنة ... يقيمون لك ضريحًا ... ويقولون زينب الغزالي أظهرت كرامات في السجن الحربي ... الجحيم هنا جحيم عبد الناصر ... والجنة الحقيقية هي جنة عبد الناصر وليس الوهم الذي عندكم ...؟؟

ردت في تحد ... وقد نسيت آلامها :

- نحن نصبر علي أذاكم بقدرة الله ... وسينصرنا عليكم .

قال لها :

- أي نصر ... يا بنت الـ ... تاريخكم كله هزائم ... انضربتم في سنة 1948 ... وضربناكم سنة 1954 ... ونضربكم الآن ضربة لن تقوموا بعدها ... لو أن ربكم قادر علي نصركم ... فلينصركم الآن .

استفزها ... قالت :

- هذا كلام جاهلي ... الله ... لن يتركم ... ونهايتكم سوداء ... وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ... إنما أمره بقدر ... ويذركم في طغياكم تعمهون .

نادي رياض :

- الحق ... يا صفوت ... بنت الـ ... لازالت تخطب .

لسعها بالكرباج ... مال عليه وهمس :

- اترك الباقي منها ... للباشا ... صحتها علي وشك الانهيار .

نظر إليها العقيد طويلاً ... ثم نادي :

- كفافي ...

تقدم منها ... وأخرج ورقة وقال :

- انظري ... هذا أمر من الريس بإعدامك ... ورقة رسمية عليها الشعار ... والتصديق ... والختم .

صرفت نظرها بعيدًا ... وقالت :

- أنتم لستم في حاجة إلي ورقة ... وهي ... شهادة أتمناها .

نظر كفافي للعقيد ... وقال ساخرًا :

- بنت الـ ... ماكينة خطابة .

غير من لهجته ... فقال :

- انظري إلي نفسك ... لقد ضاعت أنوثتك ... وأصبحت أكثر خنشرة من الرجل ... أنقذي ما تبقي منك ... وإلا طلقك زوجك .

قالت في ثبات :

- ولنصبرن علي ما آذيتمونا ...

صرخ :

- هات الدكتور يا صفوت ... وعلقها علي الفلقة ... مصروف لها خمسمائة كرباج الضرب متوالي علي ما تبقي منها ... رجليها صارا كتلة من اللحم الدامية بعد أن انسلخ الجلد عنهما .

- يا الله ... يا الله ... يا لطيف ... يا حي يا قيوم ... ربي إني مَّسِنَي الضُّر ... وأنت أرحم الراحمين .

قال في استنكار :

- أين هو الله ... لو نزل هنا لوضعناه في زنزانة ... استغيثي بعبد الناصر ... فيغيثك فورًا .

- الله موجود ... يا جاهلي ... ورئيسك الجاهلي ... أليس اسمه عبد الناصر ... فلمن عبوديته .

بهت ... لم يرد ... تشاغل بالنظر إلي الكرابيج ... تهوي بشفراتها فيتناثر اللحم المدمدم ... لم تتحمل ... راحت في غيبوبة .

فزع لها الطبيب ... كان جاهزًا ... حقنها ... ثم قال محذرًا :

- لن تتحمل المزيد .

أفاقت ... لتجد نفسها ... ممدة علي أرض الغرفة ... والممرض يمسح جروحها بالمطهر ... ساعدها في الجلوس ... وإسناد ظهرها علي الحائط ... أعطاها كوب من العصير ... إلا أنها رفضت تناوله .

قال الضابط كفافي :

- دعني يا باشا أقرأ عليها اعترافات الهضيبي وسيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل الملفات موضوعة أمامه ... أخذ يقلب ... ويقرأ ...

- هذا هو اعتراف علي عشماوي .

قالت :

- هذا كذب ... لقد اشتريتموه .

قال :

- والهضيبي وسيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل ... اشتريناهم أيضًا .

قالت :

- لا ... هذا الكلام مزور عليهم ...

صاح :

- هاتوا عبد الفتاح إسماعيل .

أحضروه ... الذراع المكسور يحمله بيده الأخرى ... ويحجل برجله السليمة ... مستندًا علي كتف أحد العساكر ... يلبس عفريتة المساجين الزرقاء ... ممزقة تكشف عن لحم مشوه ... لم يندمل ... ولكن الوجه ... وجه الشيخ المريح ... لا تخطيء العين وقاره ... نور الموحدين يشع منه .

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ألقي التحية ... وكأنه يقابلها في بيتها .

ردت التحية بصدر منشرح .

قال العقيد :

- تكلم يا عبد الفتاح ... ماذا كنت تعمل عندها ... ولماذا كنت تقابلها .

قال :

- أختي في الله ... كنا نتعاون علي أن نبني شبابًا مسلمًا علي مبادئ القرآن والسنة ... وبطبيعة الحال كان ذلك سيفضي إلي تغيير الدولة ... من دولة جاهلية ... إلي دولة مسلمة .

قال في غلظة :

- هل نحن في جامع ... أنت لست علي المنبر ... يا بن الـ ... أخرج ... أخرج .

سحبوه .

علي عكس ما أرادوا ... حضوره كان زادًا لها .

قال العقيد :

- هل سمعت ... هذا اعتراف بالتآمر لتغيير نظام الحكم .

قالت :

- ولكننا لا نسعى إلي ذلك بالاغتيال ... واستخدام القوة ... ولم نحدد وقتًا لحدوث التغيير ... حتى ولو استمرت عشرات السنين .

نفذ صبره :

- لا تدفعينا إلي قتلك ... نحن قتلنا عواد ... ورفعت بكر ... وإسماعيل الفيومي ... كل يوم ندفن عشرة كلاب منكم ... هذا جحيم عبد الناصر ... ولدينا أوامر منه بقتلكم جميعًا .

قالت :

- شهداء ... في الجنة .

قال في سخرية :

- جنة إيه يا بنت الـ ... أنتم تعيشون في وهم ... الجنة الحقيقية عندنا ... والدنيا الحقيقية عندنا ... أنتم تعيشون خارج العالم ... هل تريدون أن نترك روسيا التي تحكم نصف العالم ... ونمشي وراء كلام الهضيبي ... وسيد قطب .

قالت في ثبات :

- سيد قطب ... والهضيبي ... يدعون إلي الإسلام ... الدين الحنيف ... ومنهجهم هو التربية ... وليس الاغتيال ... والانقلابات العسكرية ... وغيرهم هو الذي يلجأ إلي هذه الأساليب .

الآن ... حان أجلها ... وجهه ... تحول إلي وجه شيطان .

أدرك العميد سعد ما يدور في رأسه جذبه من ذراعه إلي حجرة جانبية همس في أذنه :

- تعالي ... اهدأ .

العميد سعد ... له مكانته عنده ... مع القهوة ... والسجاير ... قال :

- قتلها ... لن يغير موقفنا ... اختفاء متهمة أساسية لن يكون في صالح القضية ... نحن لدينا اعترافات من عبد الفتاح ... ومنها بأن هدفهم هو تغير نظام المجتمع ... والحكم هذا الكلام يحتاج إلي التلميع .

تابعه بانتباه :

- كيف ؟؟

قال ... بعد أن أشعل سيجارة أخري :

- عن طريق التلفزيون ... نستطيع أن نجهز مجموعة من الأولاد الصغار في التنظيم ... مع المذيع قنديل ... ونضع علي لسانهم ... أن هدفهم كان نسف القناطر الخيرية ... ووضع متفجرات في محطات السكك الحديدية ... واغتيال كبار المسئولين ... ننشر مع الأحاديث ... خرائط ... وكروكي لبيوتهم ... ونجهز بعض الأسلحة والمتفجرات ... ونصورها ... هذا بالإضافة إلي حملة في الصحف ... وأحاديث مفبركة ... كالعادة ... نستطيع أن نغطي تهمة قلب نظام الحكم ... وحبايبنا الصحفيين ينتظرون الإشارة ...

بدأ يتجاوب ... قال :

- عظيم ... و ... عملية الاغتيال ؟

قال :

- عندنا ورقة هامة ... نلعب بها ... هي اعتراف عبد الفتاح إسماعيل ... وعبد الحميد عفيفي ... بأن إسماعيل الفيومي من الإخوان ... طبعًا الجهة التي نعمل لها حساب ... هي مخابرات الرياسة التي يمسها الاتهام ... ستقول أن هذه الاعترافات مفبركة ... والحجة التي يمكن إثارتها للتشكيك في معلوماتنا ... هي السؤال ... لماذا لم ينفذ إسماعيل عملية الاغتيال ... وردنا علي ذلك ... هو أن التنظيم كان يستعد للحظة المناسبة ... ونحن حرقناهم في الوقت المناسب ... وهذا سيترك الريس في حالة شك ... لا يستطيع ترجيح أي من الموقفين ... إلا أننا نفوز ... لأن أثارة شك الريس في مصلحتنا ... فهو لا يستريح إذا لعب الفأر في عبه ... وسيلجأ إلي حركة تطهير ... وقد بدأها بالفعل بتغيير كل أفراد الحراسة الخاصة ... والخطوة التالية ... مذبحة في الجماعة إياهم .

نظر إلي العميد سعد ... طويلاً ... ثم قال :

- أنت ... شيطان يا سعد .

ضرب العميد كفه مصافحًا ... وهو يضحك :

- يا بو الشموس ... أنا تلميذك .

ظلت تحت رعاية الطبيب والممرض ... فيما يسمي بالمستشفي ... الطبيب ... ضابط عسكري ... والممرض مجند ... يمارس عمله بمهنيه ... ولكنه – بطريق غير مباشر – يخدم أعمال التعذيب ... لأن مطلوب منه – ليس شفاء – المعتقل ... وإنما إعداده بدنيًا لتحمل المزيد من العذاب ... تمامًا مثلما يتم رعاية البغل لكي يستطيع جر العربة ...

ظلت الحاجة زينب في المستشفي عدة أيام ... حتى استردت البعض من عافيتها ... والجروح التي تعفنت وامتلأت صديدًا ... بدأت تندمل مكونة من اللحم عارية من طبقة الجلد ... أصبحت تسبب ألمًا شنيعًا .. عند مجرد اللمس ... وأحيانًا عند حركة الملابس فوقها

فوجئت باستدعاء إلي المكاتب .

قال لها العقيد :

- لا تخافي ... أريد مناقشة صريحة معك .

نظرت في ريبة ... ثم التفتت حولها ... وأشارت إلي صفوت وحملة الكرابيج من حرس (القرف) .

قال بلا اهتمام :

- هؤلاء تعودوا الوقوف هنا ... ولا يتحركون إلا بالأمر ... وأنت جريئة ولذلك أريد منك بعض المعلومات العامة .

انتظرت ... هات ما عندك ... أيها الكريه .

قال :

- لماذا لا تتوقفون عن النشاط ... كلما أمسكنا تنظيمًا .. قام آخر ولماذا العمل السري .

قالت :

- أنتم السبب ...

نظر مندهشًا ... استمرت :

- نحن دعاة ... عملنا الأساسي وسط الناس ... ندعوهم إلي فكرنا ... ولا نملك إلا إقناعهم ... ولا نجبر أحدًا علي ذلك ... وأنتم تدعون أن الشعب معكم ويؤيدكم ... فلماذا تخافون منا ... بيننا وبينكم الناس ... إما أن يقتنعوا بكم أو بنا عندئذ لن يكون هناك أي عمل سري .

قال :

- ديمقراطية يعني ؟

- سمها كيفما تشاء ... ولكنها في النهاية حرية الحركة والتعبير .

- نتركها فوضي ... تضحكوا علي الناس باسم الدين .

- وأنا أقول أن الذي يضحك علي الناس ... هو نظامكم ... الذي لا يريد أن يثق في قدرة الناس علي التمييز بين الحق والباطل ... ويفرض وصايته ليستمر في الحكم .

- تنظيماتكم تلجأ للتآمر ... والعمل العسكري .

- الدولة القوية ... المستقرة ... تستطيع أن تعاقب كل من يخرج علي شرعيتها ... بالقضاء ... والعدل ...

- أنت تتحدثين عن نظام لا يطبق إلا في المريخ ... نظام خيالي ... نحن ثورة ... والثورة تفرم كل من يقف في طريقها ... أعداء الشعب ... كلام الكتب لا يصلح إلا في المدارس .

سكت ... ثم سأل فجأة :

- هل أنا كافر ؟؟

قالت :

- أنت أدري بنفسك .

قال :

- أريد إجابة واضحة ... لقد سألت سيد قطب ... وعبد الفتاح إسماعيل ... أجابوني نفس الإجابة ... الوحيد الذي كان صريحًا ... هو هواش .

- ماذا قال ؟

- قال ... نعم ... أنت كافر .

- وماذا فعلت معه ؟

- سأخبرك ... في الآخر .

سألت :

- ولماذا أنت مهتم بذلك ؟

- مجرد نقاش ... معلومات .

- وإذا سألتك بطريقة عكسية ... هل أنت مؤمن ؟؟

فكر قليلاً :

- أنا لا أهتم بالدين ... ولا أضعه في دماغي ... ويمكن اعتبره معوق للطموح ... وقد لا يفهمني من سمعني وأنا أقول أننا نستطيع أن نضع الله في الزنزانة ... هذا كلام لزوم الشغل ... والدي كان أزهريًا ... وأنا لا أنكر وجود الله ... ولكن ربنا رب قلوب .

قالت :

- المشركون في مكة لم ينكروا وجود الله ... وعبدوا الأصنام لتقربهم إليه .

- وهل أنا أعبد الأصنام ؟؟

- أنت تفعل ما هو أسوأ ... لماذا تعذبون الذين يأمرون بالقسط ... وتمتهنون كرامة الإنسان ... ويصل الأمر إلي درجة القتل ؟
- دخلنا في المحظور .
- أنت التي طلب الصراحة .

قال :

- سأصبر عليك ... لأن المناقشة بدأت تحلو .

سكت ... ثم قال :

- سأجيبك ... نحن في ثورة ... حرب ... والحرب تجيز استخدام كافة الأسلحة لهزيمة العدو .
- وهل اعتدينا عليكم ؟
- نحن تغذينا بكم ... قبل أن تتعشوا بنا .
- من قال أنه كان في نيتنا أن نتعشى بكم ... أنتم تحكمون علي النوايا .
- ولماذا التنظيم ...؟؟ .. هل كان الغرض منه بيع البطاطا في الشوارع ؟؟
- الجميع أكدوا لك ... أنه كان لدراسة الدين ... ثانيًا كم عدد أفراده ... بضعة مئات ... هل يشكل خطر ... وأنتم تملكون الجيوش والمخابرات .
- كان من الممكن أن يتطور ... ويتحول إلي تنظيم مسلح .
- عدنا للحكم علي النيات ... وما في القلوب .
- لقد أخرجنا ما في قلوبكم ونياتكم .
- باستخدام التعذيب ؟
- بالتعذيب ... وقتلكم جميعًا .
- وهل هذا من الإيمان ... أو يتفق مع قواعد الشرع ... التي تحرم الظلم ... وتلفيق التهم ... وعدم ترويع المؤمنين ... قذفهم بالشتائم الفاجرة ... وأخذ الجميع بذنب المخطئ ... إن وجد مخطئ .
- أنا صبرت عليك ... هذا كلام هلوسة .

لم تهتم بنبرة التهديد ... استمرت لتفرغ ما في جعبتها :

- تقول أنها حرب ... حرب بين الدولة وأبنائها ... أليس من واجب الطرف الأقوى ... وهي الدولة أن تبحث عن أسباب الخلاف بينها وبين طائفة من مواطنيها ... وتناقشهم ... وتتحاور

معهم ... في جو من الحرية ... بدلاً من إشاعة الرعب ... والخوف الذي يلجئ الناس إلي ممارسة معتقداتهم في السر .

انهزم ... صرخ ... ينادي صفوت :

- مصروف لها مائتين كرباج .

قبل أن يسحبها للخارج ... قال متشفيًا ... في سخرية :

- لم تجيبي علي سؤالي ... هل أنا كافر ؟؟

قالت في ثبات :

- وأنت لم تجب علي سؤالي ... ماذا فعلت مع الأخ هواش ؟

قال في لا مبالاة :

- صرفت له مائتي كرباج .

(23)

شوكت التوني

محامي ... من أيام الزمن الجميل ... زمن الطرابيش ... الذي وإن كان يرمز إلي شعب حكمته ملكية داعرة ... ورزح تحت عبء احتلال انجليزي كرس تخلفه وساند نظام الحكم منفصل تمامًا عن أماني وتطلعات الجماهير ... إلا أنه زمن كانت تحيا فيه قيم الأخلاق ... والشهامة ... والكرم ... ونجدة المبتلي والمصاب ... بين أفراد المجتمع ... فضلاً عن قيم الوطنية ... ومقاومة الاحتلال ... زمن كانت فطرة الناس فيه لازالت غضة ... حِيَّه ... إلي أن فضَّت بكارتها ثورة فاجرة .

شوكت التوني الصعيدي النشأة ... المحافظ المتمسك بالتقاليد ... ورث عن أسرته التدين ... وحب القراءة والأدب ... ظروف النشأة والهواية ... جمعته مع سيد قطب الصعيدي ... الأديب ... مع صلة من القرابة ... عززت الصداقة بينهما ... ورغم أنه كان من حزب السعديين بزعامة النقراشي ... والعداوة بينه وبين الإخوان معروفة إلا أن التوني ظل علي علاقة طيبة بالشيخ البنا . شوكت التوني يجلس معتقلاً منذ عام ... قبضوا عليه في سبتمبر 1966 انتهي به المطاف إلي غرفة في سجن مزرعة طره ... يجلس حوله زملاءه المحامين ... أطلقوا عليهم اسم المحامون العرب ... تندرًا ... الجلسة ضمت مجموعة من معتقلي الإخوان ولأنه كان واحدًا من المحامين الذين واجهوا الدجوى رئيس المحكمة التي حاكمت الإخوان ... فقد كان الحديث يدور عن الأحداث الجارية .

قال في تأثر :

– وددت لو أن الشيخ عبد الفتاح إسماعيل معنا الآن ... ليري قدر الله وقد أطبق علي نظام الطاغية ... كنت أرقبه طوال فترة المحاكمة ... كلما جاء ذكر إسماعيل الفيومي ... بكي ... ولعله كان يشعر بشيء من المسئولية عن قرار منع إسماعيل من قتل عبد الناصر ... بعد هزيمة الساعات الستة أصبح عبد الناصر رهينة في قبضة جيش اليهود المتمركز علي ضفة القناة ... هو الآن يموت كل ساعة ... يعيش عذاب الخزي والعار ... بما جلبه علي شعب مسكين ضاعت أرضه ... ودمروا جيشًا كان ضحية غباء أهوج ... واستهتار قادة رتعوا في الفساد وأهدروا أمانة علقها الشعب في رقابهم ... أليست هذه النهاية أكثر عبرة وعظة مما لو كان الفيومي قتله ليجعل منه قديسًا وبطلاً تاريخيًا ... ويظل دمه الفاسد معلقًا في رقبة الإخوان علي اعتبار أنهم قتلة ... وجناة .

علق واحد من الإخوان :

– أتمني أن أرجع إلي السجن الحربي ... لأري شمس بدران داخل الزنزانة ... وأسأله إن كان قد رأي كيف يغير الله من حال إلي حال ... وهو الذي كان يدعي أن باستطاعته وضعه في زنزانة ... سبحانه وتعالي ... كبرت كلمة تخرج من أفواههم ... وكان يسخر من استشهاد زينب الغزالي بقوله سبحانه ... وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ...

قال آخر من الإخوان ... كان في السجن الحربي ...:

– سمعت من الشهيد هواش أنه رأي في منامه كأن الزنازين فتحت ... وخرج منها الإخوان ليدخل فيها كل من شارك في تعذيب الإخوان من زبانية السجن الحربي .

قال المحامي التوني :

– هذه مؤشرات تدخل القدرة الإلهية ... وهي مبشرات للمؤمنين ... لن تتوقف حتى تنتهي دولة الظلم .

شوكت التوني ... اعتقل علي ذمة كلمة قالها ... وسجلها عليه (صديق عزيز) في نادي الجزيرة ... عندما جاء ذكر إسماعيل الفيومي في جلسة سمر ... قال التوني ... ليته عملها ... وخلصنا منه ... ليس التسجيل فقط هو الذي أثارهم ... وإنما سلسلة من المواقف أمام محاكمهم ... وجرأته ... وخوضه في المحظور .

دفع الثمن من حريته ... اعتقلوه ... صادروا أملاك الأسرة ... فصلوا أخيه المستشار ... وشتتوا زبائن مكتبه ... واغتالوا أخاه الأصغر ... قتلته سيارة مسرعة ... في الشارع ... وهو يمشي علي الرصيف ... صدمته وحده من بين عشرات من المارة ... وفي النهاية اعتقلوه ... وطافوا به في – نزهة بائسة – بين سجن أبو زعبل ... وسجن المخابرات ... لينتهي به المقام مع مجموعة المحامين

العرب المغضوب عليهم لنفس الأسباب ... نكتة هنا ... وتعليق هناك وتلسين ينقله نمام ... أو خباص ... في تقرير عن عبارة عداء تمس ذات القائد الملهم .

ماذا فعلت مع الدجوى ... أيها المحامي ... ذو اللسان الطويل ... أو الفارس الذي لا يزال يحارب بالسيف ... في زمن تغير فيه النزال إلي تكتيك المقالب ... ونظام الدس ... وتشكيلات الخداع .

يذكر أول أيام المحاكمة

الدجوى يجلس علي المنصة ... مزهوًا – كالطاووس – بنياشينه ... منفوخًا ... مع أن الجميع يعلم أنه لا يعدو أن يكون آلة تسجيل ... بداخله شريط يدور فيصدر صوته بالأسئلة ... والاستجواب ... حتى عبارات السخرية لقنوها له ... ونظرًا لاحتمال تعرضه لمأزق ... فقد وضعوا له – كما يحدث في المسارح – ملقنًا يجلس في غرفة مجاورة ... وبينهما دائرة اتصال كهربائية ... أخفوها بعناية – شغل مخابرات – تمثل نجدة – تدركه عند الغرق ... حتى لا يتعرض لمواجهة من يفوقه ذكاءً وعلمًا ... سواء من المعتقلين ... أو من المحامين – وهم قلة من أمثال طويل اللسان – شوكت التوني ... أما بقية المحامين فقد تم انتدابهم ممن هم مشهود لهم بالقدرة علي إدانة موكليهم ... وتلبيسهم التهم بخبرة تفوق خبرة الإدعاء ... وحماس يتضاءل أمامه حماس النيابة ... ولا يعرفون من المرافعة إلا طلب المغفرة من الثورة الرحيمة بأبنائها العصاة ...

التوني عندما سمع الحاجب يصيح محكمة ... حبكته النكتة ... مال علي أذن المحامي جاره ... وقال الأجدر أن يصيح ... (مش محكمة) ... رآهما الدجوى يبتسمان ... أشاح بوجهه غيظًا ... فلا يوجد أحد في المحكمة يمكن أن يكون موضع تعليق ساخر ... سواه ... هكذا صور له ذكاؤه .

التوني صدمه بطلباته ... القانونية .

- الكشف عن المعتقلين بواسطة لجنة طبية لإثبات ما بهم من إصابات .
- انتقال المحكمة لمعاينة مكان اعتقال المتهمين ... وهو السجن الحربي .
- بطلان إجراءات القبض عليهم واحتجازهم بمعرفة الشرطة العسكرية ... وأيضًا النيابة لقيامها بالتحقيق داخل خيمة نصبوها لها في داخل السجن الحربي .

طلبات كلها استفزازية يا توني ... أنت نفسك قلت أنها (موش محكمة)

اللعب مع الوحوش ... يخربش

الملقن وسوس له في أذنه قال في عصبية

- طلباتك مرفوضة يا أستاذ ... اقعد يا أستاذ ... خلاص يا أستاذ ... لا تضيع وقت المحكمة يا أستاذ .

- الهضيبي ... يجلس في قفص الاتهام ... وقور هادئ ... كأنه هو القاضي ... يحاكم الدجوى ... عند أول دخوله إلي القاعة ... توجه إلي القفص ... وسلم عليه ... امتلأت عيناه بالدموع ... نظر إليه وقال :

- وبعدين يا أستاذ توني ... لقد عشنا طوال عمرنا رجالاً ... أنبكي الآن ؟

نعم نبكي يا فضيلة المرشد ... نبكي بلدًا عزيزًا ضاع فيه الحق ... وغاب عنه العدل ... نبكي الظلم الذي طال واستطال شره ... واستفحل داؤه ... وعز علي المريض أن يجد دواءه ... الظلم قبيح ... وأقبح منه ... العجز عن حسمه ومقاومته . لقد عرفتك يا شيخنا ... تقيًا ... ورعًا ... شهد بذلك حماي زميلك المستشار عندما كان يطلب منك دائمًا – بحق الزمالة – أن تدعو له ... لالتزامك بالطاعات ... مبتعدًا عن كل ما نهي الله عنه ... عرفتك صلبًا في الحق ... وعندما زارك المحامي صبري باشا أبو علم في المحكمة ... وكان له قضية يدافع فيها أمامك ... طلبت منه القهوة إلا أنك سرعان ما رددتها وأنهيت الجلسة عندما عرض – مجاملة – خدماته عليك ... الاعتزاز برسالة القاضي ... ونزاهة متأصلة في خلقك .

أنت الآن جالس ... في القفص ... حولك كوكبة من الرجال ... ولا كل الرجال يشع من وجوههم نور الصلاح ... والطاعة .. تملؤهم ثقة من لا يسجد إلا لله ... لا يعبد إلا إياه ... يؤمن بقدره ... الذي كله خير ... في السراء ... والضراء وثبات لم يهتز لتجربة بشعة ... خاضوها ... ولازالوا يعيشون وطأتها .

سيد قطب يبتسم في وداعة ... روح محلقة وثابة ... تسكن جسدًا استسلم لأمراضه ... عالم ... فقيه ... مفسر لكتاب الله ... تفيأ تحت ظلاله ... مبدع في كتبه ... رشيق العبارة ... نظر إلي الدجوى ... في استعلاء ... وكأنه فأر تحت قدمه وهو يوجه إليه الاتهام ... دبر ... وتآمر ... وخطط ... وحرض ... وآخر الاتهامات أنه حمل حميدة قطب رسائل نقلها إلي الإخوان ... ! !

ماذا قال لك يا توني ... عندما شاهدك في القاعة ؟

لم تجد عبارة تقولها سوي :

- شد حيلك .

أجابك في ثقة :

– كما عهدتني ... لم أتغير ... قد ينال مني الموت ... قبل أن ينالوا مني ... رفض الصفقة ... التي قدموها له مقابل تخفيف حكم الإعدام .

قال لأخته :

– لو كان ما يطلبونه صحيحًا لقلته ... وما استطاعت قوة علي وجه الأرض أن تمنعني من قوله ... ولكنه لم يحدث ... وأنا لا أقول كذبًا ... أبدًا .

وكانوا يعرضون عليه أن يقول أن التنظيم علي صلة بجهات أجنبية .

قالت حميدة :

– حمزة البسيوني استدعاني ... شاهدت معه أمر بتنفيذ حكم الإعدام ... وطلب مني عرض الصفقة عليك .

سأل :

– وأنت ترضين ذلك ؟ ..

قالت :

– لا .

قال :

– إنهم لا يستطيعون ضرًا ... ولا نفعًا ... إن الأعمار بيد الله ... وهو لا يستطيعون التحكم في حياتي ... ولا يستطيعون إطالة الأعمار ، ولا تقصيرها ... كل ذلك بيد الله ... والله من ورائهم محيط .

عند صعوده درج المشنقة ... أراد الواعظ أن يلقنه الشهادة ... رد عليه :

– حتى أنت جاءوا بك لتكمل المسرحية ... نحن يا أخي نعدم بسبب لا إله إلا الله .

سأله أحد ضابط الحراسة عن معني كلمة شهيد قال :

– شهيد يعني أنه شهد شريعة الله أغلي من حياته .

صدقت ... أيها الصدوق .

محمد يوسف الهواش

الصوفي المتجرد ... زميل سيد قطب ... صنوه ... وأمين سره ... ما من جملة ... ولا عبارة ... ولا فكرة ... وإلا يعرف متى ... وأين كتبها الأستاذ ... روحه رافقت روحه في علوها وسموها ... ونفس الجسد ... الذي هدّه المرض ... ورغم ذلك لم يرحموه من العذاب ... كل تهمته ... أنه يمكن أن يكون خليفة سيد قطب ... يومًا ما ... في قيادة التنظيم ...

ما هو حكم هذه التهمة الشنيعة في القانون ... يا توني ؟ ..

.... أي محامي مبتدئ ... يحصل علي حكم براءة ... حتى بدون أن يترافع ... وهل القانون الوضعي ... – بلاش الإسلام – يحكم الناس علي نيتهم ... و ... يمكن ... ! ! الرجل الصابر ... المريض ... لم يرحموه من العذاب ... كانوا يأخذونه للتحقيق زاحفًا علي مرفقيه ... وركبتيه ... ولم يستطع أن يوقع علي محضر النيابة لإصابة أعصاب يده . من التعذيب .

ماذا قال يا توني عندما سأله الدجوى : :

– هل لك أي اعتراض علي المحكمة ؟

قال في نبرته الهادئة :

– أنني كمسلم ... ومن وحي عقيدتي أرفض أن أتحاكم أو أحاكم إلي محكمة لا تحكم بما أنزل الله .

توج ثباته بشري من رسول الله صلي الله عليه وسلم ... عندما رآه في المنام مع جمع من الصحابة يبايعونه ... قال رسول الله :

– هل غيرنا من بعدك ؟

– هل بدلنا من بعدك ؟

فأجابه صلي الله عليه وسلم :

– لا ... بل أمناء ... أمناء ... أمناء .

ليلة الحكم عليه بالشنق قال للإخوان :

– إن هؤلاء لا يحكمون ... الحكم لله ... والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ...

نحن وهم في قبضة الله كالذر ، وإن كان الله يرانا أهلاً للشهادة سوف يختارنا ، وإن كان غير ذلك فسوف يجري فينا وفيهم قدر الله ... وقد صدق ...

هل تذكر الأسد بن الأسد ... مأمون الهضيبي المستشار رئيس محكمة جنايات غزة ... كان الدجوى يحكم غزة بصفته العسكرية ... والمأمون يعرف ... قصته عندما وقع أسيرًا في يد اليهود عام 1965 ذليلاً مهنيًا .

عرضوا له فيلمًا يثني فيه علي الجيش الإسرائيلي وشجاعته عندما عالجوا زوجته ونقلوها لإجراء عملية جراحية في أحد مستشفيات تل أبيب ... يومها توعده عبد الناصر بالمحاكمة العسكرية ... عند عودته من الأسر . وقد تحقق وعيد عبد الناصر له ... بترقيته حتى رتبة الفريق الأول وبذلك

أصبح القاضي الذي يس\ال قبل أن يحكم ... ويبحث عن اتجاه الريح ... ويطمئن علي المسجل أمامه لكي يطلع عليه الريس ليري مدي غلطته ... وجبروته وشدته علي أعداء الثورة .

رفع المأمون المستشار صوته في الإجابة علي أحد الأسئلة ... فما كان من الدجوى القاضي إلا أن قال في عنهجية :

- انتهي الاستجواب .

رد صائحًا :

- لا ... لابد أن أتكلم إلي النهاية .

- محاميك يكمل الكلام .

صاح المأمون في حسم :

- لابد أن تسمعني .

و ... رضخ الدجوى ... للمستشار النزيه ... ابن المستشار النزيه ... الذي ينقل عشرات الآلاف من تبرعات أهل غزة وفلسطين ... ولم تمتد يده بالإحصاء أو العد ليسلمها أمانة من حق أسر المعتقلين ... لينتهي به الأمر معتقلاً ... ثم سجينًا ... فليس من آل الهضيبي من هو عزيز علي الابتلاء .

ماذا لديك يا توني من ذكريات عن رجال يشمخون بينما أجسادهم مخددة أخاديد من أثر السياط ... وأجسادهم الشابة الغضة قد طمعت منها أنياب الكلاب الجائعة ... نومهم أرق ... من العذاب ... ونهارهم ضنى من الإيذاء ... فلا نوم ... ولا راحة ... ولا أمل ولا رجاء في عدالة الكلاب ...

هؤلاء أحفاد الذين كانوا يدفنون في رمضاء مكة ... وتثقل صدورهم بالأحجار المحماة بجمرات النار ... وحرقة الوقدة اللاذعة من شمس البطحاء وهم صابرون ... صامدون .

هل تذكر حكاية المهندس مرسي مصطفي مرسي ... الذي وصف عبد الناصر بأنه امتداد لحكم أتاتورك ... كلاهما أخلص العمل وفق تخطيط الصليبية والصهيونية فما كان منن القاضي العادل إلا أن أبلغ السجن الحربي ... فكانت ليلة من العذاب امتدت بلا توقف حتى حضوره في اليوم التالي للمحكمة ... ليسأله الدجوى عن سبب ما به من إصابات ... فيرد المهندس مرسي متهكمًا :

- وقعت من السلم .

عندئذ تبدو علامات الانتصار عليه ... وهو يقول للصحافة :

- اشهدوا ... حتى لا يكتب عنا أحد أننا نعذب المعتقلين .

أما حكاية الشيخ محمد الأودن ... فهي تمثل بشاعة الغدر ... وقلة الأصل ... والندالة متجسدة في رجال جلسوا علي القمة ... وآخرين باعوا الإنسان في سبيل الزحف إلي أقدامها .

الشيخ البالغ ثمانين عامًا يجلس في القفص ينتظر الحكم عليه بتهمة أنه رفض أن يجند نفسه مخبرًا في جهاز المباحث ... أو بصاصًا مأجورًا في نظام شمس بدران ... التهمة هي علم ... ولم يبلغ ... الرجل الذي كان ضباط الثورة يسعون إليه يومًا ما ... ولابد أنهم – الآن – يخجلون من ذكره ... كانوا يسعون طالبين نصحه ... ووعظه وانقلبوا عليه يطلبون رأسه ... والانتقام منه ... وتلفيق تهمة لوضعه في السجن .

ما هي الحكاية ؟

المحامي شمس الشناوي ... زميل شوكت التوني ... في يوم من الأيام صحب الأخ عبد الفتاح شريف لزيارته ... وهو أحد قادة التنظيم ... انتهت الواقعة .

.... وكيل النيابة لم يجد تهمة يوجهها للشناوي ... طلب الإفراج عنه .

ومع أن الإفراج كان وقتها معناه ... قضاء بقية مدة الاعتقال المقدرة بما لا نهاية في سجن طره ... إلا أن الخروج من السجن الحربي نفسه كان بمثابة إفراج حقيقي أثناء وقوفه أمام المكاتب شاهده شمس باشا :

- رايح فين يا ولد .
- إفراج .
- نعم ... يا روح أمك ؟؟ .. لن تخرج من هنا إلا في حالة واحدة أن تعترف علي الأودن .

المحامي الشناوي رفض ... لأنه لم يحدث شيء ... والافتراء حرام .

نادي شمس عبد الفتاح شريف ... وطلب منه أن يشهد ضد الرجل فقال له أن لا يستطيع أن يشهد علي شيء لم يحدث ... فقال له أنني لا أسألك إن كان حدث أم لا ... أنا أطلب منك أن تشهد بما أقوله لك ... يعني شهادة زور ... فرفض . المهم ... العقيد اتصل بجمال عبد الناصر ... ووعده بأن يخلص علي الشيخ الأودن ... وسكته إلي ذلك ... هو المحامي شمس ... العقيد وعد الريس ... يعني طريق بلا عودة ... ولا تراجع ... الاعتراف ... أو الموت ... والمحامي ... لن يشهد زورً ... حتى ولو مات ... العذاب صار ألوانًا ... كرابيج ... وتعليق ... وفلقة ... وحرق بالسجاير والأسياخ وكلاب تنهش ... ظلوا يضربوه ... حتى قطع النفس .

جاء الطبيب مسرعًا ... وهم يضربونه ... قال لهم أنتم تضربون جسدًا ميتًا ... لا نبض ... ولا حياة ... وأخذ جثته إلي العيادة ولأن الأجل لم يحن بعد ... أراد الله له أن يسترد حياته بعد علاج يائس ...

شمس الشناوي يجلس في القفص أمامك ... يا توني ... أسدًا ... ثابتًا يكتب مرافعته بنفسه بعد أن سمح له الدجوى بذلك ... وولده الطفل الصغير يقول له يا بابا ... لن يقرأ لك أحد هذه الأوراق

ويميل عليه فضيلة المرشد ويقول مداعبًا :

- اسمع كلام ابنك ... ابنك أنصح منك .

ولكن

ماذا قلت أنت يا شوكت في مرافعتك ؟

هل تذكر ؟

قال الشاعر من أكثر من ألف عام :

ولا يقيم علي ذل أُريد به إلا الأذلاَّن عِيرُ الحي والوتد

- ما مصلحة الحاكمين أن يجولوا هذا الشعب الذي عاش أكثر من سبعة آلاف عام لا عمل له إلا الكفاح الدموي من أجل أن تبقي مصر . وبقيت مصر بعد فنيت كل الإمبراطوريات التي غزتها ...

إمبراطورية روما

إمبراطورية فارس

وإمبراطورية فرنسا

وإمبراطورية بريطانيا

ما مصلحة الحاكمين في أن يخلقوا من هذا الشعب المكافح المقاتل أغنامًا تساق وحميرًا تقيم هي – وأوتادها – علي الذل ... وكلابًا جائعة تتبع سيدها إلي حيث اللقمة تسد الرمق ... وتجفف الريق السائل . ولكن عندما ينادي منادي الحرب وينفخ في نفير القتال أين يجد هؤلاء الحاكمون رجالاً يقاتلون ؟؟ .. إنهم يستطيعون أن يجلبوهم من المدن والقرى ويلبسونهم ثياب الجند ويسوقونهم إلي ميدان القتال . ولكنهم سيجدونهم عند النزال أغنامًا تثغو ، وحميرًا تنهق ... وكلابًا تعوي ذيولها بين أفخاذها ... وتنبح نباح الخوف والفزع والهزيمة .

إن هـذه السياسـة ... سياسـة محاربـة الأحـرار ... وإذلال الأعـزاء وتجـريح أهـل القمـة ... زرع لأشجار الزقوم ... سيجني الحاكمون حصادها في يوم من الأيام ... بعد شهر ... بعد عام ... بعد سنين ... ولكنهم سيجنونه مرًا وعلقمًا ... وشوكًا ... وحسكًا وماء من جحيم . وكأنك يا شوكت كنت تقرأ الغيب ... فهذا ما حدث في هزيمة 1967 ... وبالضبط ... ثم استكملت المرافعة ... فقلت :

– إننا جميعًا أهل هذا البلد ... لا يملك أحد منا شبرًا من الأرض أكثر من أخيه ... فلماذا يعمل الحاكمون كأنهم الأوصياء ... أو المالكون ... وباق الشعب هم الأجراء .

قد يكونون مخدوعين من التصفيق ... والتهليل ... والهتاف ... والحشود .

لا ... هذا إما خداع من الشعب لحاكميه .

وإما ذَّلة خشية الموت والفقر ... والأذى .

ولكنهم ... والله ... منافقون .

ثم قلت :

أنني أخاطب هذا الشعب ... ولا أخاطب المحكمة ... فأنا واثق أن مصير هؤلاء المتهمين قد تقرر قبل تقديمهم للمحاكمة ... ولكن بقي آخرون ... هم من أدافع عنهم الآن .

إن مصر ستبقي بحدودها الجغرافية ... بأرضها ... وهي غير قابلة للفناء

ولكن الذي سيختفي هي إنسانيتها ، لن تبقي فيه ناس لأن الناس حرية وكرامة وعدل .

أما عن وقائع القضية ... فلا توجد قضية .

هذا التجمع ... هو لفتية آمنوا بربهم ... إذ قاموا ... فقالوا ربنا رب السموات والأرض ... لن ندعو من دونه إله ... لقد قلنا إذ شططًا ... كان اجتماعهم لدراسة الدين ... فأين هي الجريمة ؟؟

أما قتل رئيس الجمهورية ... مع أنه لم يحدث ... ولم يفكر فيه أحد ... فإن الرئيس هو فرد عادي ... يكون اليوم رئيسًا ... وغدًا شخصًا عاديًا ... والقانون في يدي وليس فيه أي نص يغلظ العقوبة جزاء لقتل رئيس الجمهورية ... فلماذا هذا الاعتقال الجماعي ؟؟

لدغته العقرب يا توني ... التسجيل مفتوح أمامه ...

– أنت اتجننت يا أستاذ ... كلمة تهدم بها جبل ... ثم تقول قانون ... هذا تحريض .

قال في ثقة :

– لندع القانون ... ونتكلم بالقرآن ... الذي يقول لنبيه ... أكرم الخلق

أنك ميت ... وهم ميتون .

وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل ...

مصر لن تموت ... بموت فرد .

- هذا تهريج ... كيف لا يكون قلبًا لنظام الحكم أن يتفق جماعة علي قتل رئيس الجمهورية .
- لم يحدث هذا الاتفاق .
- والإقرارات ... وتوقيعاتهم عليها .
- هذه الإقرارات أكفان للمتهمين ... أرسلتها معهم المخابرات والشرطة العسكرية ... وقد أثبتتها النيابة بنصها في محاضرها ... ولذلك فإن تحقيقات النيابة باطلة ... وقد أسْتُلبت هذه الأقوال من أصحابها بعذاب لا يحتمله البشر .

وكان الختام :

- بأن أودع هؤلاء الأعزاء الذين يحول بيني وبينهم قضبان لا تزيد عن مسافة الأنملة ... وقد يفرقنا عن بعض غدًا زمان قد يطول سنين مديدة ... وقد يعودون بعد قليل راجعين إلي أحضان مصر الحبيبة .

هذه الطاقة من الزهور هي التي تحتاجه مصر في كفاحها المرير ...

عطورهم الأخلاق التي يتمسكون بها ويستمدونها من القرآن أسوة برسول الله علي صلوات الله وسلامه ... وبهاؤهم العلم الذي نجد ونلهث في سبيل امتلاكه لخير مصر أمنا العزيزة .

دوت القاعة ... كلها ... بالتصفيق

تصفيق ... حقيقي

في زمن لا يعبر فيه شدة التصفيق ... إلا عن عمق النفاق .

مقدمة :

الحاجة زينب الغزالي ... تجلس في شرفة بيتها ... تنظر إلي الأفق أمامها ... الشمس تنحدر نحو الغروب ... يوم آخر يغرب من عمرها ... ويمر الزمن ... وتدبر الدنيا ... وكل شيء هالك إلا وجهه سبحانه . مشوار طويل ... طويل ... يا حاجة ... إذا كان فيه من غصة في الحلق ... ليس إلا لأن الله لم يكتب لك صحبة الشهداء ... الأستاذ الإمام سيد ... الزاهد العابد ... هواش ... ورفيق الدرب ... الصوام القوام ... الشيخ عبد الفتاح ...

هذه حكمتك يا ربي ... تجري بها مقاديرك .

استشهدوا ... وحكموا عليك بالسجن المؤبد ... وإرادة الله الغالبة ... أطاحت بحكم الطاغية ... وقوضت نظامه ... بعد أن ذاق ذل الهزيمة ... ومات في حسرة ... ومن عذاب سلطه الله عليه

في آخر عمره ... من مرض السكر الذي اغتال جهازه العصبي ... لم تستطيع أسوار الجند وكتائب الحراس أن يحموه منه ... ثم خر في النهاية ... ميتًا .

أنت الآن يا حاجة خارج أسوار السجن ... وكل من مد يده إليك بعذاب داخله ... في نفس السجن ... وربما في نفس الزنزانة .

سبحانك يا ربي ... كانوا يسألونني أين نصرك للمؤمنين ؟؟

أفاقت من تأملها علي صوت أم عبده :

- ضيف ... يريد مقابلتك .

التفتت إليها ... قالت .

- شاب ... اسمه ... عبد الفتاح إسماعيل .

أطالت النظر إلي وجهه ... ثم قالت :

- الخالق ... الناطق ... أنت تشبهه .

قال في حياء :

- عمي ... وكان يحبني ... ويفضلني علي أبنائه ... ويصحبني صغيرًا في بعض مقابلاته ... ترك وصية ... أن أقابلك ... ولم تسنح لي الفرصة إلا الآن .

سكتت ... أكمل بعد تردد :

- جئت أبايعك علي الجهاد في سبيل الله .

نظرت إليه طويلاً ... ثم قالت :

- صحبت الشهيد حسن البنا ... وكان عهده ... بناء الدعوة ... والحرص علي تقوية أساستها ... ثم جاءت محنة 1948 ... لم تستمر طويلاً ... ثم خلفه الإمام الصابر حسن الهضيبي . أول عهده كان إحياء للجماعة ... وانتشار ... ونشاط ... حتى صارت الجماعة قوة ... مرهوبة ... هذه المرة أرادوا ... الإجهاز عليها واشتدت المحنة ... وعم الظلام ... وكانت موجة الطغيان عاتية .

ولأن الله يكافئ عباده المجاهدين ... فقد قبض لهذه الدعوة من يحافظ علي جذوتها أن تنطفئ ... كانوا داخل السجن ... الشيخ المجاهد عمر التلمساني ... والرعيل الأول مصطفي مشهور ... والعدوى ... وإخوانهم . وكنا خارج السجن ... معلمنا الأستاذ سيد قطب ... والشيخ عبد الفتاح إسماعيل ... جميعًا ندين ببيعتنا – داخل السجن ... وخارجه ... لإمامنا ومرشدنا الهضيبي كان الغرض من تنظيمنا ... هو التحصن ... والتجمع ... والترابط ... دفاعًا عن وجود ... خوفًا من الضياع ... والتحلل .

وكان غرضهم داخل السجون ... هو ... هو ... نفسه .

والحمد لله ... فقد فشلوا في إطفاء نور الله .

ولن ينجحوا .

لقد بدأ عهد جديد ... تفتح فيه أبواب ظنوا أنهم أحكموا إغلاقها بالمتاريس .

عهد الإحياء الثاني للجماعة .

النصر قادم وأنتم صانعوه .

شبابكم ... هو المستقبل ... يا بني .

- تعالي يا بني معي .
- إلي أين ... يا أماه ؟
- نذهب لنبايع معًا ... فضيلة المرشد ... الإمام الجديد للجماعة .